فضائح وأسرار الصهيونية والبابية والبهائية والقرامطة والباطنية

للأئمة العلماء

عبد الرحمن الوكيل
مصطفى محمد الحديدي
محمد الخضر حسين
محمد عبد المنعم خفاجي
محمد بن مالك بن أبي الفضائل

إعداد

الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
رئيس جمعية أهل القرآن والسنة



دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

فضائح وأسرار
الصهيونية والبابية والبهائية
والقرامطة والباطنية

للأئمة العلماء

عبد الرحمن الوكيل | مصطفى محمد الحديدي
محمد الخضر حسين | محمد عبد المنعم خفاجي
محمد بن مالك بن أبي الفضائل

إعداد

الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

أنا أكره كل الفرق الضالة والخارجة عن الإسلام وهذه الكراهية في جميع مؤلفاتي ومحاضراتي وحتى أنني وجدت أن هناك صلة ورباطًا قويًا يربط بين البابية والبهائية والباطنية والصهيونية في جميع أنحاء العالم وأنهم أرواح في جسد واحد وأنهم أخذوا العهد على أنفسهم أنهم ضد الإسلام. وأنهم يكرهون رسلنا ﷺ وصحابته الكرام البررة وأنهم لا يحبون الإمام علي ﷺ ولكن حبهم لسيدنا علي ﷺ هو حب كحب الدابة لصاحبها عندما قتلته، لأن الذي يحب عليًا ﷺ لا بدَّ أن يحب جميع صحابة رسول الله ﷺ.

من أجل ذلك أقدم لك عزيزي القارئ الفاضل كتابنا (فضائح وأسرار الصهيونية والبابية والبهائية والقرامطة والباطنية) وجعلته في أربعة فصول.

الفصل الأول: ويشمل التمهيد.

الفصل الثاني: ويشمل كشف شبهات البابية والبهائية والصهيونية وصلة القرابة والهدف بينهم.

الفصل الثالث: ويشمل البابية والبهائية وهذه بحوث للسادة محمد الخضر حسين ومصطفى محمد الحديدي ود. محمد عبد المنعم خفاجي جزاهم الله تعالى خيرًا.

الفصل الرابع: ويشمل كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم للشيخ/ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحماوي اليماني رحمه الله تعالى.

عزيزي القارئ احترس من هؤلاء إنهم أهل الضلال والإضلال كلهم خارجون عن منهج القرآن والسنة.

التحذير من الفرق الضالة:

عن عوف بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار»[١].**

وبناءً على ما جاء في هذا الحديث الشريف فإن الطرق الصوفية بجميع أنواعها والشيعة بجميع أنواعها كل هؤلاء في النار إذا استمروا على ذلك لأن طريق الإسلام واحد وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] أما هؤلاء فهم أهل الضلال وهم المغضوب عليهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] هل تعلم يا أخي الفاضل من هم الضالون.

الضال هو الذي يعلم جيدًا تعاليم القرآن والسنة ثم ينصرف عنهما

---

(١) صحيح الجامع ١٠٨٢.

ويتمادى في البدع والأهواء والفساد والإفساد والشطح والنطح والطواف على قبور الموتى والرقص والنبح والتمايل في الموالد وصدق من قال:

وينـــبحون النـــبح كـــالكلاب طـــريقهم لـــيس علـــى الـــصواب

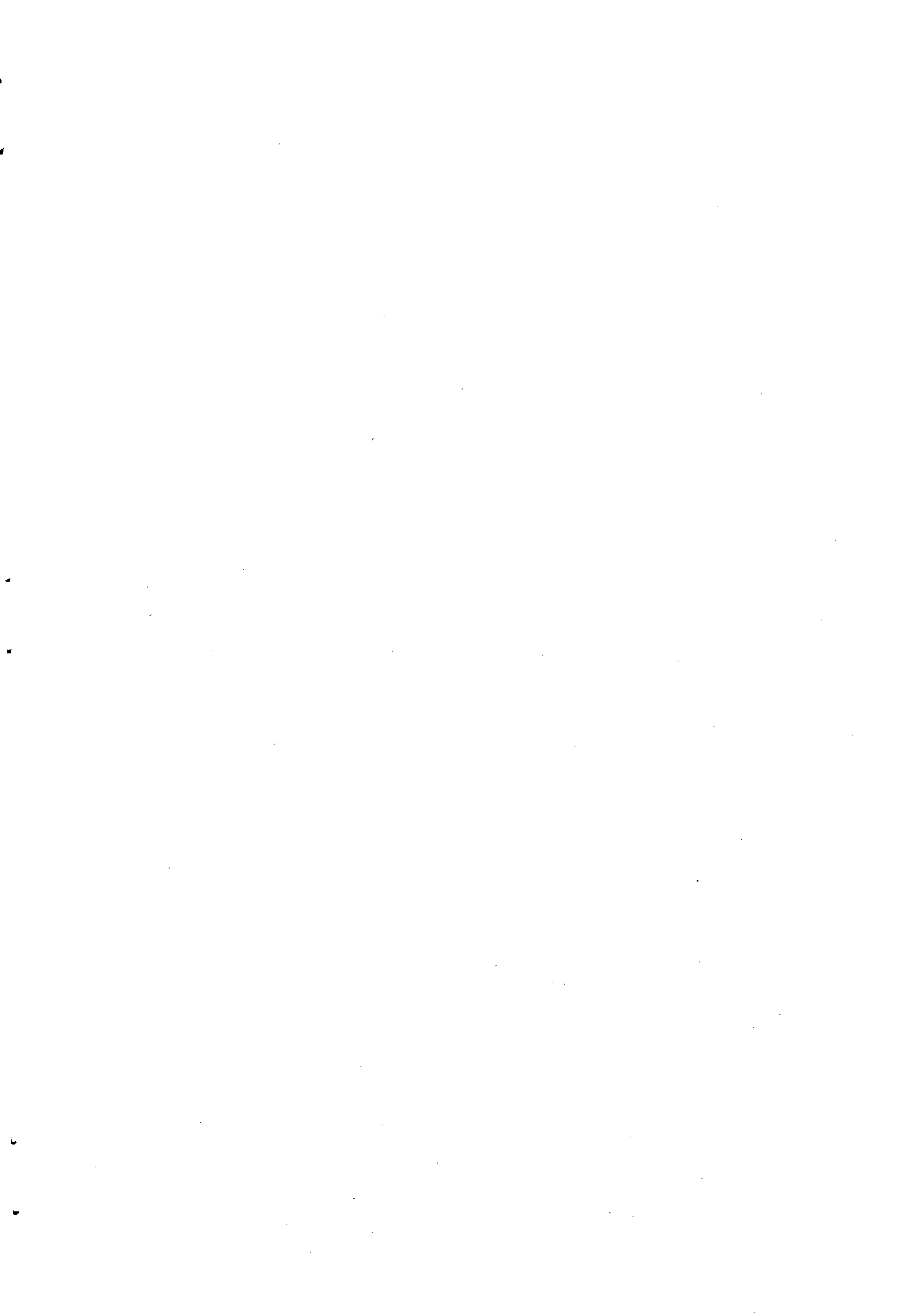
ولـــيس فـــيهم مـــن فـــتى مطـــيع فلعـــنة الله علـــى الجمـــيع

أقرأ وتدبر ولله الحمد والمنة

الشيخ

علي أحمد عبد العال الطهطاوي

رئيس جمعية أهل القرآن والسنة



الفصل الأول /
التمهيد
أولاً: الإمامة والخلافة[1]

الإمامة لغة التقدم تقول: أم القوم وبهم: تقدمهم. والإمام: ما ائتم به الناس من رئيس أو غيره هاديًا كان أو ضالاً. ويطلق لفظ الإمام على الخليفة وهو السلطان الأعظم وإمام الرعية ورئيسهم.

وأممت القوم في الصلاة إمامة، وائتم به أي اقتدى.

ويطلق لفظ الإمام كذلك على القرآن الكريم فهو إمام المسلمين وعلى الرسول ﷺ فهو إمام الأئمة بأئمتها وعليهم جميعًا الائتمام بسنته التي نص عليها.

ويطلق على قيم الأمر المصلح له وعلى قائد الجند، وقد يذكر ويراد به غير هذه المعاني[2].

ولم يرد لفظ الإمامة في القرآن الكريم، وإنما ورد لفظ إمام وأئمة. قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]. أي جاعلك قدوة يؤتم به، وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣]. وقال عز وجل: ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٢]، أي قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم الذين صار ضعفاؤهم تبعًا لهم، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ [القصص: ٤١] أي من تبعهم فهو في النار يوم القيامة.

ومن المفهوم اللغوي لكلمة إمام نستطيع أن ندرك سبب إطلاق هذا الاسم على حاكم المسلمين كما وجدنا ترادفًا بين الإمامة والخلافة ويفسر هذا.

هذا أستاذنا الشيخ أبو زهرة رحمه الله فيقول: «سميت خلافة لأن الذي يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبي ﷺ في إدارة شئون

---

(١) كتاب مع الشيعة الإثنا عشرية للدكتور على أحمد السالوس (٢٧/١).

(٢) من بينها مثلاً: أمه يؤمه إذا قصده كما جاء في الآية الكريمة الثانية من سورة المائدة ﴿ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ انظر مادة (أمم) في لسان العرب والقاموس المحيط.

المسلمين وتسمى الإمامة لأن الخليفة كان يسمى إمامًا ولأن طاعته واجبة، ولأن الناس يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم للصلاة»[١].

وأعظم خلاف بين الأمة -كما يقول الشهرستاني- خلاف الإمامة، إذا ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان[٢].

وبالطبع ما كان الخلاف ليجد مكانًا بين المسلمين وفيهم رسول الله ﷺ يحسم الخلاف ويصلح النفوس ويهدي إلى صراط مستقيم ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

ثانيا: التفكير في الإمامة وبيعة الصديق

أكان المسلمون يفكرون فيمن يخلف الرسول الكريم في إمامتهم وعلى وجه الخصوص عندما اشتد مرضه الأخير؟

وردت روايات صحيحة الإسناد تفيد وجود مثل هذا التفكير منها ما جاء عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئًا قال ابن عباس: فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال: ألا ترى أنت؟ والله إني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب بنا عند رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا فقال علي: والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس أبدًا فوالله لا أسأله أبدًا[٣].

وجاء عن علي كرم الله وجهه قال: «قيل: يا رسول الله من يؤمر بعدك؟

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ٢١/١ . والمعروف أن الخليفة الأول ﷺ خلف النبي ﷺ وبعده كل خليفة يخلف من سبقه.

(٢) الملل والنحل ٢٤/١ .

(٣) انظر الرواية رقم ٢٣٧٤ بالجزء الرابع من مسند الإمام أحمد تحقيق وتخريج الشيخ أحمد شاكر. وانظر هذه الرواية بسند صحيح آخر رقم ٢٩٩ جـــ ٥ من المسند.

قال: إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينًا زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويًا أمينًا لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا عليًا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديًا مهديًا يأخذ بكم الطريق المستقيم»(١).

معنى هذا أن التفكير في الإمامة نبت على عهد رسول الله ﷺ ولكن الخلاف لم ينشأ إلا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى حيث كان اجتماع السقيفة المشهور الذي انتهى بالبيعة للخليفة الأول، وتحدث الخليفة الثاني في إحدى خطبه عن ذلك الاجتماع فقال: «بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلانًا فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة، وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقّى شرها وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغره أن يقتلا وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ إلا أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالى عليه القوم فقالا أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم فقلت: والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك فلما جلسنا قليلاً نشهد خطيبهم فاثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أعلم مني وأوقر. والله ما

---

(١) المرجع السابق جـــ٢ رواية رقم ٨٥٩ وهي صحيحة الإسناد.

ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبًا ودارًا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فلم أكره مما قال غيرها كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول لي نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة فقلت: قتل الله سعد بن عبادة قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا»[1].

ثالثا: الإمامة عند الجمهور

ومما ذكره الفاروق نلاحظ ما يأتي:

أولاً: لا خلاف حول وجوب إقامة خليفة، وإنما كان الخلاف بشأن من

---

(١) صحيح البخاري كتاب المحاربين باب رجم الحبلى، وراجع المسند تحقيق أحمد شاكر جـــ١ رواية رقم ٣٩١ قوله: تغرة أن يقتلا: أي خوف وقوعهما في القتل.

يحضنونا: يخرجونا: زورت: هيأت وحسنت، والتزوير: إصلاح الشيء، وكلام مزور: أي محسن. جذيلها المحكك: الجذيل تصغير جذل، وهو العود الذي ينصب للإبل الجربى لتحتك به وهو تصغير تعظيم، أي أنا ممن يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود، وقيل: أراد أنه شديد البأس صلب المكسر. المرجب من الترجيب وهو أن تعمد النخلة الكريمة ببناء إذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع. (انظر المسند ففيه المزيد).

يخلف الرسول ﷺ وإلى هذا انتهى جمهور السنة فلا يستقيم أمر الأمة بغير حاكم.

ثانياً: أن الخلافة في قريش: (لن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش) ولم يأخذ الأنصار بهذا أو الأمر ولكن ما أسرع أن بايعوا قريشًا ما عدا سعد بن عبادة فلم يُبَايِع ويؤيد ما ذكره الصديق أحاديث صحيحة: فالبخاري في كتاب الأحكام من صحيحه جعل بابًا بعنوان (الأمراء من قريش) أخرجه هنا قول الرسول ﷺ: «**إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين**» وقوله صلوات الله عليه: «**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان**».

وفي كتاب الإمارة من صحيح مسلم نجد (باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش) ومما جاء في هذا الباب قول الرسول الكريم «**الناس تبع لقريش في هذا الشأن**» وقوله ﷺ: «**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان**».

وأخرج أحمد في مسنده روايات كثيرة صحيحة الإسناد تؤيد هذا منها قول الرسول ﷺ: «**أما بعد يا معشر قريش فإنكم أهل هذا الأمر ما لم تعصوا الله فإذا عصيتموه بعث إليكم من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب** لقضيب في يده ثم لحا قضيبه فإذا هو أبيض يصلد»[1].

ثالثًا: لا يكون خليفة إلا بالبيعة «قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم». «فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار».

فإذا تمت البيعة وجب الوفاء بها ولذا قال «خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فسادًا» وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق**

---

(١) المسند جـ٦ رواية رقم ٤٣٨٠ وانظر كذلك جـ٧ رواية رقم ٤٨٣٢، جـ٨ الروايتين ٥٦٧٧، ٦١٢١، جـ١٣ الروايتين ٧٣٠٤، ٧٥٤٧ .

الآخر»[١].

وقال أيضًا: «**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**»[٢].

رابعًا: مادام الواجب الوفاء بالبيعة فلا بيعة إلا بمشورة المسلمين «**فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا**». والشورى مبدأ معروف في الإسلام فمن المقطوع به أن الحكم في الإسلام ينبني على مبدأين أساسين هما العدالة والشورى قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال جل شأنه: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى:٣٨]، ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

خامسًا: أن البيعة تمت لأبي بكر بهذه السرعة بغير تدبير سابق وإنما كانت فلته نظرًا لمكانته، «ليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر» .. «كان والله أن أقوم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر».

بعد هذه الملاحظات نقول: إنه في ضوء ما سبق وغيره اشترط الجمهور للخلافة الراشدة خلافة النبوة أن تكون لقرشي عادل عن طريق البيعة والشورى على خلاف في بعض الأمر مثل تحديد من تنعقد بهم البيعة[٣].

ورأي الأنصار في أحقيتهم للخلافة انتهى بالبيعة ولم يطلّ على التاريخ من جديد ولكن أولئك القرشيين الذين امتنعوا عن البيعة أول الأمر ثم ما لبثوا أن بايعوا كان لهم شأن آخر في تاريخ الأمة الإسلامية. والمشهور أن هؤلاء لم يبايعوا لأنهم يرون أن الإمامة ليست في قريش بصفة عامة وإنما هي في أهل بيت النبوة وللإمام علي بصفة خاصة. وهؤلاء قلة يذكر لنا التاريخ منهم بعض الصحابة من

(١) مسلم كتاب الإمارة باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

(٢) مسلم كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع.

(٣) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية ١/٩٣: ١٠٩، والفرق بين الفرق ص٢١٠-٢١٢.

غير بني هاشم كالمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنهم أجمعين[١] ولكنهم جميعًا لم يتعرضوا للخليفة بتكفير أو تجريح. وعرض أبو سفيان البيعة على الإمام علي ولكنه أبى لقوة دينه وفرط ذكائه.

رابعًا: علي وبيعة من سبقه

وإذا كان المشهور يدل غالبًا على واقع الأمر. فإن من الأمور ما يشتهر مخالفًا للحقيقة. فمما اشتهر أن الإمام عليًا لم يبايع لأنه كان يرى أحقيته بالإمامة من غيره. ولكن وجدنا من أقواله ما يدل على أنه كان يرى ألا يقضى مثل هذا الأمر دون أن يكون له فيه رأي مع اعترافه بأفضلية الصديق وعدم إنكار أحقيته لإمامة المسلمين[٢].

---

(١) انظر: ضحى الإسلام ٣/٢٠٩، ودائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع عشر ص ٥٨، والمهديدة في الإسلام ص٤-٥ .

(٢) روي البخاري أن الإمام عليًا عندما أراد مبايعة الصديق رضي الله عنهما أرسل إليه فجاءه فتشهد علي فقال: «إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ولم ننفس عليك خيرًا ساقه الله إليك ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبًا حتى فاضت عينا أبي بكر. فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فلم آل فيها عن الخير ولم أترك أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته. فقال علي لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة. فلما صلى أبو بكر الظهر رقي على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه. ثم استغفر وتشهد علي فعظم حق أبي بكر وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكارًا للذي فضله الله به ولكنا نرى لنا في هذا الأمر نصيبًا فاستبد علينا فوجدنا في أنفسنا فسر بذلك المسلمون وقالوا: أصبت. وكان المسلمون إلى علي قريبًا حين راجع الأمر بالمعروف» (كتاب المغازي باب غزوة خيبر). روى مسلم أكثر من رواية تفيد ما سبق وفي إحدى رواياته «ثم قام على فعظم من حق أبي بكر، وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه فأقبل الناس إلى علي فقالوا: أصبت وأحسنت»: (كتاب الجهاد - باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا فهو صدقة). واستبد بالأمر: إذا انفرد به غير مشارك له فيه وقول الإمام: ولكنك استبددت علينا بالأمر: أي لم تشاورنا في أمر الخلافة.

ومن المشهور كذلك أن الإمام عليًا لم يبايع إلا بعد وفاة السيدة فاطمة رضي الله عنهما ولكن يوجد ما يدل على أنه لم يتأخر هذه الفترة[١].

وقبل انتهاء فترة الخلافة الأولى القصيرة التي بارك تعالى فيها أيما بركة كان الصديق قد استقر رأيه على استخلاف عمر بعد تعرفهن على آراء كثير من الصحابة الكرام. على أن بعض هؤلاء قد تخوف من خلافة الفاروق لما اشتهر به من الشدة وقالوا لأبي بكر: قد وليت علينا فظًا غليظًا فقال: لو سألني ربي يوم القيامة لقلت: وليت عليهم خيرهم[٢].

وعندما أخذ رأي المسلمين في البيعة لمن ذكر في كتاب الخليفة الأول قالوا: نسمع ونطيع غير أن علي بن أبي طالب انفرد بقوله: «لا نرضى إلا أن يكون عمر»[٣].

ولم يتأخر أحد عن بيعة عمر بن الخطاب إلا سعد بن عبادة. ومرت الخلافة العمرية الراشدة وانتهى الأمر إلى الستة[٤]. ليُختار واحد منهم، ثم

---

(١) في فتح الباري بعد الحديث عن الرواية السابقة قال ابن حجر: قد صحح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن عليًا بايع أبا بكر في أول الأمر. وأما ما وقع في مسلم عن الزهري أن رجلاً قال له: لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها قال: لا ولا أحد من بني هاشم. فقد ضعفه البيهقي بأن الزهري لم يسنده وأن الرواية الموصولة عن أبي سعيد أصح. وجمع غيره بأنه بايعه بيعة ثانية مؤكدة للأولى لإزالة ما كان وقع بسبب الميراث. وحينئذ يحمل قول الزهري لم يبايعه علي في تلك الأيام على إرادة الملازمة له والحضور عنده وما أشبه ذلك فإن في انقطاع مثله عن مثله يوهم من لا يعرف باطن الأمر أنه بسبب عدم الرضا بخلافته فأطلق من أطلق ذلك وبسبب ذلك أظهر علي المبايعة التي بعد موت فاطمة لإزالة هذه الشبهة.

(٢) انظر الملل والنحل ٢٥/١ وجاء في كتاب الاستخلاف «إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب فإنه بر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت. ولكل امرئ ما اكتسب، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الكامل للمبرد ٨/١).

(٣) عبقرية الصديق ص ١٦٤ .

(٤) الستة هم: علي وعثمان والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف.

انحصرت الخلافة في ثلاثة فاثنين هما عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، ثم كانت البيعة الجماعية لذي النورين فلماذا انتهت إليه؟

روى البخاري بسنده عن المسور بن مخرمة «أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا، قال لهم عبد الرحمن: لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر، ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم فمال الناس على عبد الرحمن حتى ما أرى أحدًا من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان قال المسور: طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال: أراك نائمًا فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم انطلق فادع الزبير وسعدًا فدعوتهما له فشاورهما ثم دعاني فقال: ادع لي عليًا فدعوته فناجاه حتى إبهار الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئًا ثم قال: ادع لي عثمان فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح. فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر فما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون»[(١)].

وكانت السنوات الأولى في عهد عثمان خيرًا وبركة ثم بدأت الفتنة التي

قال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي. فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف.

(١) البخاري كتاب الأحكام باب كيف يبايع الإمام الناس، وراجع فتح الباري كتاب المناقب باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أدت إلى مقتله. وقد بذل الإمام علي كل ما استطاع في سبيل إخمادها ولكن هيهات! وفي هذه الفترة بدأت الأنظار تتعلق بعلي، وتذكر ما له من فضل ومكانة. فإذا ما انتقل الخليفة الشهيد إلى حيث بشره الرسول ﷺ تجمع المسلمون حول أبي الحسن علهم يجدون على يديه مخرجًا. وتمت البيعة ولكن لم تنته الفتنة بل زاد أوارها وسالت دماء طاهرة على أرض الإسلام بسيوف المسلمين! وعلى قتلة عثمان الوزر الأكبر لكل ما نتج عن هذه الفتنة ولكن ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وكان من نتيجة حادثة "التحكيم" الشهيرة أن انسل جماعة من أتباع الإمام وخرجوا على المتحاربين معًا علي ومعاوية! وهؤلاء هم الذين سموا "الخوارج" أما الذين ظلوا مع الإمام فهم الذين أطلق عليهم لقب "الشيعة"[١].

---

(١) الشيعة معناه الأتباع والأنصار والفرقة ولكن غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليًا وأهل بيته حتى صار اسمًا لهم خاصًا وجمعه أشياع وشيع. (انظر مادة "شيع" في القاموس المحيط).

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بمعناه في عدد من آياته كقوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص:١٥]. وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقيل: إن ظهور هذا اللقب كان عام سبع وثلاثين من الهجرة وقيل بل بعد أن قبض معاوية على زمام السلطة (انظر مختصر التحفة ص٥ وروح الإسلام ص١٣). وقال الدكتور طه حسين: الشيء الذي ليس فيه شك فيما اعتقد هو أن الشيعة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة عند الفقهاء والمتكلمين ومؤرخي الفرق لم توجد في حياة علي وإنما وجدت بعد موته بزمن غير طويل. وإنما كان معنى كلمة الشيعة أيام علي هو نفس معناها اللغوي القديم الذي جاء في القرآن (علي وبنوه ص١٧٣) وتحدث بعد ذلك (١٨٧-١٨٩) عن عودة الحسن من الكوفة إلى المدينة بعد الصلح مع معاوية. وعن مجيء وفد من أشراف الكوفة ومعاتبتهم له. وطلبهم إليه أن يعيد الحرب وموقفه منهم وقال الدكتور طه حسين بعد ذلك: «وأعتقد أنا أن اليوم الذي لقي الحسن فيه هؤلاء الوفد من أهل الكوفة فسمع منهم ما سمع وقال لهم ما قال ورسم لهم خطتهم هو اليوم الذي
=

خامسًا: الخوارج ورأيهم في الإمامة

الخوارج لا يزال لهم بقية إلى يومنا هذا[١] وقد انقسموا فرقًا على مر التاريخ «ويجمع الخوارج على اختلاف مذاهبها: إكفار علي، وعثمان وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما ووجوب الخروج على السلطان الجائر»[٢].

وللخوارج رأي خاص في الإمامة:

فالإمام لا يكون إلا باختيار حر من المسلمين وإذا اختير فليس يصح أن يتنازل أو يحكِّم. ويظل رئيسًا للمسلمين مادام قائمًا بالعدل مجتنبًا للجور، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، ولكن إذا غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله. ولا يشترطون القرشية كما اشترط الجمهور فللأمة أن تختار من تشاء ولو كان عبدًا حبشيًا. كما أن فرقة منهم وهي "النجدات" أجمعت على أنه لا حاجة بالناس إلى إمام وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم فإن رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه جاز، فإقامة الإمام في نظرهم ليست واجبة بإيجاب الشرع بل جائزة، وإذا وجبت فإنما تجب بحكم المصلحة والحاجة. وفرقة أخرى منهم وهي "الشبيبية" أتباع شبيب بن يزيد الشيباني «أجازوا إمامة

= أنشئ فيه الحزب السياسي المنظم لشيعة علي وبنيه نظم الحزب في المدينة في ذلك المجلس وأصبح الحسن له رئيسًا وعاد أشراف أهل الكوفة إلى من وراءهم ينبئونهم بالنظام الجديد والخطة المرسومة»(ص١٨٩-١٩٠).

(١) هذه البقية من الإباضية وهم أكثر الخوارج اعتدالاً وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيرًا فهم أبعدهم عن الشطط والغلو ولذلك بقوا ولهم فقه جيد وفيهم علماء ممتازون ويقيم طوائف منهم في بعض واحات الصحراء الغربية وبعض آخر في بلاد الزنجبار. ويقولون عن مخالفيهم إنهم كفار نعمة لا كفار في الاعتقاد وذلك لأنهم لم يكفروا بالله تعالى ولكنهم قصروا في جنب الله عز وجل. انظر (ص٩١) من الجزء الأول من تاريخ المذاهب الإسلامية كما يقيم طوائف منهم في عمان والجزائر وتونس.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٤٥، واقرأه إلى ص٦٧ للتعرف على الخوارج وآرائهم وراجع كذلك: الملل والنحل ١/١١٤ - ١٣٨ والخطط المقريزية (جـــ٤ ص١٧٨-١٨٠). وفجر الإسلام ١/٣١٤، ٣٢٥، وتاريخ المذاهب الإسلامية ١/٦٩ - ٩٢ .

المرأة منهم إذا قامت بأمورهم. وخرجت على مخالفيهم وزعموا أن غزالة أم شبيب كانت الإمام بعد قتل شبيب إلى أن قتلت»[(١)].

سادسًا: الإمامة عند الزيدية

الشيعة على اختلاف فرقهم يرون وجوب إمام ولكن رأيهم في الإمامة يخالف ما ذهب إليه جمهور المسلمين.

وأقربهم إلى الجمهور فرقة الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ. فبعد استشهاد الإمام الحسين ذهبت فرقة من الشيعة إلى أن الإمامة لا تكون إلا في أولاد فاطمة رضي الله تعالى عنها ويستوي في هذا أولاد الحسن وأولاد الحسين ورأوا أن كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة فهو إمام واجب الطاعة وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال فلما خرج زيد بن علي في عهد هشام بن عبد الملك بايعه هؤلاء.

وكان من مذهب الإمام زيد جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، فقال: «كان علي بن أبي طالب ﷺ أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريبًا وسيف أمير المؤمنين علي عن دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد. والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين والتؤدة والتقدم بالسن، والسبق في الإسلام والقرب من رسول الله ﷺ ... وكذلك يجوز أن يكون المفضول إمامًا والأفضل قائم فيرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا»[(٢)].

ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين، وإنما قال: «إني لا أقول فيهما إلا خيرًا، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرًا،

---

(١) الفرق بين الفرق (ص٦٥، ٦٦).

(٢) الملل والنحل (١/١٥٥).

وإنما خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدي الحسين» عندما سمعوا ذلك فارقوه ورفضوا مقالته حتى قال لهم رفضتموني ومن يومئذ سموا رافضة[١].

وفرق الزيدية منهم من يتفق مع ما ذهب إليه الإمام زيد ومنهم من خالفه فالجارودية زعموا أن النبي ﷺ نص على الإمام علي بالوصف دون التسمية وهو الإمام بعده والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك[٢].

ولكن باقي فرق الزيدية ذهبوا إلى أن الإمامة شورى فيما بين الخلق وأنها تصح في المفضول مع وجود الأفضل وأثبتوا إمامة الشيخين أبي بكر وعمر حقًا باختيار الأمة حقًا اجتهاديًا واختلفوا في عثمان فمنهم من طعن ومنهم من توقف[٣].

سابعًا: الإمامة عند الإسماعيلية

أما الشيعة الإمامية فهم يرون أن الإمامة منصب إلهي يختار له الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ويأمر باتباعه. ويقولون إن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه بأن ينص على عليّ وينصبه علمًا للناس من بعده وقد بلغ الرسول الكريم رسالة ربه فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى لم يتبع المسلمون أمر الله تعالى ولا أمر نبيه ﷺ وتركوا ركنًا من أركان الإيمان ويرون أن النص بعد الإمام علي لابنه الحسن ثم للحسين ثم لابنه علي زين العابدين ثم لابنه محمد الباقر فابنه جعفر الصادق. وبعد القول بإمامة أبي عبد الله جعفر الصادق نرى منشأ أكبر فرقتين من فرق الشيعة هما الإسماعيلية والجعفرية الإثنا عشرية.

فالإسماعيلية جعلوا الإمامة بعده لابنه إسماعيل الابن الأكبر وافترق هؤلاء فرقتين:

فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت

---

(١) الفرق بين الفرق ص٢٥، وانظر الملل والنحل ١/١٥٥ .

(٢) انظر المرجع السابق ص٢٢، والملل والنحل ١/١٥٧-١٥٨ .

(٣) انظر الملل والنحل ١/١٥٩-١٦٢، والفَرْق بين الفِرَق ص٢٤، وفرق الشيعة ص٢٠، ٢١ وص٥٥، والفِصَل في الملل والأهواء والنحل ص٩٢، ٩٣.

إسماعيل في حياة أبيه. وفرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل ابن جعفر حيث إن جعفرًا نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده فلما مات إسماعيل في حياة أبيه علمنا أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل وإلى هذا القول مالت الإسماعيلية الباطنية[١].

والإسماعيلية جعلوا الإمامة بعد إسماعيل لابنه محمد المكتوم، ومنهم من وقف عليه وقال برجعته بعد غيبته ومنهم من ساق الإمامة في أئمة "مستورين" منهم ثم في "ظاهرين قائمين" من بعدهم. وقالوا: لم تخل الأرض قط من إمام حي قائم. إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور.

فإذا كان الإمام ظاهرًا جاز أن يكون حجته مستورًا وإذا كان الإمام مستورًا فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين.

ومن مذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية[٢].

ثامنًا: عقيدة الإمامة عند الجعفرية

الجعفرية الإثنا عشرية -وهم أكبر الفرق الإسلامية المعاصرة- لهم عقيدة خاصة في الإمامة أحب بيانها بشيء من التفصيل فأقول:

يعتقد الجعفرية أن الإمامة كالنبوة في كل شيء باستثناء الوحي، فالقول فيه مختلف ولذلك قالوا[٣].

---

(١) الفرق بين الفرق ٣٩.وتذهب المصادر الإسماعيلية التاريخية إلى أن إسماعيل مات عام ١٥٨هـ أي بعد أبيه بعشر سنوات. (انظر أساس التأويل ٣٦٨). وجاء في دائرة المعارف الإسلامية عند الحديث عن الإسماعيلية "كان جعفر قد استخلف إسماعيل. ولكنه عاد فاستخلف ابنه الثاني موسى لأنه لقي إسماعيل ثملاً. ولكن الإسماعيلية لم يسلموا بنزع الإمامة من إسماعيل لأنهم كانوا يرون أن الإمام معصوم وأن شرب الخمر لا يفسد عصمته، وأنه لا يجوز لله أن يأمر بشيء ثم ينسخه".

(٢) انظر الملل والنحل ١/١٩١، ١٩٢.

(٣) انظر أقوالهم في المراجع الآتية: عقائد الإمامية ص٦٥: ٨٠ -أصل الشيعة وأصولها ص ٣٣: ٤١- كشف المراد شرح تجريد الاعتقاد: المقصد الخامس: الإمامة ص٢٨٤ وما بعدها- بحار الأنوار: باب جامع في صفات الإمام وشرائط الإمامة ٢٥/١١٥: ١٧٥ =

١- إن الإمامة أصل من أصول الدين: لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، فمن لم يذهب مذهبهم في الإمامة فهم يجمعون على أنه غير مؤمن وإن اختلفوا في تفسير غير المؤمن هذا فمن قائل بكفره، إلى قائل بالفسق، وأكثرهم اعتدالاً أو أقلهم غلوًا يذهب إلى أنه ليس مؤمنًا بالمعنى الخاص وإنما هو مسلم بالمعنى العام، ما لم يكن مبغضًا للأئمة وشيعتهم فضلاً عن حربهم فهو يعد كافرًا عند جميع الجعفرية.

ذكر الحلي -الملقب عند الجعفرية بالعلامة- بأن إنكار الإمامة شر من إنكار النبوة! حيث قال: «الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام ... وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص» (الألفين١/٣).

وعقب أحد علمائهم على هذا بأنه «نعم ما قال» وأضاف: وإلى هذا أشار الصادق بقوله عن منكر الإمامة هو شر الثلاثة، فعنه أنه قال: الناصبي شر من اليهودي. قيل: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ فقال: إن اليهودي منع لطف النبوة وهو لطف خاص والناصبي منع لطف الإمامة وهو عام (انظر حاشية ص ٤٣ النافع يوم الحشر).

وفي مصباح الهداية (ص٦١، ٦٢) ذكر المؤلف أن الإمامة مرتبة فوق النبوة!

وقال ابن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق: «اعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء. واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة نبينا محمد ﷺ» (رسالته في الاعتقادات ص١٠٣).

وقال المفيد: «اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة

=

وباب أنه جرى لهم (أي للأئمة) من الفضل والطاعة مثل ما جرى لرسول الله ﷺ وأنهم في الفضل سواء نفس الجزء ص٣٥٢: ٣٦٣.

وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار» (بحار الأنوار للمجلسي (٢٣/٣٩٠)، والمجلسي ذكر قول المفيد لتأييد رأيه).

والمفيد كان رأس الإمامية وشيخًا لشيخ طائفتهم أبي جعفر الطوسي.

وإلى جانب ضلال هؤلاء القوم وغلوهم نجد غلوهم في جانب آخر فهم يرون أن الفاسق منهم يدخل الجنة وإن مات بلا توبة! (انظر أجوبة المسائل الدينية -العدد الثامن- المجلد التاسع (ص٢٢٦) وراجع كتابي: فقه الشيعة الإمامية (١/١٥)).

٢- الإمام كالنبي في عصمته وصفاته وعلمه: فالإمام يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان!

ويجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل ومن تدبير وعقل وحكمة وخلق.

أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله.

وإذا استجد شيء فلابد أن يعمله من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه فإن توجه إلى شيء وشاء أن يعمله على وجهه الحقيقي، لا يخطئ فيه ولا يشتبه عليه ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقينات المعلمين وإن كان علمه قابلاً للزيادة والاشتداد. وذهب بعضهم إلى أن أحد الملائكة كان يلازم الرسول ﷺ ليسدده ويرشده ويعلمه، فلما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ظل الملك بعده. ولم يصعد ليؤدي نفس وظيفته مع الأئمة بعد الرسول ﷺ[1].

---

(١) انظر أصول الكافي: باب فيه ذكر الأرواح التي في الأئمة (١/٢٧١، ٢٧٢) وباب الروح التي يسدد الله بها الأئمة (١/٢٧٣، ٢٧٤) وهذا الباب فيه ستة أخبار منها عن أبي عبد الله ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا =

٣- لابد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شئونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم وعلى هذا فالإمامة استمرار للنبوة.

٤- الأئمة هم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم وهم الشهداء على الناس وأبواب الله والسبل إليه والأدلاء عليه. فأمرهم أمر الله تعالى ونهيهم نهيه وطاعتهم طاعته ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه وعدوهم عدوه. ولا يجوز

=

ٱلْإِيمَـٰنُ﴾ قال: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده. وفي الباب الأسبق ذكر أن روح القدس خاصة بالأنبياء فإذا قبض النبي انتقل روح القدس فصار إلى الإمام. وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو والإمام يرى به وفي الحاشية فسر الرؤية بقوله: يعني ما غاب عنه في أقطار الأرض وما في عنان السماء! وبالجملة ما دون العرش إلى ما تحت الثرى! وانظر بحار الأنوار (٤٧/٢٥-٩٩) باب الأرواح التي فيهم (أي في الأئمة) وأنهم مؤيدون بروح القدس. وقال ابن بابويه القمي في رسالته (ص ١٠٨، ١٠٩): «اعتقادنا في الأخبار الصحيحة عن الأئمة أنها موافقة لكتاب الله متفقة المعاني غير مختلفة لأنها مأخوذة من طريق الوحي عن الله سبحانه» وهذا القمي صاحب كتاب «فقيه من لا يحضره الفقيه»: أحد كتب الحديث الأربعة المعتمدة عند الجعفرية.
وقال المجلسي: أصحابنا أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم من الذنوب الصغيرة والكبيرة. عمدًا وخطأً ونسيانًا قبل النبوة والإمامة وبعدهما بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله تعالى. ولم يخالف في ذلك إلا الصدوق محمد بن بابويه وشيخه ابن الوليد فإنهما جوزا الأسهاء من الله تعالى لا السهو الذي يكون من الشيطان في غير ما يتعلق بالتبليغ وبيان الأحكام (بحار الأنوار: ٣٥٠/٢٥، ٣٥١).
وقال الطوسي: "لا يجوز عليهم -أي على الأئمة- السهو والنسيان فيما يؤدونه عن الله. فأما غير ذلك فإنه يجوز أن ينسوه أو يسهوا عنه ما لم يؤد ذلك إلى الإخلال بكمال العقل. وكيف لا يجوز عليهم ذلك وهم ينامون ويمرضون ويغشى عليهم. والنوم سهو وينسون كثيرًا من متصرفاتهم أيضًا وما جرى لهم فيما مضى من الزمان" (التبيان ١١٦/٤، ١٦٥). والطوسي يلقبونه بشيخ الطائفة وهو صاحب كتابين من كتب الحديث الأربعة.

الرد عليهم والراد عليهم كالراد على الرسول والراد على الرسول كالراد على الله تعالى فيجب التسليم لهم والانقياد لأمرهم والأخذ بقولهم.

ولذا فالجعفرية يعتقدون أن الأحكام الشرعية الإلهية لا تستقى إلا من نمير ماء أئمتهم ولا يصح أخذها إلا منهم. ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم ولا يطمئن بينه وبين الله تعالى إلى أنه قد أدى ما عليه من التكاليف المفروضة إلا من طريقهم.

٥- ما دامت الإمامة كالنبوة فهي لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله ﷺ أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله هاديًا ومرشدًا لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه لأن الشخص الذي له من نفسه القدسية استعداد لتحمل أعباء الإمامة العامة وهداية البشر قاطبة يجب ألا يعرف إلا بتعريف الله تعالى ولا يعين إلا بتعيينه.

ويعتقدون كذلك أن النبي ﷺ نص على خليفته والإمام في البرية من بعده فعين ابن عمه علي بن أبي طالب أميرًا للمؤمنين وأمينًا للوحي وإمامًا للخلق في عدة مواطن، ونصبه وأخذ البيعة له بإمرة المؤمنين يوم غدير خم. كما أنه ﷺ بين أن الأئمة من بعده اثنا عشر، نص عليهم جميعًا بأسمائهم ثم نص المتقدم منهم على من بعده.

٦- الأئمة الإثنا عشر الذين نص عليهم الرسول ﷺ هم:

(١) أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى الذي ولد قبل البعثة بعشر سنوات واستشهد سنة أربعين من الهجرة.

(٢) أبو محمد الحسن بن علي الزكي (٣-٥٠).

(٣) أبو عبد الله الحسين بن علي سيد الشهداء (٤-٦١).

(٤) أبو محمد علي بن الحسين زين العابدين (٣٨-٩٥).

(٥) أبو جعفر محمد بن علي الباقر (٥٧-١١٤).

(٦) أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (٨٣-١٤٨).

(٧) أبو إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم (١٢٨-١٨٣).

(٨) أبو الحسن علي بن موسى الرضا (١٤٨-٢٠٢ أو٢٠٣).

(٩) أبو جعفر محمد بن علي الجواد (١٩٥-٢٢٠).

(١٠) أبو الحسن علي بن محمد الهادي (٢١٢ أو٢١٤-٢٥٤).

(١١) أبو محمد الحسن بن علي العسكري (٢٣٢-٢٦٠).

(١٢) أبو القاسم محمد بن الحسن المهدي وهو الحجة في هذا العصر الغائب ليملأ الأرض عدلاً وقسطًا بعد ما ملئت ظلمًا وجورًا. قيل وسنة ٢٥٦هـــ، وغاب غيبة صغرى سنة ٢٦٠هـــ، وغيبة كبرى سنة ٣٢٩هـــ، وسيظل حيًا إلى يوم القيامة حتى لا تخلو الأرض من حجة وإلا ساخت!

تعقيب

بعد بيان عقيدة الإمامة عند الشيعة الإثنا عشرية كما جاءت في كتبهم هم أنفسهم أذكر بما يأتي:

١- جعلهم الإمامة أصلا من أصول الدين فيه طعن في الصحابة ﷺ عنهم فما منهم من أحد يقول بالإمامة التي تقصدها هذه الفرقة، حتى إن الإمام عليًا ﷺ هو نفسه لم يقل بهذا كما بينت وأثبت فيما جاء تحت عنوان «رابعًا: علي وبيعة من سبقه» وأول من قال بالوصي بعد النبي ﷺ هو عبد الله بن سبأ كما نقلت من المراجع الشيعية نفسها في التمهيد.

٢- إجماعهم على تكفير من حارب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يعني تكفير آلاف الصحابة الكرام البررة، وتكذيب الرسول ﷺ الذي شهد لهم بالخيرية وبشر بعضهم بالجنة بل يصطدم مع كتاب ربنا عز وجل فمنهم من شهد الله سبحانه وتعالى بأنه رضي عنهم، ولم يثبت أنه عاد فسخط عليهم فمن أين إذن جاءوا بهذه الفرية الكبرى؟!

٣- ما سبق من قول المفيد شيخ شيخ طائفتهم الطوسي وابن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق وصاحب أحد كتب الحديث الأربعة المعتمدة عندهم وابن المطهر الحلي الملقب عندهم بالعلامة وغيرهم يدل على أنهم يرون تكفير الأمة كلها ما عدا الرافضة وأتباع عبد الله بن سبأ وعلى الأخص خير أمة أخرجت للناس وهم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه. وهذا ما

سنراه عند تناولنا لكتاب الكافي للكليني وهو أول وأعلى كتب الحديث المعتمدة عندهم وكتاب شيخه علي بن إبراهيم القمي في التفسير.

وفي كتابي «المراجعات المفتراة على شيخ الأزهر البشري» أثبت أن عبد الحسين شرف الدين يرى هذا الرأي الفاجر الكافر الضال وهذا يقطع بأن مسألة تكفير الأمة والصحابة الكرام ليست مسألة تاريخية جاءت في كتب التراث عندهم كما يحلو لدعاة التقريب عن جهل أو تضليل أن يبرروا هذا الضلال. بل إن عبد الحسين الذي يرى هذا الرأي ذكر أنه من دعاة التقريب!! وقد جاء هذا في أحد مؤتمرات التقريب في طهران وعبد الحسين في كتابيه المراجعات والفصول المهمة في تأليف الأمة يعتبر فعلاً من دعاة التقريب ولكن بمفهوم خاص!! فهو يدعو إلى تأليف الأمة كلها وجمعها تحت راية عبد الله بن سبأ وجعلها جميعها من الرافضة التي رفضت تبرئة الشيخين خير البشر بعد رسول الله ﷺ واجتمعت على تكفيرهما وتكفير من بايعهما!!

ويحضرني هنا ما اشتهر عن أبي زرعة الرازي أنه قال:

«إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق: وذلك أن القرآن حق والرسول ﷺ حق وما جاء به حق. وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة. فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق».

٤- قـــولهم بوجوب استمرار الإمامة أبدًا دون انقطاع أو توقف إلى يوم القـــيامة بعد الإمام الحسين ﷺ في أحد من نسله بحيث يكون الابن خلفًا للأب هـــذا القول جعلهم يضطرون إلى تنصيب طفل صغير في السابعة من عمره، وهو إمامهم محمد الجواد الإمام التاسع ولذلك وجدنا فرقتين من شيعة أبيه علي الرضا لم يعتـــرفوا بإمامته لأنهم استصبوه واستصغروه. وفي كتاب فرق الشيعة (ص٩٢) للـــنوبختي والقمي الشيعيين جاء بيان هذا حيث قالا: «إن أبا الحسن الرضا عليه السلام توفي وابنه محمد ابن سبع سنين فاستصبوه واستصغروه وقالوا: لا يجوز أن يكـــون الإمـــام إلا بالغًا ولو جاز أن يأمر الله عز وجل بطاعة غير بالغ لجاز أن يكلـــف الله غير بالغ، فإنه كما لا يعقل أن يحتمل التكليف غير بالغ، فكذلك لا

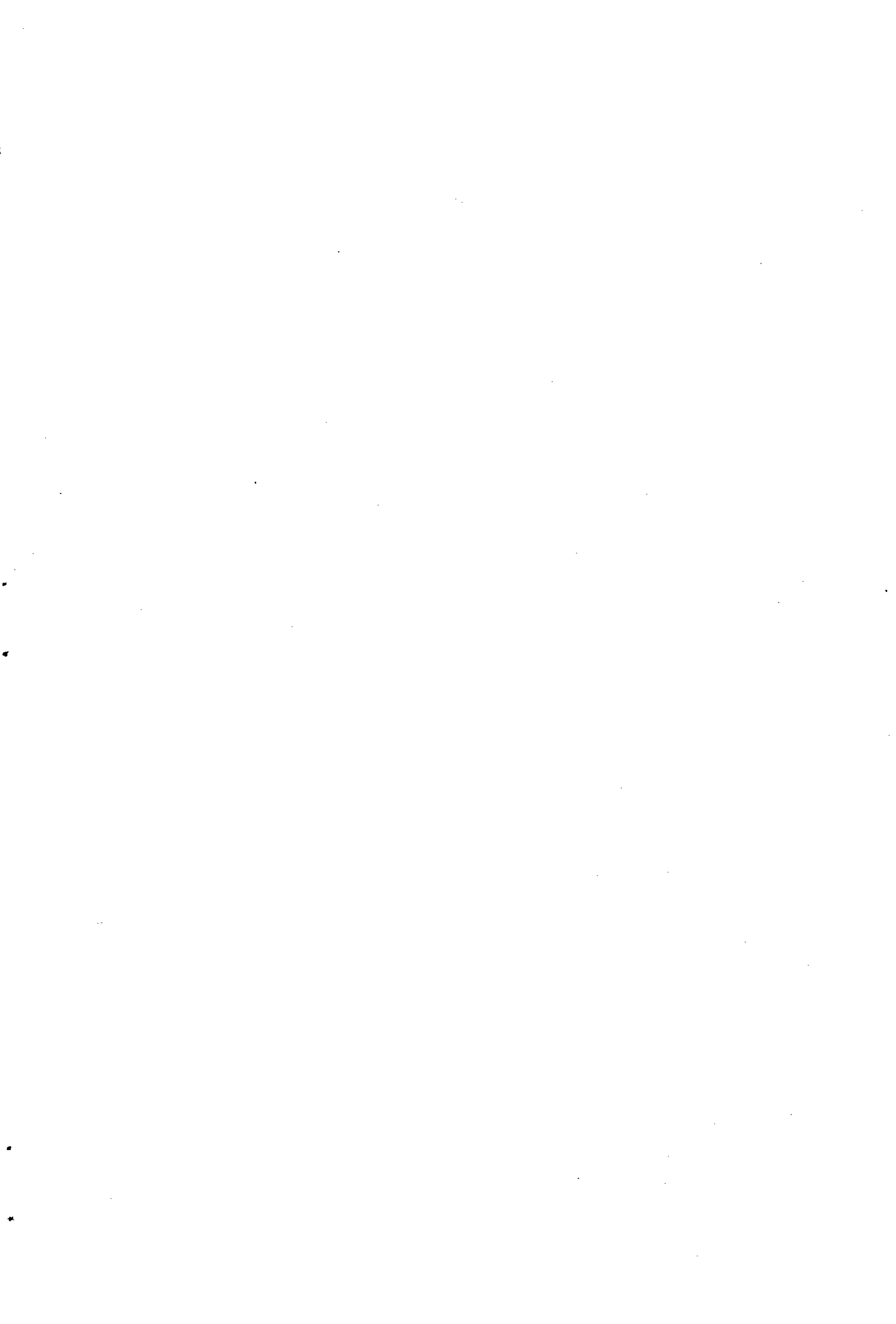
يفهـــم القضاء بين الناس دقيقه وجليله وغامض الأحكام وشرائع الدين وجميع ما أتـــى به النبي ﷺ وما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة من أمر دينها ودنياها طفل غير بالـــغ ولو جاز أن يفهم ذلك من قد نزل عن حد البلوغ درجة لجاز أن يفهم ذلك مـــن قد نزل عن حد البلوغ درجتين وثلاثاً وأربعًا راجعًا إلى الطفولة حتى يجوز أن يفهـــم ذلـــك طفـــل في المهـــد والخـــرق وذلـــك غير معقول ولا مفهوم ولا متعارف» اهـــ.

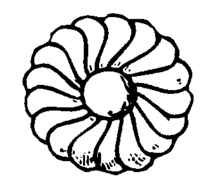
وكذلك اعتبروا ابنه عليًا الهادي إمامًا وهو في السادسة من عمره وعلى قول آخر في الثامنة أي أنه كسابقه في سن الطفولة!

وأعجب من هذا كله قولهم بعد إمامهم الحادي عشر الحسن العسكري: فقد توفي ولم ير له خلف ولم يعرف له ولد ظاهر فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه فافترق أصحابه من بعده أكثر من عشر فرق، فاخترع الإثنا عشرية له ابنًا طفلاً إمامًا حيًا لا يموت إلى يوم القيامة!! وهو غائب يحج كل عام يرانا ولا نراه!!

٥- من يراجع كتب الفرق يجد ظاهرة عامة وهي افتراق الشيعة إلى فرق مختلفة عند موت كل إمام وكل فرقة من هذه الفرق يمكن أن تفترق هي الأخرى إلى عدة فرق.

وسيأتي -إن شاء الله تعالى- بيان لشيء من هذا في موضوع تدوين السنة عند الشيعة في الجزء الثالث ونجد من هذه الفرق من بلغت درجة تأليه بعض البشر والشرك بالله عز وجل ومن ادعت نبوة فرد من أفرادها ومن استباحت اللواط ونكاح المحارم وقالت: من عرف الإمام فليصنع ما شاء فلا إثم عليه.





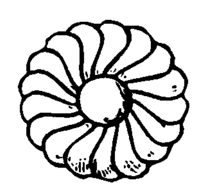
الـفصـل الثـاني /
كشف شبهات

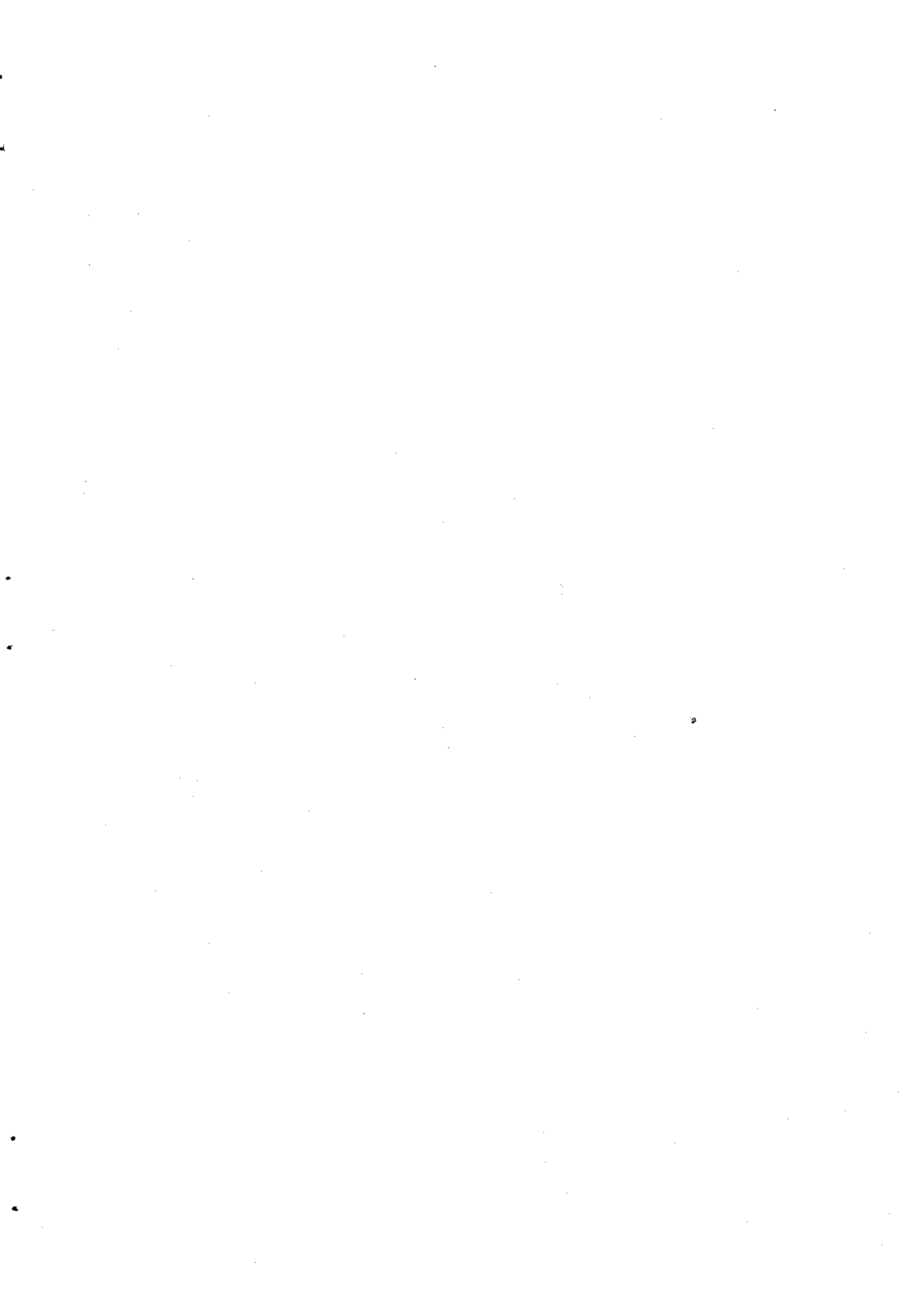
١- البابية

٢- البهائية

٣- الصهيونية

وصلة القرابة والهدف بينهم.





من السبئية إلى البابية

المجتمع الإسلامي في عهده الأول

التوحيد الخالص والإيمان الصادق والإخاء النبيل والتجاوب الروحي الذي يستشعر حتى الأنة الحيرى في أعماق الليل والعدالة المطلقة التي يؤاخيها الإحسان والسماحة والرحمة والجهاد الصادق في سبيل دعم هذه القيم المقدسة والفدائية التي تستلهم دائمًا شرف التضحية وروعتها. تلك كانت من خصائص الجماعة الإسلامية في عهدها الأول.

تلك الجماعة التي وحد الإسلام غاياتها الساميات وجعل منها أمة واحدة تسعى في الوجود هدى ورحمة وسلامًا ومحبة أمة تذكر كل إنسان بإنسانيته، وتكشف له عما فيها من خير وصفاء وسمو وإشراق، وتعمل معه؛ لترتبط هذه الإنسانية بتقوى الله وحده فإذا هي محبة ونور وقوة تؤيد الحق وتلهم الحياة حب الكفاح الدائب في سبيل إقامتها على أسس سليمة قوية هدى إليها الإسلام وحده فلا شرك ولا أثرة ولا حقد ولا بغضاء ولا عدوان ولا تواكل ولا جبانة؛ لأن هذا الدين الحق الكامل يطهر نفس من يدين به من كل ما يشوب نقاءها الأصيل ومن كل ما يعدو به الشيطان؛ ليطمس معالم فطرتها الصافية. دين يطلق الفكر من إسار التقليد ووثاق الأوهام وأصفاد الأساطير التي تحول بينه وبين معرفة الحق والوصول إلى اليقين ويخلص به نجيًا إلى حيث يفرض الحق عليه سلطانه ويكشف له عن سرائره وجلاله. دين يشيع في القلوب طمأنينة الخلود ويقين الأبد فلا تعرف حيرة الشكوك ولا ضلالة الظنون ولا كراهية إلا لما يكره الله. دين يحكم النفس رضية بشرعة الله فلا تستزلها شهوة ولا يجمح بها هوى، ولا تطرف عينها لفتنة ناعسة، ولا يظمي إحساسها رغبة هاجسة ولا تثنيها عن غاياتها السماوية قسوة الكفاح ولا صم العقبات ولا تأخذ بها رعدة من قلق أو زلزلة من خوف لأنها تعمل وهي تكاد تبصر وضاءة العاقبة وفجر المصير الوضيء، فالمصير وعد من الله وهو بيده سبحانه وحده والله قدير ولا يخلف أبدًا وعده.

تعمل في شعور تام كامل بأنها لله وحده فلا يستعبدها ذلٌ لبشر ولا خنوع لوثن. تعمل في دأب لا يخفق به نعاس الخمول وفي تعالٍ كريم عن الفردية الصماء؛ فما في ذهن المسلم وهو يعمل صورة فرديته وإنما في ذهنه صورة فرد لا

يمكن أن ينفصل عن الجماعة أو تنفصل سعادته عن سعادتها. وبهذا الشعور يحيا كل مسلم ويكافح وتتجاوب معه الجماعة في هذا الشعور والكفاح فتبنيه كما يبنيها وتسعى إليه بحقه كما يسعى هو إليها بواجبه فكلاهما يقدس الحق والواجب. فإن وهنت قواه عن العمل وجد القوى التي تجعل من ضعفه قوة مضاعفة وإن عجز عن الوصول إلى الغاية وجد القدرات التي تحيل عجزه قدرة غلابة دون أن يحس في هذا العون حرجًا أو يستشعر ما يمس كريم حيائه؛ لأن الجماعة فيما تعينه به إنما تؤدي إليه حقه وترد إليه دينه وإذا قضى نحبه نعم أولاده بالأبوة الرحيمة التي تحمل عنهم الكل وتقضي الدَّين وتصل ما ظنوا أنه انقطع من الأسباب دون أن يحسوا أثارة من ذلة؛ لأن ما تؤديه إليهم الجماعة إنما هو مما ادخره لهم أبوهم لمثل هذا اليوم. لقد كان يعمل من قبل لأبناء غيره مثل ما تعمل الجماعة اليوم لبنيه.

فلم لا تقطع في هذه الأمة يد السارق؟ إنه لا يسرق مال فرد وإنما يسرق مال جماعة متآخية متكافلة. يسرق ذخر اليتامى وتراث الأرامل. يسرق قوام الحياة للجماعة كلها. ولم لا يجلد الخاطئ الذي يدنس شرف هذه الجماعة ويرميها بالشك القاتل في شرف أنسابها وكرمها؟ ولم لا تقطَّع أيدي العصابات المجرمة وأرجلهم من خلاف وهم يبغون على سلام الجماعة الوريف وأمنها الذي يغمر العشايا والأبكار وعلى الحقوق المؤداة في سماحة وأريحية؟!

ألا إن في عدل الله حياة الجماعة ونظامها واستقامتها. فما فيه شائبة من قسوة كما يزعم المفترون الماجنون وإنما فيه الرحمة التي تأسو كل جرح وتسد كل ثلمة وتفرض بتر كل عضو فاسد لو أنه بقي لاستشرى داؤه الوبيل في الجماعة كلها فضربها بالوهن وقضى عليها!!

ما حدث من خلاف

فإذا هم بوحدة الجماعة خلاف قضت عليه بالرضا بما يحكم به كتاب الله هكذا عاشت الجماعة في عهد الرسول ﷺ وفي عهد أبي بكر وعمر وأول عهد عثمان، فما نشبت بينهم خلافات تؤدي إلى قطيعة رحم وتدبير كيد، أو وثوب

بحاكم[(١)]؛ إذا كان هوى كل مسلم تبعًا لما جاء به رسول الله ﷺ. وقد بلغ نجاح هذه الجماعة قمة الخلود وما سجل التاريخ لغير هذه الجماعة ما سجله لها من تآخ كريم وفي ودود يحرص كل فرد عليه حرصه على نفسه فإذا مسه طائف من الشيطان تذكر فأبصر فأسرع يعترف بذنبه؛ ليقام عليه الحد فيتطهر ويجد من نفسه أهلاً لمشاركة هذه الجماعة سعيها وكفاحها بعد أن تاب وتطهر. ترى ما الذي دفعه إلى الاعتراف وما رآه إنسان؟ إنها خشية الله وحده!! وهل في الحياة التي يحكمها الضمير المؤمن مثل أرفع وأشرف من هذا؟

وهفا الناس يحتشدون تحت لواء هذه الجماعة نشدانًا لهذا السلام الوريف

---

(١) يحدثنا الشهرستاني عن الخلافات التي وقعت بين الصحابة في مرض النبي وبعد وفاته فيقول: إنها اختلافات اجتهادية كان غرضهم فيها إقامة مراسم الشرع وإدامة مناهج الدين. ثم يعدد هذه الخلافات وهي باختصار.

١- الخلاف حول الكتاب الذي طلب رسول الله أن يكتبه في حال مرضه.

٢- الخلاف حول تجهيز جيش أسامة.

٣- الخلاف حول موته فقد دفع الجزع عمر إلى تكذيب نبأ موته حتى سمع من أبي بكر فتطامن حزينًا موجعًا.

٤- الخلاف حول مكان دفنه.

٥- الخلاف حول من يخلف الرسول.

٦- الخلاف حول فدك.

٧- الخلاف حول قتال مانعي الزكاة في أول خلافة أبي بكر.

٨- الخلاف حول عهد أبي بكر إلى عمر بالخلافة.

٩- الخلاف حول أمر الشورى بعد وفاة عمر إلى أن استقر رأي الجميع على بيعة عثمان.

١٠- الخلاف الذي نشب بعد عقد البيعة لعلي من بعض الصحابة. ويقول الشهرستاني عقب هذا عن الصحابة: "وإنما أهم أمورهم الاشتغال بقتال الروم وغزو العجم، وفتح الله الفتوح على المسلمين وكانوا كلهم يصدرون عن رأي عمر وانتشرت الدعوة وظهرت الكلمة ودانت العرب ولانت العجم" ويقول عن عهد عثمان: "وانتظم الملك واستقرت الدعوة في زمانه وكثرت الفتوح وامتلأ بيت المال وعاشر الخلق على أحسن خلق وعاملهم بأبسط يد" جـــ١ ص١٣ وما بعدها الملل والنحل. ط مكتبة الحسين التجارية.

الجميل الذي يغمر النفس والحياة من هذه العقيدة النقية الصافية، ومما شرع الله لتثبيتها في القلوب من شرعة محكمة تظل عبر القرون حتى تقوم الساعة وهي وحدها مصدر الحق والخير والعدالة والأخوة والسلام والسعادة!! ولست بالحالم ولا بالمتعصب فيما كتبت فإنما هي حقيقة أقصها وقد مجَّد جلالها شرف الصدق من التاريخ.

أحقاد تتآمر: بيد أن هذا النجاح المخلد ذكره أثار على الإسلام أحقاد الذين يكرهون أن ينتصر الحق ويسود الخير ويهدي النور الحيارى في الظلام.

أولئك الذين يحبون أن يعيش الناس عبيد ضلالات وأسارى أوهام؛ لتظل لهم السيطرة الباغية على نفوسهم فيسخروهم لأهوائهم وشهواتهم. كما تلظت على الإسلام والمسلمين أضغان الصهيونية؛ لأنه قضى على ماديتها التي تنشب مخالبها المسممات في كل روحانية وعلى مجانتها التي تتاجر في الأعراض وسلع الأجساد في ردغات الخطايا؛ ولهذا هبت مذعورة تجمع حول أهدافها كل ذي ضغن من أولئك الذين أنقذ الإسلام الإنسانية المعذبة من سياطهم الباغية وجعل من أصحاب هذه الإنسانية -وكانوا عبيدًا- أحرارًا تهتف أمجاد التاريخ ببطولاتهم المعطرة بالنبل والعزة والكرامة[1]، وتقدمهم مثلاً عليا لبطولة الإيمان وشجاعة العقيدة وقوتها وجلال التضحية الملهمة في سبيل الله. حشدت الصهيونية البغاة من أولئك الذين ألهوا النار، واتخذوا من الكواكب والشياطين والإنسان أربابًا معبودة يسخرون باسمها لشهواتهم أقوات الشعوب وتواريخها. حشدت أولئك الذين أدال الإسلام من سطاهم وطغواهم ثم قذفت منهم بعصابة سوداء تحالفت لقتل عمر بقيادة الصهيوني "كعب الأحبار"[2]، فقتل عمر. وقد ظن هؤلاء أنهم

---

(١) أمثال بلال وعمار بن ياسر وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وحسبك ما قاله عمر وهو يفكر في الخلافة من بعده: "لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًا استخلفته وقلت لربي إن سألني: سمعت نبيك يقول: إن سالمًا شديد الحب لله" ص٣٤ جـ٣ ابن الأثير.

(٢) كان المؤتمرون هم "كعب الأحبار" وهو يهودي والهرمزان وهو مجوسي وجفينة وهو صليبي من نصارى الحيرة. وأبو لؤلؤة المجوسي، وهو الذي نفذ المؤامرة وهكذا اشترك =

بقضائهم على هذا البطل العظيم يقضون على الإسلام ودولته، ولكن الصهيونية لم تسعد بهذا السراب، وإن كانت قد قضت على أمل كبير وقوة عظيمة ظافرة وعدل سجل التاريخ بيد العدو جلاله وسموه. ثم انشق الغيب المجهول عن الفهد الماكر الخاتل عبد الله بن سبأ [1]. وقد ظهر الملعون في عهد عثمان في صورة زاهد ورع يفيض حبًا للإسلام ويبشر بسماحة مبادئه ويصطنع الغيرة على شريعته من أن ينال منها حاكم وأخذ يقعد لفرائسه كل مرصد ومن ورائه عصابة مقنعة بالحذر والدهاء تحرس خطاه وتحمي ظهره وتبشر بمفترياته السود وتعينه في الإجهاز على ضحاياه. لقد تلمس الماكر السبيل إلى عاطفتين يضطرب بهما القلب إذا اضطربتا فيه عاطفتي الحب والكراهية فوجد في القلوب حبًا مشبوبًا لآل البيت وهوى يحنو على علي ويرمض بعضها الأسى لحرمانه من الخلافة [2]، فهفا يؤجج أوار عاطفة الحب هذه حتى استزلها إلى الغلو النزاع إلى تأليه المحبوب، وإلى العمل في سبيل القضاء حتى على من تتخيل أنه يعاديه أو يظلمه!! كما لمس في نفوس بعض الموالي ومن على شاكلتهم كراهية مقيتة للعرب وفي نفوس قلة من العرب كراهية لبني أمية فظل بهذه الكراهية يهيجها حتى صممت على أن تعمل؛ لتدمر العرب وبني أمية فتروِّه عن الغليل المسعور في أعماقها.

= في قتل عمر كل خصوم الإسلام.

(١) يهودي من صنعاء نزل أول ما نزل بالحجاز مدعيًا الإسلام، ثم راح ينساب كالصل في الأمصار الإسلامية وقد رغب إلى عثمان ﷺ في أن يوليه منصبًا كبيرًا لعله يستطيع به السيطرة على الخليفة نفسه فرفض الخليفة. وقد كان وراء كل فتنة في عهد عثمان ثم في عهد علي وقد ظفر علي بالسبئيين فحرقهم. أما ابن سبأ نفسه فنفاه علي إلى المدائن.

(٢) كان علي وقت بيعة أبي بكر مشغولاً بإعداد ما يلزم لدفن الرسول، وحينما سمع ببيعة أبي بكر خرج عجلان في قميص ما عليه إزار ولا رداء حتى بايعه. وقيل: لم يبايع إلا بعد موت فاطمة رضي الله عنهما انظر ص٢٢٠ جـ٢ ابن الأثير ويروى عنه قول: "والله ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصدًا للخلاف ولا إنكارًا للمعروف ولا زراية على مسلم بل لما وقذني -أي تركني عليلاً- به رسول الله ﷺ من فراقه وأودعني من حزنه" ص٢٢٩ جـ٧ نهاية الأرب وسواء أكان هذا أم ذاك فالثابت أن عليًا ﷺ عنه طابت نفسه ببيعة أبي بكر وظل له عضدًا قويًا ووزير صدق وإخلاص في المشورة.

مفهوم كلمة الشيعة

وقد تجمع كثير من هؤلاء تحت اسم خادع خلاب ساحر الوشي، اسم "الشيعة" أي أنصار علي وقد مكروا بهذا الاسم ومفهومه الذي ذكرنا في هذه الآونة، فلم يسفروا عن غايته وأهدافه التي ظهرت فيما بعد فلا عجب إذن من أن ينضوي كثيرون تحت هذا الاسم دون أن يجدوا في هذا الانضواء الذي يعبر عن الحب فحسب ما ينال من المكانة العظيمة التي في قلوبهم لأبي بكر وعمر وعثمان؟

كيد ابن سبأ:

وسلك ابن سبأ سبيلاً آخر وهو العمل في سبيل أن يفقد المسلمون الثقة في حكامهم فجد يدمغ بالبهتان الأسود ولاة المسلمين الذين يشعر أنهم خطر بالغ عليه(١) والذين لهم من فتوتهم وشبابهم وبطولاتهم ما يجعلهم مُثلاً عليا في نظر شبيبة الإسلام وما يجعل مستقبل الدولة رفافًا عليهم وكان يعد بما يبهت به هؤلاء شهود زور ممن لهم وجوه تتراءى بسيماء السجود وذمم يشتريها كأس من الخمر أو وعد به وممن يسلكون الدروب المظلمات من النفاق فلا تبصر بهم عيون العدالة.

اجترح ابن سبأ هذا وهو يفتري حماس الداعين إلى تطهير المجتمع الإسلامي من الفساد والمفسدين وغايته المغيبة وراء نفاقه وريائه تدمير كل عقبة تعترض طريقه.

ويزحف هذا الأفعوان الذي قذفت به الصهيونية؛ لينجح فيما فشل فيه

---

(١) كما حدث للبطل الإسلامي العربي الشاب "الوليد بن عقبة" فقد دبرت له مكيدة محكمة وهو أمير الكوفة في عهد عثمان فبهت بأنه شرب الخمر وصلى بالمسلمين صلاة الصبح وهو مخمور وشهد ضده موتوران خربا الذمة من عرابيد الليل السكران. على حين كان الوليد من مغاوير الأبطال وكان موضع السر في الرسائل الحربية المتبادلة بين أبي بكر وخالد وقاد الفيالق الإسلامية إلى شرق الأردن وقد كشف عن هذا الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب في تعليقه على العواصم من القواصم وأتى بالأدلة القاطعة.

كعب الأحبار هنا وهناك نافثًا سمومه في كؤوس ذات ألوان متباينة يخدع بها الشاربين عما فيها فهو المتيم بحب آل البيت تتيمًا ينـــزع إلى العبادة وهو الفوار الحقد على من قيل إنهم سلبوا عليًا حقه، وهو الثائر على العصبية العربية مع الحاقدين عليها من الموالي، وهو الداعي إلى تحقير شأن هؤلاء وهو الحزين المؤرق المسهد لما يسود المجتمع من سفه وهو الناقم من عثمان -كما يزعم المفترون- إيثاره لبني أمية بغيًا وعدوانًا وهو المندد باضطهاد الأمويين لغيرهم من أبناء البطون الأخرى!! ويشهد تاريخ الحقيقة أن "ابن سبأ" وعصابته هم الذين افتروا هذه الظنون وأفكوا هذا البهتان، حتى اضطرب المجتمع وارتاب في كثير من ولاته. ولم يكتف "ابن سبأ" بهذا بل ثور الإفك ضد عثمان نفسه فقد كان هو الهدف فاستجاب لهذا الإفك فئة أمشاج ممن ظفر بهم "ابن سبأ" فقتلوا في الفتنة الشعواء عثمان ذا النورين شهيد الأريحية والسماحة والكرم فاحتدم الصراع واضطرم به المجتمع الإسلامي كله وقذف ابن سبأ وعصابته بشواظ منه فأجج الفتنة به بين علي ومعاوية فانقسمت الأمة على نفسها وحملت السلاح تدفنه في صدورها وهي لا تدري أن الصهيونية هي التي وضعت هذا السلاح في يدها وسعرت هذا الكراهية في قلبها ولقد همت الطائفتان أن تفيئا إلى السلام فأدرك ابن سبأ وأنصاره -وهم بين جماعة علي- أن في هذا السلام قضاء على أحلامهم وعليهم فأثاروا فتنة الخوارج؛ ليشغلوا بحربهم عليًا، فتتحطم قوته هذه التي كان من الواضح حينئذ أن سيكون لها الغلب فإذا ما نالوا من هذه القوة عن طريق ثورة الخوارج تحطمت بعد ذلك القوتان قوة علي وقوة معاوية حين يدور بينها الصراع مرة أخرى، وشت يرثون هم الدولة التي أصبحت من غير قائد!! ولكن الصهيونية وقد أسكرتها بوادر انتصارها أرادت أن تتعجله قبل ميقاته فدبرت قتل علي وعمرو بن العاص ومعاوية ليخلو الميدان من صفوة أبطاله ويصبح الجنود من غير قائد مجرب محنك له مكانته في القلوب فقتل علي[1] ونجى الله البطلين

---

(١) قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم. بيد أنه كان وراء مؤامرة قتله أحد الموالي هو "زادويه" مولى بني العنبر. وكان الموالي ثمت تحت إمرة السبئية. انظر ص٤٣٣، ٤٢٩ =

الآخرين.

وأقبل الحسن بن علي بكل ما يفيض به قلبه الطهور من إيمان وخشية وإيثار كريم وحرص بالغ على وحدة الجماعة يصب على سعير الفتنة فيضًا ثجاجًا من حكمته وبر إيمانه فتنازل رضي النفس لمعاوية وخلد التاريخ ذكر العام الذي تنازل فيه فسماه: عام الجماعة(١).

وحقدت الصهيونية الملثمة باسم "الشيعة" على الحسن أنه عرف هدفها فأبت حكمته وعزة إيمانه أن يكون خنجرًا في يدها تغرسه في صدر أمته، فدست له السم الذي مات منه بعد أن فشلت في اغتياله قبل ذلك وحاولت أن تطمس معالم تضحيته الرائعة وأن تلوث تاريخه(٢).

شيعة وخوارج

حرب وحرب: وفي خلال تلك الفتن الجوامح التي سفكت فيها دماء مطهرة بريئة كانت الصهيونية تبث العقائد الضالة التي هي أمشاج من اليهودية والمجوسية والصليبية وغيرها من تراث الوثنيات القديمة ومن كل ما افترت من

= جـ٢ مروج الذهب ط٢ سنة ١٩٤٨، وص١٢٩ جـ٧ الكامل للمبرد بشرح المرصفي.

(١) سنة ٤١ هـ: ٦٦١م.

(٢) تلمح فيما يكتب شيعة ابن سبأ حقدًا مريرًا على الحسن. دلائله قلة ما ينسبون إليه من كرامات وكثرة ما ينسبون إليه من مساوئ فلقد وضعوا على لسان أبيه قوله: "الحسن كثير السخاء لا هم له إلا الطعام والضيافة، أما الحسين فهو مني وأنا منه" ص٩٠ عقيدة الشيعة. ولقد سجل التاريخ للحسن أنه رمى في وجه السبئية بما كشف عن سوء دخلهم وخيانتهم فقال: "لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال، لذهلت. مقتلكم لأبي وسلبكم وطعنكم في بطني وانتهابكم متاعي. وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا" ص٩ جـ٣ مروج الذهب، ص٩٢، ٩٥ جـ٦ الطبري، ص٢٠٣ جـ٣ الكامل لابن الأثير وقد شق على الحسين أن يصالح الحسن معاوية فاستحث أخاه على القتال، فانبعثت حكمة الحسن وأخوته في زجرة واعية صادقة وجهها إلى أخيه الحسين في قوة رحيمة مؤمنة بغايتها: "والله لقد هممت أن أسجنك في بيت وأطبق عليك بابه، حتى أفرغ من هذا الشأن ثم أخرجك" ص١٥٠ جـ٨ البداية والنهاية لابن كثير.

بدع وأساطير حاربت بها دين الحق وأفسدت عليه العقول والقلوب وما كان يهم الصهيونية -وقد فضح جريمتها نور الإسلام وهداه- أن تنتشر اليهودية وإنما كان يهمها قبل كل شيء القضاء على هذا الدين العظيم الذي عصف حقه بباطلها، فلا عجب إذا رأيناها تستعين بكل بدعة منكرة سواء أكانت يهودية أم مجوسية، أم صليبية في حربها للإسلام[1]؛ لكي تجهز على هذه القوة الباهرة التي لا تعرف إلا النصر والظفر في الجهاد في سبيل الله وإلا تعبيد كل سبيل لمواكب الحب والإخاء والحق والنور. قوة الإيمان الصادق في قلوب المسلمين.

ولقد كان المسلمون -والصهيونية تختل بهذه البدع- في شغل بالفتنة عن القرآن فاستطاعت أن تستميل بعض القلوب التي هجرت النور فكرهت الخير الذي كان يهديها في الظلمات! وما أتعس من يترك مصباحه الوهاج وهو يتجشم السرى في الليل الرهيب!

طائفتان: كان هناك في المجتمع طائفتان بارزتان تنابذان الأمة الإسلامية العداء هما الخوارج والشيعة[2] وكانت هذه لا تزال تخاتل بالمعنى الساحر لكلمة الشيعة أي أنصار علي فحسب، ولقد حملت الفرقة الأولى مهمة تدمير قوى المسلمين المادية بما أججت من حروب وسعرت من ثورات وصراع وكانوا صُبرًا على القتال مستلئمين في الجلاد. أما الطائفة الأخرى فكانت مهمتها تدمير

---

(١) نضرب مثلاً بما دسه كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما ممن لم يذكر التاريخ أسماءهم وإن كانوا قد سجلوا على صفحاته آثارهم.

(٢) يقول ابن حزم: " إن جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيرًا ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفع للإسلام راية ومازالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ويفرقون كلمة المؤمنين ويسلون السيف على أهل الدين ويسعون في الأرض مفسدين أما الخوارج والشيعة فأمرهم في هذا أشهر من أن يتكلف ذكره وما توصلت الباطنية إلى كيد الإسلام وإخراج الضعفاء منه إلى الكفر إلا على ألسنة الشيعة" ثم يقول "واعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمي إلى الإسلام فإنما عنصرهم الشيعة والصوفية" إنها نظرة من نظرات ابن حزم الثاقبة!! انظر ص٢٢٧جـ ٤.

قوى المسلمين الروحية بما بث من بدع ومعتقدات فاسدة[١] جعلت من كثير أشباحًا واهنة هزيلة تخيفها النأمة ونفوسًا خبا فيها الشعور بالحياة، وعقولاً تمقت النور فلا تأذن لشعاعة منه أن تهدي لها حيرة!

ووراء الفرقتين كانت الصهيونية بكيدها ومكرها ولآمتها. ولا يروعنا أن نراها مع جماعة تغلو في التعبد والتهجد وتنهك قواها في طول السجود ونراها مع جماعة أخرى تسرف في المروق عن الدين وتشيح بوجهها عن المحاريب وتنزع إلى التحلل والمجانة. فلقد أمدت الصهيونية كل طائفة بما تعرف أنه هواها وحسبها أن تدمر المسلمين وأن تجمع هاتين الطائفتين المتباينتين على هدفها وأن تسخرهما لهواها وغايتها التي تريد تحقيقها تلك هي القضاء على أمة الإسلام ودينها، ألا ترى الصهيونية اليوم وراء الشيوعية ووراء الرأسمالية في وقت واحد لتدفع بهما إلى الطغيان والتدمير فكل همها أن تخرب فمسيحها الموعود لن يظهر إلا على أطلال خرائب الكون!!

سكون العاصفة: وقاد معاوية السفينة في قوة وحكمة وشجاعة وأريحية، ومضى يشق لها طريق النجاة في البحر العاصف الموار المضطرب. ولم يجد بدًا من أن يجتث بعض الأعشاب التي أصرت على أن تعوق مجراها وأن يحطم بعض الصخور التي كانت تقف في طريقها فنعمت الجماعة الإسلامية في عهده المبارك

---

(١) يقول المستشرق الألماني الكبير فلهوزن في كتابه تاريخ الدولة العربية "غير السبئية الإسلام من أساسه ... فذهب السبئية إلى أن شخص النبي لم يمت بموت محمد بل هو باق في سلالته واحدًا بعد واحد وبنوا مذهبهم على القول بتناسخ الأرواح ووجهوه توجيهًا خاصًا فقالوا: إن روح الله الذي يسري في الأنبياء ينتقل بعد موت كل نبي إلى النبي الذي بعده. وإن روح محمد خاصة انتقل إلى علي وإنه باق في سلالته وعلى هذا فإن عليًا لم يكن في نظرهم هو الخليفة الشرعي لمن قبله وحسب بل كان في مرتبة أعلى من مرتبة أبي بكر وعمر اللذين يزعم الشيعة أنهما دخلا بينه وبين محمد واغتصبا حقه بل ذهب السبئية إلى أن عليًا هو الروح الإلهي المتجسد وأنه وارث النبوة. وكانت لهم أوكار في بعض قبائل العرب في الكوفة لكنهم بعد ذلك درجوا منها وانتشروا في الكوفة نفسها خصوصًا بين موالي الفرس الكثيرين" ص٦٤.

بوحدتها القوية واستردت الكثير مما فقدته من أمنها وشعرت أن مد الفتوح قد آن أوانه.

فتنة الحسين

قتلة الحسين: وتولى يزيد وطمعت فيه السبئية وصممت على أن تسحقه فانطلقت مسعورة تمهد لهذا بما ذهبت تشيعه عن فسق يزيد وظلمه وكفره، وجور بني أمية وطغيانهم وما كان يزيد كما زعمت[1] إنما كان ضحية بهتان وقربان مفتريات وما كان بنو أمية في مجموعهم ظالمين وإنما كانت الأكثرية الغالبة منهم حماة دين بُغي عليه وحراس عروبة يُحاوَل القضاء عليها وفي سبيل هذا جالدوا السبئية وأغلظوا عليها حتى تخنس إلى الأبد وضاع في حومة الصراع من لم يبن وجهه.

وقد استغلت السبئية الموالي والسبايا من الفرس والولدان في بث شناعاتها، وكانوا حشدًا كبيرًا فهمسوا بهذه التخرصات في المتاجر والبيوت والقصور والمنتديات وبين سُمار الليل.

وما كان يزيد في قوة أبيه ولا حكمته ولم تكن له المكانة المهيبة التي كانت لأبيه في قلوب المسلمين والتي سما بها أنه صحابي كريم وكاتب وحي ومبذول الكرم لكل مرتاد ورغم هذا لم تستطع السبئية أن تجابه يزيد بجنودها ففكرت في رجل من بيت النبوة تقدمه وقودًا لمعركة تثيرها ضد يزيد، وراحت تجهد مكرها حتى استطاعت أن تخدع الحسين فدعته إلى ما صوروه أنه حق وخير، وإلى ما ظنه هو كذلك وهو إنقاذ الأمة الإسلامية من ظلم بني أمية وجور يزيد وفسوقه! فاستجاب لهذه الدعوة ظانًا أن الذين دعوه فوارس إسلام وأبطال استشهاد، فقد أكدوا له ذلك في مئات الرسائل التي طارت إليه منهم أكدوا له أنهم عشرات ألوف في يد كل منهم صارم بتار تضرب به عزيمة جبارة.

---

(١) اتهم عبد الله بن مطيع داعية ابن الزبير يزيد بن معاوية أمام محمد ابن الحنفية بشرب الخمر وترك الصلاة ومجافاة الحكم بالكتاب والسنة. فقال له محمد بن علي بن أبي طالب: "ما رأيت منه ما تذكرون وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظبًا على الصلاة متحريًا للخير يسأل عن الفقه ملازمًا للسنة" ص٢٣٣ جـ٨ البداية لابن كثير.

الحسين يرفض النصيحة: وخرج الحسين من مأمنه يقصد الكوفة حيث احتشدت الألوف رياء حول مسلم بن عقيل ابن عم الحسين ورسوله إلى أولئك فأسرع عبد الله بن عباس إلى الحسين ينصحه بقوله: «إني أعيذك بالله. أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبي بلادهم فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك أن يغروك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك» وأشاح الحسين بوجهه عن النصيحة، بيد أن ابن عباس لم ييأس. فعاد يكرر نصحه بقوله: «إنك تأتي قومًا قتلوا أباك وطعنوا أخاك وما أراهم إلا خاذليك»[1] ثم تشبث ابن عباس ببقية من رمق. ثم قال: «فإن كنت سائرًا. فلا تسر بنسائك وصبيتك فإني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه»[2]. وأبى الحسين إلا أن يبر بوعده مع أولئك الذين ائتمروا مع الشيطان والخيانة وحينما شارف شفا المأساة وعلم الذين خدعوه أنه قد سُدَّت عليه المسالك. بدأ المؤتمرون في تنفيذ مؤامرتهم فانفضوا من حول مسلم بن عقيل وتلفت هذا يبحث وينقب عن هذه الألوف التي كانت تومض سيوفها معه في الصباح فلم ير إلا وهمًا كذوبًا وأشباحًا تفر تحت غياهب الليل!

مأساة مسلم بن عقيل: أسرع عبيد الله بن زياد بجبروته وحزمه الصارم إلى الكوفة؛ ليردع هؤلاء الذين خرجوا على الخليفة الشرعي واحتشدوا حول "مسلم" بغية تدمير الدولة والأمة، ثم اعتلى المنبر وصاح بها هادرة زاجرة ناصحة: "أنا لمحسنكم كالوالد البر ولمطيعكم كالأخ الشقيق وسيفي وسوطي على من ترك أمري وخالف عهدي فليبق امرؤ على نفسه[3]، وتلفت مسلم عند صلاة المغرب هنا وهناك يبحث عن الألوف من السيوف والأبطال الذين كانوا

---

(١) ص ٢٥٦ جـ٣ الكامل، ص٦٤ جـ٣ مروج الذهب ص١٦٢ جـ٨ البداية، ص ١٠٩ مقاتل الطالبيين وشت نصائح كثيرة تقرؤها في هذه المصادر.

(٢) ص ٢٧٦ جـ٣ الكامل.

(٣) ص ٢٦٩ المصدر السابق، ٩٧ مقاتل الطالبيين.

معه في ضحى اليوم فلم يجد سوى ثلاثين رجلاً وحينما فرغ من صلاته وخرج من المسجد تلفت فلم يجد من الثلاثين إلا ذكرى ولم يسمع إلا أصداء خفق نعال ملهوفة مذعورة السرى تحت جنح الليل!! لم يجد إلا مكيدة دبرت بإتقان وإحكام؛ لتقضي بها السبئية على الحسين ثم تولول بعدها أبد الدهر على دمه صدعًا لوحدة الجماعة!! وطوى الليل مسلمًا طريدًا شريدًا في الدروب التائهات المظلمات لا يجد عاطفة تحنو ولا يدًا تعين ولا بيتًا يأوي ولا عينًا تسارقه النظر؛ لتهديه في حيرته ثم تهاوى من الإعياء على باب امرأة فبصرت به فسقته كما أراد ثم أمرته أن ينصرف فقال الضحية المفجوع قولته التي سجلت على السبئية أنهم هم الذين يحملون وزر قتل الحسين: «ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك إلى أجر ومعروف ولعلي أكافئك به بعد اليوم؟!» فقالت المرأة الطيبة: "وما ذاك؟" قال: «أنا مسلم بن عقيل. كذبني هؤلاء القوم وغروني» فآوته المرأة، ولكن ابنها كان أموي الهوى فضح سر مسلم فقبض عليه جنود ابن زياد ثم سيق إلى الموت فتضرع إلى عمر بن سعد أن يقرب منه؛ ليسمع منه وصيته وهم عمر أن يمتنع فقال له ابن زياد: «لا تمتنع من حاجة ابن عمك» فمضى عمر إلى مسلم؛ ليسمع وصيته فقال مسلم: «إن علي بالكوفة دينًا فاقضه عني وانظر جثتي فاستوهبها فوارها وابعث إلى الحسين من يرده» وسمع ابن زياد من عمر ما قاله مسلم له فقال لعمر: «أما مالك فهو لك تصنع به ما شئت وأما الحسين فإن لم يردنا لم نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه، أما جثة مسلم فإنا إذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها» ثم قال لمسلم: «أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة؛ لتشتت بينهم وتفرق كلمتهم» وحينما أيقن مسلم أنه لابد مقتول قال لمحمد بن الأشعث: «هل تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً يخبر الحسين بحالي، ويقول له عني؛ ليرجع بأهل بيته ولا يغرك أهل الكوفة؛ فإنهم أصحاب أبيك الذين كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل» فقال ابن الأشعث: «والله لأفعلن» ثم أرسل إلى الحسين رسولاً بما قال مسلم[1]، وقتل مسلم والحسين في تصميمه على الوفاء بوعده.

---

(١) ص٢٧٢ وما بعدها جـ٣ الكامل، ص١٠٥ وما بعدها مقاتل الطالبيين وقد أدرك =

ضراعة إلى الحسين: وبينما كان الحسين في طريقه إلى الكوفة جاءه كتاب من ابن عمه عبد الله بن جعفر وفيه يقول: «إني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك» غير أن الحسين ظل يصعد حتى انتهى إلى ماء من العرب فإذا عليه عبد الله بن مطيع فلما تبين ما يريد الحسين قال له: «أذكرك الله يابن رسول الله، وحرمة الإسلام أن تنتهك. فلا تفعل ولا تأت الكوفة» وأبى الحسين إلا مضيًا فمضى فبغته وهو في طريقه مقتل مسلم فهم بالعودة غير أن صرخة الثأر التي انطلقت من آل ابن عقيل دفعت بالحسين إلى الأمام في سباق مع المصير وثمت لقيه شيخ عربي فقال له: «أنشدك الله لما انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف. إن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم لكان ذلك رأيًا. فأما على هذه الحال التي تذكرها فلا أرى لك أن تفعل» ولكن عاطفة الحسين كانت أقوى من كل رجاء وتوسل ونصيح فمضى في طريقه.

بين الحسين وبين قواد الأمويين: أقبل الحر بن يزيد التميمي في ألف فارس ليحمل الحسين إلى ابن زياد فحدثه الحسين عن الكتب التي أرسلت إليه فقال الحر: «إنا والله ما ندري ما هذه الكتب، والرسل التي تذكر» فأخرج الحسين خرجين مملوأين صحفًا فنثرها فقال الحر: «فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أُمِرْنا أنًا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد» فقال الحسين: «الموت أدنى إليك من ذلك» وأمر الحسين صحبه، فركبوا؛ ليستأنفوا المسير فمنعهم الحر فقال الحسين: «ثكلتك أمك ما تريد؟» فقال الحر: «أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنًا من كان ولكني والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه» فقال الحسين: ما تريد! فقال الحر: أريد أن أنطلق بك إلى ابن زياد فقال الحسين: إذن والله لا أتبعك!! فقال الحر: إذن والله لا أدعك.. فترادا الكلام ثلاث مرات، ثم قال الحر: «إني لم أؤمر بقتالك وإنما أمرت ألا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقًا لا تدخلك الكوفة ولا

رسول ابن الأشعث الحسين وهو بزبالة.

تردك إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك». فسار الحسين بصحابه متياسرًا عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره حتى لقيا عمر بن سعد في أربعة آلاف فاجتمع به الحسين وخرج عمر من هذا الاجتماع الطويل مسرورًا وكتب إلى ابن زياد: «أما بعد: فإن الله أطفأ الثائرة وجمع الكلمة وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه، أو أن نسيره إلى أي ثغر من الثغور شئنا أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده وفي هذا لكم رضا وللأمة صلاح» وقال ابن زياد بعد أن قرأ كتاب عمر: «هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفق على قومه، نعم قد قبلت»[(١)] ولكن شمر بن ذي الجوشن نصح ابن زياد بأن يطلب من الحسين المجيء إلى الكوفة؛ ليجدد العهد الذي نقضه بين يديه وانصاع ابن زياد لنصيحة شمر ولكن الحسين أبى أن يستسلم لابن زياد فكان لابد من الصراع وحمت الفاجعة.

نهاية المأساة: فجع الحسين أن يجد في مقدمة الجيش الذي احتشد لقتاله زعماء الذين دعوه، ليكونوا معه إلبًا ضد بني أمية فنادى من أغوار فاجعته النفسية: «يا شبث بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا زيد بن الحارث. ألم تكتبوا إليّ في القدوم عليكم؟» فقالوا: لم نفعل!! فقال الحسين: بلى والله لقد فعلتم. ألم تكتبوا إليّ أنه قد أينعت الثمار واخضر الجناب فاقدم علينا فإنك إنما تقدم على جند مجندة!! فقالوا: لم نفعل: فقال الحسين: سبحان الله والله لقد فعلتم[(٢)]. وحمت المعركة فالتفت الحسين إلى حرمه وإخوته وهن يخرجن من أخبيتهن جزعًا لقتل من يقتل معه- ثم قال: «لله در ابن عباس فيما أشار به علي»[(٣)] ثم قذف بنفسه في سعير المعركة. وعلى دوي أجيجها زأر الحسين بصرخته التي أشهد الله بها على غدر الشيعة. وأدان قاتليه: «اللهم احكم بيننا

---

(١) انظر في كل ما ذكرنا من ص٢٧٦ إلى ص٢٨٤ جـ٣ الكامل لابن الأثير وص ١٧٢ جـ٨ البداية والنهاية لابن كثير وانظر ص١١٣ مقاتل الطالبيين.

(٢) ص٢٨٦ جـ٣ ابن الأثير ص١٧٩ جـ٨ البداية والنهاية ص٦١ جـ٦ الطبري.

(٣) ص ١٠٩ مقاتل الطالبيين.

وبين قوم يدعوننا؛ لينصرونا ثم هم يقتلوننا»[١]. وقتل الحسين البطل المخدوع[٢]، فمن قتله؟ إن الحسين نفسه أدان الذين اقترفوا هذه الجريمة التي تتسم بالغدر والدناءة. لقد دعاه شيعة ابن سبأ لإنقاذ الأمة الإسلامية من ظلم بني أمية كما زعموا فلما أقبل غدروا به وتركوه لعدوه. وأوغلوا في الكيد والشماتة. فرفعوا السيوف في وجهه. وسددوا الحراب إلى صدره ليقتل وليصبغ دمه الشريف أفق الأمة الإسلامية بشفق المأساة الدامية. وليتخذوا من مصرعه مناحة يلطم فيها الحقد الأسود خديه ختلاً ونفاقًا ويعربد بصرخة الثأر. ولقد برهن هؤلاء بهذا الغدر الوضيع[٣]، وهذا التدبير اللئيم أنهم لا يتورعون عن ارتكاب كل جريمة خسيسة ومنكر في سبيل الوصول إلى هدفهم. ولقد مضوا بعد مقتله يذكون ضرام الفتن الهوج. ويبرزون المأساة في صور لا يسكن بها شجن ولا يخمد أسى ولا ترقأ دموع وقد افتنَّ في تصويرها تهويلات الخيالات من نوائح التاريخ ونوادبه وما أكثر الذين يلذ لهم اللطم في المنادب والمناحات!! ولقد سفكت من قبل دماء زكيات كانت أعز وأغلى. دم الخليفة البطل العادل عمر. دم الخليفة الأريحي النبيل عثمان. دم الخليفة الشجاع علي. ولكن هذه الدماء التي بغي عليها لا تلهج السبئية بذكرها بل إنها لتلعن بعضها حتى لنرى الذين اندسوا بأهوائهم في كتب التاريخ يكادون يمرون بمقتل عمر وكأنما هو أمر هين لا يستحق أن يقف التاريخ عنده إلا ليحاول أن يلقي سترًا على الجناة البغاة من السبئية. أما حين يأتي مقتل

---

(١) ص ٧٠ جـ ٣ مروج الذهب، وانظر حوادث سنة ٦٠ هـ جـ ٦ الطبري وص٢٩٤ جـ٣ ابن الأثير.

(٢) قتل سنة ٦١هـ - ٦٨٥م بكربلاء، وكان عمره خمسًا وخمسين سنة.

(٣) يقول اليعقوبي وهو مؤرخ شيعي: "إن علي بن الحسين حين سمع نساء الكوفة يصرخن ويبكين قال: هؤلاء يبكون علينا. فمن قتلنا؟" ص٢١٨ جـ٢.

وإليك ما يقوله الشيعة في زيارتهم لضريح الحسين في كربلاء: "أشهد أن دمك سكن في الخلد واقشعرت له أظلة العرش، وبكت له السموات السبع. وأشهد أنك ثار الله وابن ثاره، وأشهد أنك وتر الله الموتور في السموات والأرض لعنت أمة قتلتكم وأمة خالفتكم وأمة جحدت ولايتكم. والحمد لله الذي جعل النار مأواهم وبئس الورد المورود" ص ٣٥٩ جـ٢، من لا يحضره الفقيه، ويراد بهذه اللعنة أيضًا كل من بايعوا أبا بكر.

الحسين فيخيل إليك أن أولئك الذين كتبوا قصته كانوا يريدون أن تتفطر معهم السموات والأرض وأن تقف دورة الفلك. ويخيل إليك أيضًا أنهم يعجبون كيف ظلت الحياة جياشة والوجود قائمًا بعد مقتل الحسين!! نعم كان مقتله نكبة وصدعًا كبيرًا بيد أنه لا يقارن بمقتل عمر، فلماذا ينسى نوادب التاريخ فجيعة الإسلام والمسلمين في عمر على حين يذكرون بالدموع الغزار والعويل والنحيب وشق الجيوب ولطم الخدود مقتل الحسين في كل عام وكتاب؟ هذا هو السؤال الذي نوجهه في هدوء لا نحب أن تعصف به لجاجة الحقد من المقلدة والمقنعين، وجدل البغضاء من رادة النفاق وزيف العواطف وأكلة اللحوم من رمم المقابر!!

إننا نعترف بأن الذين أحكموا مؤامرة قتل الحسين، قد نجحوا فيما لم ينجح فيه سلفهم وهو صدع الجماعة صدعين متنافرين متباغضين حتى الآن، وزلزلة أركان الدولة الأموية دولة العروبة الخالصة والإسلام القوي الدولة التي قاومت من بين ما قاومت تيار البدع الجارف الذي اجتاح بعدها بقايا الإسلام في صدور المسلمين.

المختار الثقفي والنبوة

دعيٌّ نبوة: ثم ظفرت السبئية بالثعلب الماكر المختار بن أبي عبيد الثقفي(١) ذلك الأفاك الذي استحوذت عليه أطماعه واستبدت به حتى أضلته ضلالاً بعيدًا. لقد عرض نفسه على كل مشتر فكان خارجيًا ثم زبيريًا ثم شيعيًا. وكان تشيعه صفقة رابحة للسبئية؛ إذ اشترته بثمن بخس فقدم لها أكثر مما كانت تطمع فيه حينئذ. لجج الدماء النوازف من آلاف الضحايا، تَرَنُّح الدولة الأموية، القضاء على أمن الجماعة وسكينتها التي كانت قد بدأت تستثني رياها غير أن أعظم ما ظفرت به منه هو الرضي بادعاء النبوة. إنها لهجت من قبل بتأليه عليٍّ(٢) غير أن

---

(١) ولد عام الهجرة. أبوه صحابي جليل. وأخته زوجة لابن عمر قتل معظم من اشتركوا في مقتل الحسين إلى أن ظفر به مصعب بن الزبير فقتله سنة ٦٧ .

(٢) قال ابن سبأ بعد قتل علي: "لو أتيتمونا بدماغه سبعين مرة ما صدقنا موته ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا" وحينما حرق علي بالنار أتباع ابن سبأ قال الناجون منهم: "الآن صح عندنا أنه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله" انظر ص١٨٠، =

عليًا حرق بالنار من افتروا هذا الإفك ولم تظفر حتى عهد المختار بمن يرتضي الجهر بأنه يوحى إليه ممن ينتسبون إلى الجماعة الإسلامية. وكانت تريد الظفر بهذا؛ لتهز ركنًا قويًا من أركان الإسلام، هو الاعتقاد بأن محمدًا خاتم النبيين فتصرف قلوب الناس عن وحي الله إلى وحي الشيطان، وحي الوثنية والشر والكراهية وتربط ضحاياها بالعهد مع نبي لا مع زعيم فللنبوة قدسية تدفع نفس المؤمن بها إلى التضحية في سبيلها وليس من يقاتل في سبيل زعيم كمن يقاتل في سبيل نبي!!

وهكذا هللت السبئية للمختار، ودقت له الطبول وبشرت به نبيًا يوحى إليه وتقاتل الملائكة دونه، ثم اندفعت معه تجالد كما لم تفعل من قبل لترسخ في أعماق المخدوعين عقيدة أنه نبي عقدت له السماء ألوية النصر وصنعت على لسانه سجعًا ينضح بالتعالي زاعمة أنه وحي يتنـــزل به الروح الأمين على قلب المختار وصنعت له كرسيًا زعمت أنه من بقايا التابوت الذي كانت فيه سكينة ورحمة لبني إسرائيل[1]، وقد خُدع كثير من الناس بدجل المختار وكرسيه وبالظفر تلو الظفر يناله في كثير من المعارك التي كان يخوضها. ولا يدهشنا أن تقاتل السبئية هذا القتال المرير مع المختار وهي التي خنست عن نصرة الحسين وتركته وحده لمصيره.

لا يدهشنا هذا؛ لأنها كانت تريد أن يقتل الحسين؛ لتتصدع الجماعة بمقتله ولتتخذ من مقتله مناحة الأبد التي لا تسكن لها ثارات ولا أحقاد؛ لأنها وجدت في المختار إربها فقد ادعى النبوة[2]. وادعاؤها بين الجماعة الإسلامية حدث

=

١٨٦جـ٤ الفصل لابن حزم ط١٣٢١.

(١) انظر قصة هذا الكرسي ووصفه في ص٣٧٨ جـ٣ الكامل، ونحن نلحظ الصهيونية التي تربط بين كرسي المختار وبين تابوت اليهود.

(٢) يقول أبو المظفر الإسفراييني: "إن السبئية خدعوا المختار، وقالوا له: أنت حجة الزمان، وحملوه على دعوى النبوة فادعاها وزعم أن أسجاعه وحي يوحى إليه" ص٢٠ التبصير، وانظر ص١٨٤ جـ٤ الفصل لابن حزم ويقول فلهوزن عن السبئية: "صار لهم شأن سياسي على يد المختار وهو الذي اتخذهم جيشًا له" ويقول ابن قتيبة عن

=

خطير وجرأة بالغة يمهدان لدعاوى أشد نكرًا! كانت السبئية لا تحب أن ينتصر الحسين إذ كانت على بينة من أنها لن تستطيع السيطرة على عقيدته أو أن تجعل منه سبئيًا، كانت تؤمن أنه سيدمرها إن ادعت له نبوة أو ألوهية كما فعل أبوه البطل من قبل. أما المختار، فكفر جهرة وكفر معه جماعة جهرة وقدموا هذا الكفر في صورة من الإيمان تتألق بهدي الخلود فأغناها بذلك عن النصب المضني الذي عانته في سريتها! واستطاعت أن تبرز كفرقة لها خصائصها ومميزاتها وأهدافها وعقيدتها التي تفصلها فصلاً تامًا عن الجماعة الإسلامية. وتعارض علانية وفي وضوح أصول الإسلام ولها أساطيرها المحددة المفهوم في غير ما إلغاز ولا تغمية منها.

أسطورة المهدي[١] المنتظر

الرجعة والبداء[٢]: وكان "محمد ابن الحنفية" هو أول رجل قدمته السبئية.

= المختار إنه زعم: "أن جبريل وميكال يأتيان إلى جهته، فصدقه قوم واتبعوه وهم الكيسانية" ص٨٤-٨٨ تأويل مختلف الحديث.

(١) يقول رونلدسن في كتابه "عقيدة الشيعة": "أول من لقب به محمد ابن الحنفية فلما مات قالوا برجعته فأصبح المهدي المنتظر" ص٢٣٢ وتقول الشيعة على لسان شاعرها:

ألا إن الأئمـــة من قـــريش ... ولاة الحق أربعـــة سواء
فسبـــط سبـــط إيمان وبـــر ... وســـبط غيبته كربـــلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيـــب لا يرى عنهم زمانا ... برضوى عنده عسل وماء

وتنسب هذه الأبيات إلى السيد الحميري وإلى كثير عزة ص٢٣٨ جـ٧ الأغاني، ط بيروت ويعني بالأسباط: الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية وقد خصه بالبيتين الآخرين.

(٢) يقول جولدزيهر "وفكرة الرجعة ذاتها ليست من وضع الشيعة أو من عقائدها التي اختصوا بها ويحتمل أن تكون قد تسربت عن المؤثرات اليهودية والمسيحية فعند اليهود والنصارى أن النبي إيليا -يعني إلياس- قد رفع إلى السماء وأنه لابد أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان؛ لإقامة الحق والعدل ولاشك أن إيليا هو الأنموذج الأول لأئمة الشيعة الغائبين الذين يحيون لا يراهم أحد والذين سيعودون يومًا كمهديين منقذين =

كإمام تنتظر رجعته فقد كان المختار يحارب باسمه على أنه الإمام المهدي

للعالم" ثم يقول: "هذا وقد امتزج بالفكرة المهدية التي ترجع في أصلها إلى العناصر اليهودية والمسيحية بعض خصائص "ساوسخايت" الزرادشتي كما امتزج بها ما كان يجول في أذهان العاطلين البارعين من خيالات وتصورات جامحة أنتجت على مدى الأيام كثيرًا من الأساطير وقد خاض الحديث في موضوع هذه العقيدة التي كثر نقاش المسلمين فيها ونسبت للرسول "ﷺ" أحاديث صور فيها وجه الدقة الصفات التي يتصف بها منقذ العالم الذي وعد به في آخر الزمان. على أنها لم تجد في الحقيقة منفذًا تتسرب منه إلى مصنفات الحديث الصحيحة المتشددة في ضبط الرواية ولكن أخرجتها الكتب الأخرى التي كانت أقل تشددًا في صحة تخريج الأحاديث" ويقول: "وتبنى الفرق الشيعية المختلفة اعتقادها بخلود الإمام الذي تعده خاتم الأئمة كما تدعم إيمانها بعودته إلى الظهور في يوم من الأيام على أحاديث موضوعة مختلقة يؤيدون بها عقيدتهم هذه.. فالرجعة إذن هي إحدى العناصر الجوهرية في نظرية الإمامة عند كافة الفرق الشيعية المختلفة ولا تختلف هذه الفرق إلا في هوية الإمام المختفي الذي قدرت له العودة" انظر ص١٩١ إلى ص١٩٥ من كتاب العقيدة والشريعة ط١ لجولدزيهر. ويقول فلهوزن وهو بصدد شرح مفهوم الرجعة: "وأقيم تأليه آل بيت الرسول على أساس فلسفي بواسطة مذهب الرجعة أو تناسخ الأرواح فالأرواح تنتقل بالموت من جسم إلى جسم وثمت بعث مستمر في المجرى الطبيعي للحياة الدنيا. ويستفيد هذا المذهب أهمية عملية خصوصًا عن طريق رفعه إلى روح الله التي تحل في نفوس الأنبياء فهذه الروح تنتقل من نبي إلى آخر بعد وفاة السابق ولا يوجد في الوقت الواحد غير نبي واحد ويتتابعون حتى يبلغوا ألف نبي وتبعًا لهذا فإن الأنبياء جميعًا واحد بما يبعث في كل منهم من روح الله والحق أن النبي الصادق الحق واحد يعود أبدًا من جديد وبهذا المعنى قالوا -أي الشيعة-: إن محمدًا يبعث في علي وآل علي. وهذا يذكر كثيرًا بالفكرة المحتمل جدًا أنها يهودية وإن كانت من البدع اليهودية التي وردت في المواعظ المنحولة على كليمانس. فروح الله تتحد في آدم مع شخص إنسان يظهر بصفة النبي الصادق في صور متعددة وقدر له السيادة على الملكوت الدائم. ولكن المتأخرين قد فهموا فيما يبدو الرجعة على نحو آخر فقالوا بفترة غيبة دورية للإمام الصادق ثم سموا في مقابل ذلك ظهوره من جديد رجعة والمعنى الأصيل للرجعة يظهر جليًا من مرادفتها لتناسخ الأرواح" ص٢٤٨ وما بعدها الخوارج والشيعة للمستشرق فلهوزن ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي.

رغم براءة ابن الحنفية منه ولعنه له وبعد أن مات استعانت السبئية بدينها القديم في الرجعة فزعمت أن ابن الحنفية لم يمت وإنما هو حي يقيم في جبل رضوى وسيظهر مرة أخرى ليحارب الطغاة ويقضي عليهم ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا ولقد افترت السبئية هذا لتظل قلوب الضحايا مرتبطة بولائها الوثني لهذا الغائب المنتظر، وباسم هذا الولاء تشكل حياتها وعقائدها ومجتمعها، وباسم هذا الولاء تقاتل من يرفضون الإيمان بهذا الوثن الموهوم، وباسم هذا الولاء تظل في معارضتها الحقود للإسلام أما البداء -هو في حقيقته بهتان أثيم يبهت الله بالجهل بعواقب الأمور- فقد افترته الصهيونية للمختار ليوراي به خزي كذبه وسوءة افترائه؛ فقد كان يخبر المفتونين به بأنه سينتصر فتحيق به الهزيمة النكراء فيفتري أن الله قد بدا له الخير في غير ما وعده به وغير ما قدره له!

وهكذا سجل التاريخ قصة أول فرقة «شيعية» منظمة لها مذهبها الخاص بها باسم الكيسانية نسبة إلى «كيسان» رئيس شرطة المختار أو المختارية. وقد ظفر مصعب بن الزبير بالمختار فقتله ودمر كرسيه فأسرعت الصهيونية تختار غيره ممن هم على شاكلة المختار؛ ليبلغوا بدعوى المختار غايتها.

تطور الأساطير: لقد زعم المختار أنه نبي تكاد صفاته تواكب صفات الألوهية ولكن الصهيونية تريد الكفر السليط الوقح الذي يضيف إلى بشر أنه يمثل الحقيقة الإلهية في ذاتها وصفاتها! فظفرت بعدد من هؤلاء ومن أشهرهم "بيان بن سمعان وعمرو بن حرب والمغيرة بن سعيد البُجَلي، وأبو منصور العجلي وأبو الخطاب الأسدي وعطاء الساحر الملقب بالمقنع الخراساني والشلمغاني" وكثير غيرهم. وتتابع المدعون للألوهية تتابع قصفات الرعود في ليل مسف الركام!! ولقد كان لكل زنديق من هؤلاء أتباع يبشرون بألوهيته وقد ظهر بعضهم في عهد الدولة الأموية والبعض الآخر في عصر الدولة العباسية. وهكذا نجمت عن السبئية عدة فرق مختلفة الأسماء متحدة الغاية والهدف.

أساطير الشيعة

وأساس دين هذه الفرق جميعها واحد فكل فرقة تؤمن بتجسد الحقيقة الإلهية؛ وتجليها على أدوار أو أكوار في صورة هيكل بشرى يتحد في اللاهوت

بالناسوت.

ومجالي الحقيقة الإلهية، أو تجسداتها هم الرسل والأوصياء. وأول هؤلاء هو علي بن أبي طالب. ولم تختلف هذه الفرق إلا حول أسماء من تختارهم لتقدمهم للناس آلهة فاتباع ابن حرب مثلا يزعمون أن روح الله تناسخت حتى حلت فيه فظهرت فيه أسماء الله وصفاته. واتباع بيان يزعمون أن جزءا إلهيًا قد حل في علي واتحد بجسده وأن هذا الجزء قد انتقل إلى بيان بنوع من التناسخ. وأن عليًا هو الله الذي جاء في ظلل من الغمام. وأنه يظهر في صور متعاقبة في كل زمن. وأبو الخطاب الأسدي يزعم أن الله سبحانه قد نزل إلى العالم(١)، وتجسد في صورة جعفر الصادق فرأى الناس الله في صورة جعفر!!

والنصيرية تزعم أن الله قد ظهر في صورة علي وخلق بيده وأمر بلسانه فعليٌ كان موجودًا قبل خلق السموات والأرض!! ثم أسبغوا هذا البهتان على كل أئمتهم(٢)!

كما دان كثير من هذه الفرق بأن الرسالة لا تنقطع أبدًا كما كفر كثير من هذه الفرق بالقيامة كما بينها القرآن وكما فهمها الرعيل الأول الصادق من صفوة المسلمين وخيارهم فلا بعث للناس من قبورهم ولا ثواب ولا عقاب في جنة أو نار وإنما في تناسخ الروح فحسب!! أو في الإيمان بمظهر إلهي أو الكفر به(٣)!!

ولكيلا تظهر هذه الفرق في صورة اللدد والخصومة والمعارضة الجهرية للقرآن زعمت ما زعمه كل معارضي الوحي من قبل وهو أن لكل ظاهر باطنًا وتبعًا لهذه الأسطورة الغنوصية أولت آيات القرآن تأويلاً لا تقره لغة ولا دين ولا عقل فإذا عز عليها اقتراف تحريف الكلم عن مواضعه افتروا الأحاديث على رسول ﷺ.

---

(١) ص٢٤٦ جـ١ الملل والنحل.

(٢) ص٣١٧ جـ١ الملل والنحل، وقد زعم أبو منصور العجلي أنه المقصود بقوله سبحانه: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ [الطور: ٤٤] ولهذا لقب نفسه بالكسف.

(٣) من هؤلاء أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقد عبده شيعته وزعموا أن العقاب والثواب بالتناسخ فحسب في الدنيا.

ولكيلا تبطش بهم السلطة الحاكمة في حال ضعفهم أو تقع على خيانتهم عين ابتدعوا «التقية» ولكي تظل لهم السطوة التي تنشب مخالبها الحداد في قلوب الضحايا التعسة ربطوا المصير بالإمام والقائم المنتظر.

الإمام والقائم: والإمام -كما يقول الشهرستاني- هو من يقدِّر الآفاق على الأنفس ويمكنه أن يبين مناهج العالمين عالم الآفاق وعالم الأنفس وأولهما هو العالم العلوي وثانيهما هو عالم الأنفس. أما القائم فهو من يقدر الكل في ذاته ويمكنه أن يبين كل كلي في شخصه المعين الجزء. وحينما يظهر القائم يرد كل كائن إلى حال الكمال وتظهر الروحانيات محل الجسمانيات(١).

وقد عكف شياطين هذه الفرق على أسطورة الإمام والقائم يتعهدونهما بالغلواء ويأفكون على الرسول ﷺ عشرات من الأحاديث(٢) يصوِّر الإمام والقائم في صورة ألوهية معبودة وربوبية خلاقة قهارة أو على الأقل: نبوة ليس لها من النبوات كفؤ ولا مثيل!!

التجسد والإسماعيلية: وقد وجدت أسطورة تجسد الحقيقة الإلهية وديمومة الرسالات أوسع تعبير عنها في مذهب الإسماعيلية؛ فهم يزعمون -كما يبين جولدزيهر- أن الروح الإلهية تتجلى في درجاتها المختلفة ومراحلها المتوالية وتظهر للإنسانية منذ بدء الخليقة في صورة يتزايد كمالها وبهاؤها في مظاهر بشرية وكل مظهر من هذه المظاهر الدورية للعقل الكلي يبدو في وقته؛ ليتم العمل الذي يبدؤه المظهر السابق. أي أن الوحي الإلهي لا ينقطع ولا ينتهي في فترة زمنية من فترات تاريخ الخليقة، وبهذا النظام الدوري المتكرر يلي المهدي الناطق السابع

---

(١) ص٣٠٤ جـ١ الملل والنحل. وقد زعم الكيالي أن القائم أفضل من الأنبياء لأن الأنبياء هم قادة أهل التقليد وأهل التقليد عميان والقائم قائد أهل البصيرة وأهل البصيرة أولو الألباب، ص٣٠٧ المصدر السابق.

(٢) ضج عبد الملك بن مروان من كثرة انتشار الأحاديث الموضوعة فخطب قائلاً: "يا أهل المدينة: أنا أحق الناس أن يلزم الأمر الأول، وقد سالت علينا أحاديث من قبل هذا المشرق ولا نعرفها ولا نعرف منها إلا قراءة القرآن فالزموا ما في مصحفكم الذي حملكم عليه الإمام المظلوم" ص٦٣ جـ٩ بداية وص١٠٤ جـ٣ مروج الذهب.

آتيًا برسالة تعد من حيث هي مظهر من المظاهر الدورية أكمل وأعظم مما سبقها. بل تفوق رسالات من سبقه حتى رسالة النبي محمد! ثم يكشف جولدزيهر عن الغاية من هذا الزعم فيقول: «وهذا التطبيق لفكرة المهدي يهدم إحدى دعائم الإسلام الأساسية وهي أن محمدًا قد ختم إلى الأبد سلسلة من الأنبياء وأنه الحامل لآخر رسالة بعث الله بها إلى الجنس البشري. وتحت لواء هذه الجماعة الشيعية وهي الإسماعيلية روجت الدعاية السرية مبادئ هادمة للإسلام مقوضة لأركانه[1] وصار ادعاء الألوهية أمرًا هينًا»، ولهذا يقول آدم متز: «كلما زاد عدد من يدعي المهدية والألوهية أصبح ادعاء النبوة شيئًا قديمًا لا يستهوي الأدعياء»[2].

الشيعة الإثنا عشرية

في أثناء هذه الثورات نجمت فرق شيعية متعددة من أظهرها «الاثنا عشرية». ولقد لقبت بهذا، لأنها تدين باثني عشر إمامًا لهم العصمة من الله والمعجزات. وهم -بألقابهم عند الشيعة- علي بن أبي طالب[3] المرتضى. فأبو

---

(١) ص١١٤ العقيدة والشريعة. ويكشف جولدزيهر أيضًا عن الهدف المستتر وراء القول بالإمامة بقوله: "وفكرة الإمامة عندهم -يعني الشيعة- لم تكن إلا قناعًا ستروا وراءه برامجهم الهدامة ولم تكن إلا تكأة إسلامية المظهر اعتمدوا عليها كأداة للتقويض والتدمير" انظر ص٢١٣ المصدر السابق، وقد زعم كثير من زعماء هذه الفرق أن لكل حرف من أسمائهم دلالة روحية. كما فعل الكرماني باسم الحاكم بأمر الله وكما زعم أحمد بن الكيال وسنرى البهاء يسلك نفس التيه!!

(٢) ص٥٣ جـــ٢ الحضارة الإسلامية.

(٣) مما تقوله الشيعة عند زيارتهم لقبر علي: "السلام عليك يا حجة الله يا عمود الدين ووارث علم الأولين والآخرين.. لعن الله من غصبك ولعن الله من بلغه ذلك فرضى به.. اللهم العن الجوابيت والطواغيت والفراعنة واللات والعزى والجبت اللهم العنهم وأشياعهم وأتباعهم وأولياءهم وأعوانهم ومحبيهم لعنًا كثيرًا". ويجلس الزائر على رأسه ويقول: "أشهد أنك جنب الله وأنك باب الله وأنك وجه الله الذي يؤتى منه" ثم يصلون عند قبره ست ركعات لأن في قبره عظام آدم وجسد نوح!! انظر كتاب من لا يحضره الفقيه لأبي جعفر القمي ط النجف ج٢ ص٣٥٦ واللعنة هنا تنصب على أهل السنة جميعًا ويعنون بالجبت والطاغوت أبا بكر وعمر بن الخطاب وعمرو بن العاص =

الحمد الحسن بن علي الزكي (٢-٥٠) فأبو عبد الله الحسين بن علي سيد الشهداء (٣-٦١) فأبو محمد علي بن الحسين زين العابدين (٣٨-٩٥) فأبو جعفر محمد بن علي الباقر (٥٧-١١٤) فأبو عبد الله جعفر بن الصادق (٨٣-١٤٨) فأبو إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم (١٢٨-١٨٣) فأبو الحسن علي بن موسى الرضا (١٤٨-٢٠٣) فأبو جعفر محمد بن علي الجواد (١٩٥-٢٢٠) فأبو الحسن علي بن محمد الهادي (٢١٢-٢٥٤) فأبو محمد الحسن بن علي العسكري (٢٣٢-٢٦٠) فأبو القاسم محمد بن الحسن المهدي (٢٥٦- ...) وهو كما يقول أحد كبار علماء الشيعة: «الحجة في عصرنا الغائب المنتظر عجل الله فرجه وسهل مخرجه ليملأ الأرض عدلاً وقسطًا بعد ما ملئت ظلمًا وجورًا».

ويقول نفس العالم الشيعي العالم الكبير المعاصر عن الأئمة هؤلاء: «هم مرجعنا في الأحكام الشرعية المنصوص عليهم. نص عليهم النبي ﷺ وآله جميعًا بأسمائهم ثم نص المتقدم منهم على من بعده»[١].

قصة الغائب المنتظر: وحادي عشرهم الحسن العسكري لم يكن له عقب ولا ذرية غير أن الإثنى عشرية تزعم أن الحسن أنجب محمدًا وهو المهدي أو القائم أو صاحب الزمان الذي ولد سنة ٢٥٦هـــ. وفي سامرا وعلى عضده الأيمن: (جاء الحق وزهق الباطل)، وتزعم الشيعة أنه قد تكلم في المهد وأن طيورًا من الجنة رفرفت عليه وقت ولادته فناداها والده الحسن وطلب منها أن ترضعه أربعين يومًا ثم تعود به فارتفعت الطيور به إلى السماء ثم عادت به ثم مات الحسن وعمر ابنه خمس سنوات فنصبه الله إمامًا لهداية البشر جميعًا[٢]! ولكن هذا

= ومعاوية ومن والاهم. كما يطلقون على أبي بكر وعمر "حبتر وزريق" ويزعمون أن كل ما ورد في القرآن عن "الفجار" فالمقصود أبو بكر وعمر وأصحابهما.

(١) ص٦٢ عقائد الإمامية جـــ١ .

(٢) يقول العالم الشيعي الكبير الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه بالنجف: " إن الإمامية تعتقد أن المصلح المهدي هو شخص معين معروف ولد سنة ٢٥٦هـــ. ولا يزال حيًا. وذلك بما ثبت عن النبي وآل البيت من الوعد به وما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه" ص٦٥ عقيدة الإمامية.

الإمام الطفل لم يستطع مغالبة الجور والظلم فاختفى عن العالم في مدينة مجهولة عن طريق السرداب الذي بداره. وكانت سنه حينما اختفى -على أكثر تقدير شيعي- تسع سنوات وقد شهد جعفر أخو الحسن العسكري بأن أخاه قد مات دون أن ينجب أحدًا؛ ولهذا تحقد الشيعة على جعفر هذا وتلقبه بالكذاب لأنه صدق!

وكلاء الإمام: روَّع كهنة الإثنى عشرية أن ينقطع نسب أئمتهم فأشاعوا - كما ذكرنا- أن الحسن قد أنجب طفلاً وأنه أخفاه عن عيون أعدائه. ولما كانوا على ثقة ويقين من كذب هذه الدعوى وأن هذا المختفي لن يعود لأنه لم يولد أصلاً فقد زعموا أن هذا الغائب قد اتخذ له وكيلاً يحمل عنه في غيبته رسالته إلى الناس وأول من افترى هذا هو: عثمان بن سعيد وقد مضى يروي لذوي الغفلة أن الإمام الحسن حمل ابنه الصغير وقال للشيعة: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم» وكان الهدف من وراء هذا هو الإبقاء على سطوة الطاغوت والحصول على الخمس[1] من الأموال باسم الإمام.

ولهذا أصبح من دين الشيعة أن يحمل الخمس إلى الإمام إن كان ظاهرًا وإلى نائبه إن كان غائبًا[2]، ومات عثمان وخلفه ابنه محمد وكيلا ثانيًا للإمام الغائب.

---

(١) تروى الرافضة عن الصادق قوله: "إن الله لما حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا فريضة والكرامة لنا حلال" وذكروا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم ﴾ [الأنفال:٤١] أما خمس الله فللرسول يضعه في سبيل الله وأما خمس الرسول ﷺ، فلأقاربه. وخمس ذوي القربى فهم قرباه واليتامى يتامى أهل بيته فجعل هذه الأربعة الأسهم فيهم" ويؤخذ الخمس من الأموال والتجارات والأرباح ومما يخرج من البحر ومن الأرض ومن الغنائم بل يروون عن أبي عبد الله قوله: "إن جبريل عليه السلام كرى برجله خمسة أنهار ولسان الماء يتبعه الفرات ودجلة ونيل مصر ومهران ونهر بلخ فما سقت أو سقى منها فللإمام والبحر المطيف بالدنيا وهو أبسكون" أي بحر قزوين. ومثل هذا الخمس والأمل في الحصول على بعض بعضه يدفع إلى ما يدفع. انظر ص٢١ جـ٢ وما بعدها من كتاب من لا يحضره الفقيه.

(٢) ص١٠٩ أصل الشيعة وأصولها ط٦ .

وقد نص عثمان على هذا قبل موته! واندفع الوكيل الثاني ينشر المفتريات عن حياة الإمام في المدينة المجهولة وعن لقائه له ويؤكد أن الإمام يرى الناس جميعًا ولكن لا يراه سوى الخاصة منهم وأنه يشهد الحج في كل عام. ومات الوكيل الثاني سنة ٣٠٥هـــ - ٩١٧م وخلفه من بعده: الحسين بن روح[١] وكيلاً ثالثًا وقد لقب نفسه «بالباب» وقد اتبع خطوات سلفه في نشر الأكاذيب حول تلاقيه بالإمام[٢] وفي تزييف القصص الأسطوري عن حياته الخرافية التي يجد فيها عشاق المجهول لذة ساحرة. وهكذا ظل ابن روح يكافح في سبيل تشييد صنم هذه الأسطورة حتى استطاع أن يخدع بها الكثيرين وأن يحملهم على الإيمان بها ولا سيما أولئك الذين كانوا يقطنون الهند والجهات النائية من الأقاليم الإيرانية ثم مات سنة ٣٢٦هـــ، فخلفه من بعده أبو الحسن علي بن محمد السمري وكيلاً رابعًا وكان قد انقضى على غيبة الإمام قرابة سبعين عامًا دون أن يتحقق ذلك الحلم الأسطوري الفاتن المبشر برجعة الإمام فيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورًا فاضطر الوكيل الرابع إلى أن يعلن أنه لن يوصي لأحد من بعده وقد مات أبو الحسن هذا سنة ٣٢٩هـــ.

الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى للإمام[٣]:

زعم عبد الطاغوت غيبة الإمام الثاني عشر وهو طفل وفي خلال هذا كانوا يمنون عبد الأساطير برجعة قريبة له حين يتم له عمر. ولكن الوكيل الرابع -كما سبق- وجد أنه لو ظل يبشر بقرب رجعة الإمام فسوف ينتزع اليأس من قلوب الشيعة الإيمان بهذه الأسطورة الخلقة الأسرار والأستار فقد اشتد الجور واستعلن

---

(١) ص٢٤١ جـــ٦ ابن الأثير.

(٢) لعل هذا يذكرك بما هو مثبوت في كتب الصوفية من مفتريات تزعم أن الأولياء يقومون على خدمة أهلهم بعد موتهم "أي موت الأولياء" وأن السيد البدوي -كما يزعم الشعراني- كان يدعو العرب والعجم في كل عام إلى مولده وأنه -أي الشعراني- رآه ووراءه خلق كثير وأنه دعاه إلى أكلة "ملوخية".

(٣) بدأت الغيبة الصغرى من سنة ٢٥٦هـــ، أو بعد هذا بقليل وانتهت سنة ٣٢٩هـــ - أما متى تنتهي هذه الغيبة؟ سلوا عنها الذين افتروها؟

البغي وتم للإمام الغائب عمر ولم يظهر الإمام!! لهذا أعلن الوكيل الرابع أنه قد حدث البداء -أي بدا لله أن الخير في ألا يظهر الإمام بعد أن كان قدَّر ظهوره- وبهذا الإعلان بدأت الغيبة الكبرى للإمام ولم تنته هذه الغيبة حتى الآن فما زال الإمام في «الجابلصا» المدينة السحرية المجهولة تهلك الأشواق المضنية إليه قلوب الذين يعشقون المجهول!!

ولكن هذا المجهول الغائب لن يظهر أبدًا. وهل يظهر عدم أو وهم قدر له أن يظل كذلك عبر تاريخ الوجود؟! وما زال أنضاء هذا الوهم المعبود يخشعون في كل يوم سجدًا على عتبات سردابٍ[1] في سامرا أن الوهم الثاني عشر فر هاربًا منه!!

ومع فيض زاخر من الدموع ومع نشيج الأحزان، وتلهب الأشواق تنبعث هذه الصلاة من أولئك الخاشعين: «باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله اخرج فقد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أوان خروجك فيفرق الله بك بين الحق والباطل».

صاحب الزمان والبيعة له: صاحب الزمان هو هو نفس الغائب المنتظر محمد بن الحسن العسكري إمام الشيعة الثاني عشر. ومما يدين به الشيعة أن من لا يؤمن بهذا الوهم الغائب؛ أو يبايعه، فإنه يموت ميتة جاهلية، ولهذا يؤكدون أن من ماتوا من الشيعة قبل ظهور الغائب، فسيبعثون من قبورهم عند ظهوره لمبايعته والجهاد معه. وقد ذكر المجلسي علامة الشيعة في كتابه (تحفة الزائرين) نص بيعة العهد؛ وقرر بسنده عن جعفر الصادق أن من قرأها أربعين صباحًا صار من الأئمة البررة، ومنها: «اللهم إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلت على عبادك حتمًا، فأخرجني من قبري مؤتزرًا كفني شاهرًا سيفي مجردًا إقناتي ملبيًا دعوة

---

(١) يقول عالم الشيعة الكبير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء: "إن السرداب لا علاقة له بغيبة الإمام أصلا وإنما نزوره ونؤدي بعض المراسم العبادية فيه؛ لأنه موضع تهجد الإمام وآبائه العسكريين، ومحل قيامهم في الأسحار لعبادة الحق جل شأنه" ص ١٠٩ أصل الشيعة ط٦ وسواء أكان هذا أم ذلك فما زال الأمر بمعزل عن الدين والعقل.

الداعي»[١].

رجعة صاحب الزمان: يئس السبئيون من رحمة الله ونعماه فربطوا آمال القلوب بالغائب المنتظر. كما ربطت الصهيونية من قبل آمال القطيع الملعون بالمسيح المنتظر وتدين الشيعة بأنه إذا أطبق الجور على العالمين فإن الإمام سيظهر للعالم كله جهرة. هذا الظهور هو الرجعة الكبرى للإمام. ويذكر المجلسي في (بحار الأنوار) ما سيحدث يوم رجعة الإمام فيقول: «ويرجع للدنيا يوم ظهور حضرة القائم عليه السلام من محض الإيمان محضًا فيرجع أعداؤه؛ لينتقم منهم في هذا العالم ويشاهدون من ظهور كلمة الحق وعلو كلمة أهل البيت ما أنكروه عليه فتكون رجعة الكفار؛ لينالهم عقاب شديد أما باقي الناس فيبقون في قبورهم إلى يوم القيامة»[٢].

ويؤكد المجلسي: أن الحسين بن علي سيرجع عند ظهور الإمام الثاني عشر هو ومن استشهدوا معه في كربلاء وسيرجع أيضًا يزيد بن معاوية وأنصاره وثمت يقضي عليهم الحسين قضاءً مبرمًا ويفنيهم عن آخرهم[٣].

---

(١) انظر لهذا ولما سبق كتاب المجلسي نقلاً عن عقيدة الشيعة لرونلدسن.

(٢) ص٢٣٩ عقيدة الشيعة وتنسب الشيعة إلى جعفر الصادق أنه قال: "ما بعث الله نبيًا من لدن آدم فهلم جرا إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين" ص٣٣٣ مذاهب التفسير.

(٣) ص٢٣٩ المصدر السابق نقلاً عن بحار الأنوار للمجلسي ويقول أخونا الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب: "ولأجل أن تعلم عقيدة الرجعة من كتبهم المعتبرة أذكر لك ما قاله شيخ الشيعة أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف عندهم باسم الشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد في تاريخ حجج الله على العباد) ص٣٩٨-٤٠٢ وهو مطبوع على الحجر في إيران طبعة قديمة. عن محمد الباقر قال: "كأني بالقائم عليه السلام على نجف الكوفة وسار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة، جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله والمؤمنون بين يديه، وهو يفرق الجنود في البلاد. وروي عبد الله ابن المغيرة عن أبي عبد الله (أي جعفر الصادق) عليه السلام قال: إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم ثم أقام خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات. قلت: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ (وإنما أستغرب ذلك لأن الخلفاء الراشدين =

أما عليٌّ فستكون معه حين يرجع عصا موسى وخاتم سليمان ويلتقي بصحابه قرب الكوفة فيسوقهم معه إلى قتال الشيطان الذي احتشد معه كل الغاوين من أبناء آدم حتى عهد ظهور الإمام وثمت تحتدم معركة رهيبة ترجف الأرض من هولها فيتقهقر عليٌّ وجيشه وهنا ينزل محمد والملائكة معه من السماء على غمامة فيفر الشيطان فيتبعه محمد ويقتله برمحه ويفني جيشه، إذن لسنا في حاجة إلى جهاد أو كفاح ضد الشيطان حتى يظهر الإمام! وقد استفاضت كتب الشيعة بأنباء الرجعة ووضعوا لها أحاديث زعموا أنها متواترة وقد قدرها مفسرهم المولى عبد اللطيف الكازراني بمائتي حديث. وحسبك أن الإيمان بها عند الشيعة أصل من أصول الدين كإيمان المسلم بيوم القيامة.

الرقاع: يقرر الشيعة في كتبهم أنه يمكن الاتصال بالإمام الغائب عن طريق رقعة يكتبها من يريد ثم يضعها عند قبر أحد الأئمة أو يقذف بها في البحر أو يلقي بها في بئر عميقة بعد طيها وختمها ووضعها في طين نظيف وثمت يطلع

=

وبني أمية وبني العباس. وسائر حكام المسلمين إلى زمن جعفر الصادق لا يبلغ عددهم عشر معشار هذا العدد) قال جعفر الصادق: نعم، منهم ومن مواليهم. وروى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام قائم آل محمد حكم الناس بحكم داود وروي المفضل بن عمر عن أبي عبد الله قال: يخرج مع القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً من قوم موسى وسبعة من أهل الكهف ويوشع بن نون وسليمان وأبو دجانة الأنصاري والمقداد ومالك الأشتر فيكونون بين يديه أنصارًا وحكامًا". وهذه النصوص منقولة بالحرف وبكل أمانة من كتاب عالم من أعظم علماء الشيعة وهو الشيخ المفيد وكتاب الشيخ المفيد مطبوع في إيران ونسخته الأثرية محفوظة وموجودة وتدبر وصفهم للقائم بأنه سيحكم الناس بحكم داود. وبأن سبعة وعشرين من بني إسرائيل سيكونون معه! إنها مسة بينة من صهيونية تشي بأصحابها!! ويعبر عالم شيعي كبير معاصر عن عقيدة الشيعة في الرجعة فيقول: "إن الله تعالى يعيد قومًا من الأموات إلى الدنيا في صورتهم التي كانوا عليها فيعز فريقًا ويذل فريقًا آخر وذلك عند قيام مهدي آل محمد ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان. أو من بلغ الغاية من الفساد" (ص٦٧) (عقائد الإمامية) ط٢، ويعني بمن بلغ غاية الفساد من ليسوا على دين الشيعة!!

عليها الإمام الغائب فيرسل بالجواب عنها في رسالة موقعاً عليها منه.

وقد استغل وكلاء الإمام وغيرهم هذه الرقاع في تحليل ما حرم الله ونسخ ما لا يرضى أهواءهم من أحكام الله. ولهذه الرقاع عند الشيعة سلطان كبير، فهي ترجح عندهم أصح الأحاديث إذا تعارضت معها وقد تسمى هذه الرقاع بالتوقيعات؛ لتوقيع الإمام عليها.

عقيدة الإمامة في نظر الإثنى عشرية

يقول أحد كبار علماء الشيعة عن الإمامة: «إن هذا هو الأصل الذي امتازت به الإمامية وافترقت عن سائر فرق المسلمين وهو فرق جوهري أصلي وما عداه من الفروق فرعية عرضية.. وعرفت أن مرادهم بالإمامة كونها منصبًا إلهيًا يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم باتباعه ويعتقدون أن الله سبحانه أمر نبيه بأن ينص على عليّ وينصبه علمًا للناس من بعده». ثم يذكر العالم الشيعي الكبير أن النبي خشى أول أمره من النص على ابن عمه عليٍّ مخافة أن يتهم بمحاباة أهله فأنزل الله عليه قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1][سورة المائدة:٦٧]. ثم يذكر شبه الذين ينكرون هذا ولا يؤمنون به وأولى هذه الشبه هي: «استبعاد بقاء الإمام طول هذه المدة التي تتجاوز الألف سنة» ثم يرد على هذه الشبهة بقوله: «وكأنهم ينسون أو يتناسون حديث عمر نوح» ثم يذكر – كدليل له– ما ورد في بعض الكتب التي ينتمي أصحابها إلى أهل السنة عن بقاء إلياس والخضر قرونًا متطاولات إلى أن ينقضي الدهر ويذكر مختلقات الصوفية التي تنسب إلى بعض الشيوخ أنهم تلاقوا بالخضر وسألوه وأجابهم عما سألوا والتي تؤكد أيضًا أن الخضر يوجد في المواضع الشريفة[2].

واستشهاد الشيخ بعمر نوح لا يصحح له دينه فهذه كانت سنة الله في أيامه إذ كانت الأرض في حاجة إلى من يعيشون فيها قرونًا ليقوموا بعمارتها أما اليوم

(١) وادعاء أن هذه الآية نزلت في هذا الشأن قول على الله بغير علم.

(٢) ص٨٨ وما بعدها أصل الشيعة وأصولها.

فليست الأرض بحاجة إلى من يعيش عليها ألف سنة وإلا لضاقت الأرض بالبشرية وانفجرت بهم. ثم أية منفعة تعود على عباد الله من غيبة إمامهم المعصوم أكثر من ألف عام وهو الذي تتوقف على إمامته النجاة وعلى الإيمان بها الفوز الخالد الأبدي؟! على أن نوحا ظل قرابة ألف عام بين الناس يدعو إلى الله في جلاد قوي لا غائبًا في مدينة مجهولة مترف النعيم وحده كالإمام المصور في تلك الأوهام. أما استشهاده بالمفتريات التي تلوكها ظنون الصوفية عن خلود الخضر وإلياس في الدنيا فما زاد على أن احتج بخرافة خرقاء وإن كانت مسطورة في ألف كتاب فما في دين الله الذي يعرفه أهله شيء مما ذكر. على أن الباطل لا يلد إلا باطلاً، ولا يقيم من بنائه المتصدع أن يستند إلى ألف باطل!! ويقول عالم شيعي كبير معاصر: «الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها كما نعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى. فلابد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر. وله ما للنبي من الولاية»[1]. ولهذا يحكم الشيعة على أهل السنة والكثرة الغالبة من الصحابة بالكفر؛ لأنهم لا يؤمنون بالإمامة إيمان الشيعة ولن نخفي قولاً لنظلم الحق ونرضي هوى المكر اللئيم!

دعوى نقص المصحف: ويؤكد الشيعة أن النبي ﷺ قد نص على إمامة علي. ولكن ظلمة أبو بكر وعمر. والإيمان بهذا القول يبيد الثقة كلها في كل عمل قام به الخلفاء الأول رضوان الله عليهم؛ لأنه يدمغهم بالبغي والجور والمخالفة عن أمر الله في أصل هام من أصول الدين يترتب عليه صلاح المسلمين في معاشهم ومعادهم. وإن بهتنا الصفوة المختارة من أجلاء الصحابة باقتراف هذه الخطيئة السافلة فأي عاصم يعصمنا من الشك في كل عمل صدر عنهم واتهامهم بالفسوق والمروق. ولا سيما فيما يتعلق بجمع القرآن؟؟ فالذين يبغون على الوصي المنصوص عليه من الله ويغصبون عن ظلم آثم حقه ويدفعهم الطمع والجشع في زينة الدنيا إلى التجرد لمعصية الله في هذا الأمر الجليل، لا يريبنا شك في أنهم قد حرفوا القرآن أو اختلقوا بعض ما في المصحف أو حذفوا منه حتى

---

(١) ص٤٩ عقائد الإمامية ط٢.

يطمسوا بهذا التحريف والاختلاق معالم فضل علي والنص على وصايته وإمامته وإن آمنا بهذا فما نحن بمسلمين أو ما نحن جميعًا بنجوةٍ من تيه ضلال عميق أو تردٍ في هلكة أبدية؛ إذ نعبد الله بكتاب محرف وفيه تبديل واختلاق. هذه هي القاصمة التي تستتر وراء اتهام الخلفاء الأول(١).

الأئمة: يكفي في هذا أن ننقل عناوين بعض الفصول التي وردت في كتاب "الكافي" لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني(٢) وهو عند الشيعة بمنزلة البخاري عند أهل السنة.

يقول: «باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل.

باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم.

باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء.

باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب يعرفونها على اختلاف ألسنتها.

باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة وأنهم يعلمون علمه كله.

---

(١) إن ما نستنتجه هنا قد صرح به كبار أئمة الشيعة فقد روى محدثهم الكبير "الكليني" عن جابر الجعفي قوله: سمعت أبا جعفر يقول: "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب. وما جمعه وحفظه كما أنزل الله إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده" ونسبوا إلى جعفر الصادق قوله: "إن عندنا لمصحف فاطمة. قال: قلت: وما مصحف فاطمة. قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد" ص٥٧. كما يروي الكليني عن الصادق أن القرآن الذي نزل به جبريل على محمد سبعة عشر ألف آية والتي بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وست وستون آية والبواقي مخزونة عند أهل البيت ويقول المفسر الشيعي عبد اللطيف الكازراني: "القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله شيء من التغييرات وأسقط الذين جمعوه بعده كثيرًا من الكلمات والآيات" وذكر المفسر الشيعي ملا محسن الكاشي أن عليًا عقب وفاة الرسول جاء إلى أبي بكر وعمر بالقرآن كاملاً وفيه فضائحهما فرده عمر به وطلب من زيد بن ثابت جمع قرآن آخر ففعل زيد ص٦٢، ١٥٧ جـ٢ التفسير والمفسرون للشيخ محمد حسين الذهبي.

(٢) قتل سنة ٣٢٨هـ وكتابه مطبوع سنة ١٢٨١هـ في طهران.

باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء.

باب أن الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود!؟ وآل داود؟! ولا يسألون البينة.

باب أنه ليس شيء من الحق في أيدي الناس إلا ما خرج من عند الأئمة وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل باب أن الأرض كلها للإمام».

ويقول العالم الشيعي الكبير الشيخ محمد رضا المظفر عن الإمام إنه: «لا يختار ولا ينتخب وإنما ينص عليه على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله ويجوز له أن يغيب وأن يتولى الإمامة وهو طفل صغير وهو لا يتعلم على يد معلم حتى القراءة والكتابة ولا يقول أبدًا: لا أدري ولا يؤجل جوابًا إلى المراجعة وهو الشهيد على الناس والأمان لأهل الأرض» وحق قول الشهرستاني عن رأي الشيعة في أئمتهم: «أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فربما شبهوا واحدًا من الأئمة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية والتناسخية واليهود والنصارى» وبرأي الشهرستاني أخذت دائرة المعارف الإسلامية فقالت: «ولمذهب الإثنا عشرية أهمية كبرى عند الفرس فقد نظر هؤلاء إلى الأئمة كما نظر النصارى إلى أقانيمهم وقالوا: إن في أيديهم مقادير العالم. عليهم حفظه وهدايته. الخلاص معهم والهلاك بدونهم»[(١)].

الإثنا عشرية تسيطر: كانت الأسرة الصفوية التي حكمت فارس من ٩٠٧هـــ إلى ١١٤٨هـــ. «(١٥٠١ إلى ١٧٣٥م)» على دين الإثنى عشرية فمكنت له هناك وجعلته المذهب الرسمي للدولة ومازال حتى اليوم هو المذهب الرسمي لإيران وقد ندبت الأسرة الصفوية المجلسي علامة الشيعة في زمانه لتأييد المذهب فألف الكتب الطوال التي يدور معظمها حول رجعة الإمام أو ظهور القائم صاحب الزمان وقد حشد فيها ما افترته الصهيونية من مفتريات حول رجعة موعودها المسيح المنتظر وسماها أحاديث. وبه اقتدى كثير من الشيوخ الذين ظهروا بعده حتى استحوذ الإيمان بغيبة الإمام ورجعته وقدسيته على القلوب والعقول في

---

(١) انظر مادة "إثنا عشرية" من الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية.

الدولة الصفوية. وجدَّ عُبَّاد الأساطير والمفتونون بسحر المجهول يذيعون تخرصات الهوى وزيف الأباطيل فمن زاعم أنه رأى الإمام الغائب جهرة ومن مفتر أنه نجاه من الغرق ومن مؤتفك أنه رأى مدينة الإمام المجهولة وشاهده يعيش على أرضها المقدسة النوراء.

والمختلقون لهذه المفتريات أو المتحدثون بها شيوخ وخطهم الشيبُ الحزين وأذبل الدمع منهم الجفون ورآهم الليل سجدًا للرياء في المحاريب. كل هذا أو بعضه يحول دون النفوس التي يبطش بها مثل هذا النفاق الساحر والمظهر الخالب وبين أن ترتاب فيما يقص أولئك الشيوخ.

وفي القرن الثالث عشر الهجري صارت إيران إلا قليلاً على هذا المذهب وكان الشوق إلى رجعة القائم وظهوره يعصف بالقلوب ويسيطر على الأحلام والآمال ويسخر الحياة ويتوهج سعيره على الأسحار والآصال!

إيران مسرح الأحداث: ظلت إيران -بعد أن هدأت عاصفة المغول التي اجتاحتها- يتنازع حكمها أمراء من قبائل متنافسة متباينة فبعضها ينتسب إلى الترك والبعض الآخر إلى المغول وختم هذا الصراع بأن توطد السلطان للأسرة الصفوية[1] بما بذل الإنجليز لهم من عون كبير وتأييد ضد الترك ولاسيما في عهد

---

(١) جدهم صفي الدين الأردبيلي المتوفى سنة ٧٣٥هـــ-١٢٣٤م. وقد كان شعار هذه الأسرة: لا إله إلا الله عليٌّ ولي الله. وقد بذلت كل جهد في سبيل نشر المذهب الإثنى عشري فسامت الشعب فنونًا من العذاب ونكلت بغير الشيعة وفرضت سب أبي بكر وعمر وعثمان ومنعوا الناس الحج وحملوهم على الحج إلى الأضرحة مفترين على الرسول أحاديث توجب تعظيم هذه الأضرحة وإليك طائفة منها: رووا أن الرسول ﷺ قال لعلي: «من زارني في حياتي أو بعد وفاتي أو زارك في حياتك أو بعد وفاتك أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد وفاتهما ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيره معي في درجتي» "إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين يوم عرفة فاغتسل بالفرات ثم توجه إليه كتب الله عز وجل له بكل خطوة حجة بمناسكها" " في طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كل داء وهو الدواء الأكبر" وهكذا رووا لأمتهم الإثني عشر. انظر باب ثواب زيارة النبي والأئمة. والأبواب التي بعده في الزيارة من الجزء الثاني من كتاب من لا يحضره الفقيه. فقد روى أحاديث تملأ أكثر من ثلاثين صفحة. ودين =

عباس الكبير الذي تولى حكم فارس في نهاية القرن السادس عشر الميلادي ثم سقطت هذه الأسرة على يد مير محمود زعيم الأفغانيين ولكن نادر قولي زعيم قبيلة الأفشار التركمانية استطاع أن يسقط الأفغانيين وأن يتوج طفلاً صغيرًا من الأسرة الصفوية بيد أن هذا الطفل ما لبث أن مات فتولى نادر الحكم ودان بالولاء للخليفة العثماني للتقريب بين الشيعة وأهل السنة؛ ولهذا اغتيل نادر واستطاع كريم خان أحد زعماء قبيلة زند خلع ابن نادر وتولى الملك ثم استطاع حفيد نادر الظفر بالملك ثم قتل غيلة. وتولى بعده ابن أخيه فتح علي شاه. وفي عهده خضعت الدولة خضوعًا مطلقًا للدولة الأجنبية. ولا سيما روسية وإنجلترا ثم قضى نحبه سنة ١٢٤٠هـ-١٨٣٤م وتولى بعده حفيده محمد عباس ميرزا فجعل لروسية النفوذ الأكبر وباع بعض المقاطعات لشهواته ومات سنة ١٢٦٥هـ-١٨٤٨م وتولى بعده ابنه الشاب ناصر الدين؛ وفي عهد ناصر وأبيه كانت فتنة البابية.

إيران وقت ظهور الباب: ظهر «الباب» بدعوته الهدامة في حقبة كانت تفكر فيها الدول الكبرى في تقسيم البلاد الشرقية. وكانت الحياة في إيران حياة يعصف بها القلق وتتنازع السيطرة عليها أطماع الدول الأجنبية وتترصدها الخصومات العنيفة بين الأسرتين اللتين كانتا تتجاذبان زمام الملك في إيران وهما أسرة الأفشار وأسرة القاجار وتدمر أمنها ثورات داخلية عنيفة تدفع بالثوار إلى الاستعانة بالأجنبي ويصرف زمامها ملك ضعيف أو مريض ووزراء مرتشون يشتري ذممهم الأجانب. أما شيوخ الدين فكانوا شيوخ خرافة لا شيوخ إسلام ومعهم صوفية يزعمون للناس أنهم مطالع الحقيقة الإلهية التي يحكى عنها الوجود بمظاهره. هكذا كانت الحياة في إيران. كانت خليطًا من فساد ديني وفساد عقلي وفساد خلقي وفساد سياسي وفساد اقتصادي وفساد اجتماعي فقد كان الفساد هو قوام الحياة في إيران حينما ظهر المأفون «الباب» وكان أكثر أهلها يدينون بمذهب الإثنى عشرية ويرقبون ظهور الإمام الغائب. أما البقية فكان منهم

=

الإسلام بريء من هذه الترهات والأباطيل.

زرادشتيون يرقبون ظهور موعودهم «بهرام شاه» أو «شوى» ومنهم يهود يترقبون ظهور المسيح الموعود. ومنهم مسيحيون يترقبون رجعة المسيح ومنهم مسلمون يترقبون ظهور «المهدي» وهكذا كانت كل فرقة تترقب منتظرًا وترجوا غائبًا استكن وراء روعة الغيب وسحر المجهول.

الشيخية: تنسب هذه الفرقة إلى الشيخ أحمد الأحسائي المولود سنة ١١٥٧هــ- ١٧٤٤م وقد قرر الشيخ أن البعث روحاني لا جثماني؛ لأن الروح جوهر الجواهر أما الجسم فمصيره الفناء الأبدي؛ لأنه مؤلف من عناصر الأرض. و«الشخصية الإنسانية التي تميز الأفراد عن بعضهم ليست أكثر من مجموعة صفات وأخلاق إن وجدت تامة في شخصية أخرى في أي زمان أو مكان دلت على رجوع الشخصية السابق وجودها إلى الوجود»(١) ولهذا أنكر الأحسائي الرجعة في مفهومها عند الإثنى عشرية وحكم بموت الإمام الثاني عشر وبأن روحه طارت إلى الملأ الأعلى ولكنها ستعود؛ لتحل مرة أخرى بجميع خصائصها في إنسان جديد يولد ولادة حقيقية من أب وأم جديدين غير والدي الإمام الثاني عشر الغائب المزعوم؛ لهذا ثار عليه شيعة إيران غير أنهم لم يستطيعوا أخذه بتهمة؛ لأنه كان يغلف آراءه بالرمزية ويقنعها بالإبهام المصمت هذا إلى ما كان يسبغه على أئمة الإثنى عشرية من قدسية ولاسيما عليًا. تقول دائرة المعارف الإسلامية: «إذا أخذنا بما يقوله براون فإن الأحسائي يكون من الشيعة الحلولية الذين يعبدون عليًا»(٢).

ومضى الشيخ يؤجج ضرام الأشواق إلى ظهور المنتظر ويحض أتباعه على الجد الدائم في البحث عنه مؤكدًا لهم أنه قد دنا ميقات ظهوره ومات الشيخ وقد سجل التاريخ فرقة شيعية أخرى باسم «الشيخية».

---

(١) العقائد لعمر عنايت.

(٢) انظر مادة الأحسائي في دائرة المعارف الإسلامية، ويقول جولدزيهر عن الشيخية إنهم يخصون الإمام المستور ومن سبقه من الأئمة بالقداسة الزائدة والعبادة الخالصة ويرون –على أسلوب الغنوصيين– أن الصفات الإلهية قد حلت في أشخاصهم وأنهم القوى الخالقة، ص٢٤١ ط١ العقيدة والشريعة.

وقد ورث زعامة الشيخية من بعده أعظم تلاميذه شأنًا هو: كاظم الرشتي المولود سنة ١٢٠٥هـ-١٧٩٠م، وقد نهج الرشتي نهج شيخه، ولاسيما في التبشير بقرب ظهور القائم حاثًا أتباعه على السعي الجاد في سبيل العثور عليه.

وهلك الرشتي والوله يستبد بقلوب تلاميذه، ويرقرق أعذب الأحلام في لياليهم الظامئة إلى الغائب المنتظر الذي بشرهم بقرب ظهوره، وحبس حياتهم على التفكير فيه والتحدث عنه «وكانوا -كما يقول البهائيون- دائمًا مشغولين بالبحث المتتالي عن شخص عظيم فريد أمين دعوه في اصطلاحهم بالركن الرابع وبمركز سنوحات حقائق الدين المبين»[1].

وتناوحت بهذه الأوهام والأحلام مشاعر الشاب المراهق «على محمد» واستحوذت عليها وأظمأت إليها أمانيه وأنهاره ولياليه!!

من البابية إلى البهائية

خنست البابية -مكرهة- بعد مقتل الباب ولكنها كانت تسارق الثورة النظر، وتعمل بجد في الخفاء بغية الأخذ بثأر الباب!! وكان البابيون مختلفين على أنفسهم في عقيدتهم وشريعتهم؛ إذ كانت آراء الباب الموروثة نفسها متناقضة متباينة وكان ما عند جماعة من كتبه وأقواله يخالف ما عند الآخرين؛ ولهذا كثر القول بالنسخ وما كانت تحكم جماعة منهم بنسخه تثبته جماعة أخرى. هذا إلى ما كان يقترفه البابيون من خطايا وفواحش جعلت كلمة «بابي» مرادفة في مفهومها لكلمتي «الكفر والخطيئة» على أن البابية -رغم اختلافهم- كان يوجد بينهم هدف واحد هو: الرغبة في الثأر والانتقام؛ لهذا ألفوا جمعية سرية كانت غايتها الفتك بكل معارض وبخاصة إذا كان من المسلمين وكانت هذه الجمعية برئاسة «سليمان خان» أحد رجال «تشريفات الشاه» وابن أكبر زعيم في قبيلة الأفشار. وكان الميرزا «حسين علي» الذي لقب بعد «بالبهاء» هو الرأس المدبر المفكر لهذه الجماعة. وكان أعضاء هذه الجماعة يقضون على أعدائهم إما بالذبح وإما بالسم وإما بالخناجر المسممة.

---

(١) ص٤ مقالة سائح ط ١٩٢٣.

البابية تحاول قتل الشاه: كلفت الجمعية السرية البابية اثنين من أعضائها بقتل الشاه ولكنهما فشلا، وقبض عليهما، فقتل أحدهما، وجرح الآخر فأفضى هذا بأسماء أعضاء الجمعية، ثم تجرع الموت.

إبادة: قرر الشاه وحكومته إبادة البابيين ففتكت بمن وقع في يدها منهم وعلى رأسهم سليمان خان. أما ميرزا حسين علي وهو رأس الفتنة فقد أودع السجن فقط! إذ أسرع الاستعمار الروسي لمساندة الخائن الجديد!!

البهاء والبهائية

البهائية نحلة ورثت البابية: ورثت الدماء التي أهريقت في سبيل أوهام وضلالتها البعيدة؛ لتعبد من دون الله صنمًا جديدًا يلقب: بالبهاء واسمه «حسين علي» ابن الميرزا عباس بزرك المزندراني النوري.

مولد البهاء: ولد بطهران سنة ١٢٣٣هـ-١٨١٧م وقد ورث زعامة العائلة بعد موت أبيه الذي كان «مأمور مالية». وكان عمر البهاء إذ ذاك يقارب اثنين وعشرين عامًا وقد توفي أبوه عن زوجتين وسبعة ذكور.

تعليمه: لقنه المعلمون في المنزل مبادئ العلوم التي كانت منتشرة في زمنه ثم عكف بعد هذا على التلقي من شيوخ التصوف أسراره ورموزه وعلى تدبر كتبه واستيعابها!!

صلته بالبابية: عرف البهاء البابية على يد أحد دعاتها في طهران فآمن بها وعمره سبع وعشرون سنة وقد تلبدت آفاق نفسه بأطماعه فعمل منذ أن اتصل بالبابية على أن يكون هو صاحب الكلمة النافذة وقد استغل في سبيل هذا تلك الغانية الهلوك «قرة العين» بعد أن عرك أنوثتها كما قدمنا فكان أن دعت بتوجيه منه إلى الإيمان بنسخ الشريعة الإسلامية. على أنه لم يرم بنفسه في أتون أية معركة أججتها البابية، وإنما كان يدع هؤلاء المأفونين يقتحمون الموت ويترددون في هاويته؛ ليبقى حتى يرث الزعامة على من يبقى منهم فقد كانت السيطرة على هؤلاء هي الحلم الحقير الذي استخف أطماعه ونزوات شبابه. كان يحرض الفتنة على البغي ويكيد بها ويدبر لجرائمها وهو قابع وراء سدل صفيق من الرياء والنفاق حفظ عليه حياته زمنًا فلم يقبض عليه من قبل ولم يلق عنتًا أو ملامة.

كان يعد الخنجر ويلوثه بالسموم الفتاكة ويضعه في يد السفاح ويدله على الطريق وعلى كيفية القتل حتى إذا تمت الجريمة وقف على جثة القتيل يندبها بدموعه ويلعن القاتل. بل كان يضع أحيانًا في ثياب المجرم الذي يدفع به إلى اقتراف الجريمة خطابًا يبرأ فيه من القتل والقاتل؛ لينجو هو إذا وقع المجرم في يد القصاص. وقد ظل هكذا إلى أن حدثت محاولة قتل الشاه فأخذ بها بعد أن ثبت أنه هو المجرم المدبر للجريمة فذاق لأول مرة مرارة السجن وجرد من أملاكه التي ورثها عن أبيه وترك بيته نهبًا للذين خرجوا عقب حادث الشاه يدمرون على البابيين بيوتهم ويقتصون من جرائرهم. أما أخوه يحيى -وكان له عند البابية المقام الأعظم- فقد استطاع الفرار ومضى يضرب الأرض صعدًا في زي «الدراويش».

الاستعمار الروسي يتدخل لإنقاذ البهاء:

ظل البهاء سجينًا أربعة أشهر يترقب في كل ساعة منها المصير الرهيب الذي لقيه أعضاء الجمعية السرية.

ثم كان أن تقدم السفير الروسي إلى الشاه واقترف شهادة زور قرر بها أن البهاء طاهر اليد من محاولة قتل الشاه واستطاع بدهائه وسطوته حمل الشاه على إصدار قرار بالعفو عن المجرم الآثم وبنفيه إلى عراق العرب وأبى الروس إلا أن يثبتوا ويظهروا جهرة للملأ أنهم يسطون على هذا المجرم حمايتهم فأرسلوا جماعة من الفرسان لحراسته[1]، وهو في طريقه إلى العراق، ومعه من أهل بيته اثنان وعشرون.

البهاء يمهد للفتنة في العراق: استقر البهاء في بغداد فجد يعبد لنفسه السبيل إلى زعامة البابيين الذين فروا إلى العراق. وكان جلهم يدينون بزعامة يحيى. وهذا مما جعل نفس أخيه البهاء تمور بالكراهية له وتغلي بالحقد عليه

---

(١) ص١٥٦ إشرافات. والذي سجل هذا هو البهاء نفسه، ولكن أتباعه يكذبونه -وهو معبودهم- إذ يقول صاحب مقالة سائح- وهو بهائي متعصب: إن البهاء بعد ثبوت براءته استأذن في المهاجرة لزيارة المشاهد المقدسة بالعراق فأذن له فرحل بإذن الملك وفي حراسة فرسان الملك!! ص٣٩ مقالة سائح.

ويستفزها دائمًا إلى الكيد بغية القضاء عليه. فكان أن شجر النزاع بين عصبته القليلة وبين عصبة أخيه يحيى وكان أن جاء كبار زعماء البابية إلى البهاء يذكرونه بنقائصه التي تشينه كرجل وكإنسان فلم يجد البهاء بدًا من الفرار حتى تسكن ثائرة هؤلاء ويستطيع بعيدًا التفكير في مؤامرة جديدة يقضي بها قضاءً مبرمًا على أخيه يحيى وجماعته.

وفر اللئيم إلى بادية السليمانية بالعراق، وما عليه سوى رداء واحد. وعلى شعاف جبل سركلو في كردستان العثمانية وفي مغاراته السود كان الناس يرون ضبعانا أشعث أغبر في مرقعات الدراويش البله تشمئز الجواء من نتنه الكريه، وتنساب من تحت مشفريه هينمة مبهمة غامضة تثير في النفس الفزع؛ إذ كانت أشبه ما تكون بفحيح صل أسود لاحت له حمامة وديعة!! إنه البهاء يخاتل مكره بأوراده الصوفية، ونفاق زهادته المدَّعاة!!

وشم علماء السليمانية -وأكثرهم من أهل السنة- من حديث البهاء نتن كفره فهموا به ففرَّ وعاد مكرهًا إلى بغداد. ويقص البهاء قصته في السليمانية فيقول: «إنه أقام في صحاري الفراق وصرف سنتين وحده في فيافي الهجر وجرت من العيون عيون ومن القلب بحور ومياه، فكم من الليالي لم أملك فيها قوتًا» ثم يفترى كعادته الكذب -وما أوقح جرأته فيه- فيقول: «وأخيرًا صبرنا إلى أن صدر الحكم من مصدر الأمر بالرجوع وقد امتثلت»[1] يزعم الكذوب أنه ما عاد إلى بغداد إلا بوحي من الله وأمر صريح منه. على حين يذكر كتاب البهائيين «مقالة سائح» كذبة أخرى فيزعم أن نفرًا من البابيين أسرعوا إلى البهاء في تلك الناحية ناحية السليمانية وتضرعوا إليه وانتحبوا بين يديه مستعطفين فحدا به ذلك الاسترحام إلى العودة[2]! إن التلطخ بأشنع الكذب لا يضير بهائيًا واحدًا؛ فهو من خلق ربهم البهاء.

وصمم البهاء على التمادي في غيِّه فزعم أن وحيًا إلهيًا تفجر في نفسه -

---

(١) ص٥٧ بهاء الله.

(٢) ٤٧ مقالة سائح.

وهو في هجرته- يأمره بنسخ بعض أحكام البابية!! فأجّ سعير الفتنة في بغداد، وأسرع كثير من البابيين يرجمون البهاء باللعنة. ويصور لنا البهاء هذه الفتنة في قوله: «لاحظنا بعد الرجوع ما يعجز القلم عن ذكره وها قد مضى الآن سنتان والأعداء قائمون بنهاية الجد والاهتمام على إهلاك هذا العبد الفاني. مع ذلك ما قام أحد من الأحباب لنصرتنا»[1].

تراه يرمي البابيين جميعًا -حتى أحبابه منهم- بالغدر الحقود ويصمهم بالسفه في أسلوب نائحة تستدر الدموع على ميت لا أهل له!! ناسيًا أنه كان دائمًا وراء فتن البابية ومجونها منذ استغل جسد امرأة خاطئة في الدعوة إلى نفسه!!

وهفا إلى البهاء من يهود العراق من أعدتهم الصهيونية لقيادة البهاء ودعوته الجديدة والبهاء في مكره السري جاد في استدراج البابيين إليه وصدفهم عن أخيه يحيى وشيوخ الدين يعلنون الحرب عليه؛ لما يبثه من وثنية غير أنها كانت أحيانًا الحرب التي تثار بين باطل وباطل فلا تكون الغلبة فيها بحجة من يقين الحق أو منطق العقل وإنما تكون بشقشقة اللسان أو بقوة السلطان. كان كثير من الشيوخ لا يعرفون إسلامًا وإنما يعرفون صوفية تزعم أن الله سبحانه هو عين كل شيء فجاء البهاء وزعم أنه هو الله؛ لأنه شيء!! فلماذا يثور عليه الشيوخ؟ ومن هنا نعلم لماذا لم يهتم البهاء كثيرا بمعارضة هؤلاء الشيوخ؟ إنه كان على بينة من ضلالتهم؛ لأنها نفس ضلالته. وقد كان خلفه من يعينه.

مجون: من عادة الشيعة -إذا بدأ شهر المحرم- إقامة المناحات والمآتم والمنادب إحياءً لذكرى مقتل الحسين. ومن عادة البابيين الإسراف في اللهو والمجون كلما استهل شهر المحرم احتفاء بذكرى مولد الباب وقد اقترف البابيون هذه المنكرات وهم في بغداد فهم الشيعة بالفتك بهم ولولا حكمة سيطرت من عقلاء بغداد لقضي عليهم!!

هذا المجون الموغل في التحدي وهذه الهمسات التي يهمس بها الميرزا

---

(١) ص١٧٤ إيقان.

حسين حول قدسيته مع محاولته إثارة فتنة بين العجم لصالح الروس(1)، كل هذا حمل شيوخ الدين وزعماء العراق على أن يطلبوا طرد البابيين فانتظم هؤلاء في سلك التبعية للدولة العثمانية؛ لينالوا حمايتها!!

وخنس الشيطان وشعر البهاء أنه يحفر بيديه لنفسه القبر المظلم ولاح له من وراء الماضي الرهيب شبح مخيف يذكره بمصرع الباب فلاذ بالصمت غير أن هذا الأفعوان كان إذا جن الظلام، يزحف في الدروب المظلمة؛ ليلتقي بمن خدعهم ويوزع رسائله على من فتنهم. وما كانت هذه الرسائل تجشمه من النصب إلا ما يتجشمه الناقل من الكتب؛ فقد كان البهاء ينفض الأكفان عن وثنيات شيطانية: الإسماعيلية والصوفية ثم يزعم -مستغلاً جهالة أتباعه- أن ما يكتبه إنما هو فيض من الوحي الإلهي المقدس!!

نفي البابية من بغداد: أكدت الأحداث لشاه إيران أن البابيين -رغم مقامهم في بغداد وهي ليست بعيدة عند حدوده- ما زالوا يمثلون خطرًا داهمًا فطلب من الخليفة العثماني إخراجهم من العراق ونفيهم إلى مكان بعيد فاستجيب للشاه وصدر الأمر بالنفي إلى الآستانة «سنة ١٢٨١هـ-سنة١٨٦٤م».

البهاء يعلن أنه الموعود

وزلزل القرار سكينة البهاء وأحلامه فأسرع -قبل أن يتفرق البابيون- يعلن للذين وثقوا به أنه هو الموعود الذي بشر الباب بظهوره(2).

البابيون في تركيا: وصل البهاء وأسرته والبابيون جميعًا إلى الآستانة(3) غير

---

(١) يقول العلامة الألوسي في تفسيره الكبير عند قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] عن البابيين: "كاد عرقهم يتمكن في العراق لولا همة واليه النجيب الذي وقع على همته وديانته الاتفاق حيث خذلهم -نصره الله تعالى- وشتت شملهم وغضب عليهم".

(٢) أعلن البهاء هذا وأسرته تقضي أيامها الأخيرة قبل النفي في حديقة نجيب باشا في بغداد وقد مكثت فيها الأسرة اثني عشر يومًا؛ ولهذا يسمي البهائيون هذه الحديقة "حديقة الرضوان" أي جنة الله الذي تجلى في البهاء.

(٣) كانت عدة البابيين وأسرة البهاء أقل من تسعين.

أن السفير الإيراني طلب من الباب العالي نقلهم إلى مكان بعيد عن العاصمة فنقلوا بعد أربعة أشهر إلى أدرنة[١]، وفيها كما يقول البهائيون: «لم يكن لهم طعام ولا ألبسة لائقة فتضاعفت لذلك آلامهم»[٢].

انشقاق البابية: وهناك جد البهاء في الجهر بما كان يسر به إلى طائفة ممن فتنهم وصمم على أن يقضي قضاءً مبرمًا على أخيه يحيى وزعامته وعلى أن يكون له وحده الأمر والسيطرة دون منازع. وكان البهاء يمتاز عن أخيه بالدهاء والنعومة الخاتلة في الحديث وبسعة الاطلاع على تراث الصوفية والباطنية واستيعاب الكثير منه وكان يتوسل إلى تحقيق مأربه الدون بكل وسيلة دون. أهونها شرًا النفاق وسفالة الغدر؛ ولهذا استطاع البهاء أن يزلزل مكانة أخيه يحيى وأن يشطر البابيين شطرين متعاديين شطرًا معه، وشطرًا مع أخيه.

بابيون وبهائيون: وهكذا انشق البابيون على أنفسهم وحالوا فرقتين متنابذتين بقيادة أخوين متطاحنين في بضع سنين وقد عرف أتباع يحيى بالأزليين؛ إذ كان من ألقابه" «صبح أزل» وعرف أتباع البهاء في أواخر أيامه: بالبهائيين حينما اختارت له الصهيونية لقب: بهاء الله وقد كان من ألقابه: «الذكر والطلعة المباركة والجمال المبارك وجمال القدم والحق» غير أن الصهيونية في النهاية لقبته بما قلنا لما سيأتي. واندفع كلا الأخوين في الكيد لصاحبه حتى دس البهاء السم لأخيه وحاول قتله غيلة مما حدا بالحكومة إلى نفي يحيى إلى قبرص وقد ظل بها حتى هلك ونفي البهاء وأتباعه إلى عكا وكانوا سبعين ونيفًا فحل بها سنة ١٢٨٥هـــ- ١٨٦٨م وهكذا استطاعت الصهيونية أن تحمل أجيرها الجديد إلى حيث أعدت الفتنة وقد عينت الحكومة على كلا الأخوين عيونًا من أتباع الآخر.

---

(١) يسميها البهائيون أرض السر فقد زعم البهاء وهو فيها أنه المظهر للإرادة الإلهية.

(٢) ص٣٨ بهاء الله وقد عنينا بنقل هذا؛ لأن له علاقة بما سيأتي حينما ترى البهائيين وقد أترفوا وأتخمهم الترف!! على أن صاحب مقالة سائح يؤكد أنه كانت للبهائيين مرتبات تعينهم بها الدولة العثمانية وأن البهاء -وقد زعم أنه الرئيس- كان يستولي على جميع مرتبات البهائيين فنازعه أخوه يحيى، وحم بينهما الشقاق من أجل هذا. وقائل هذا بهائي متعصب ص٦٨ وما بعدها.

الأزليون وزعيمهم: يؤكد البابيون أن الباب كان يعني يحيى بما قاله في كتابه البيان: «لا إله إلا أنت لك الأمر والحكم وإن البيان هدية مني إليك» ويقول يحيى في بعض كتبه: «خذوا ما أظهرنا بقوة وأعرضوا عن الإثم لعلكم ترحمون إن الذين يتخذون العجل من بعد نور الله. أولئك هم المشركون» ويقصد بالإثم والعجل أخاه البهاء والبابيون يلعنون البهاء وأتباعه ويتراءون بأنهم مسلمون فيؤدون شعائر الإسلام. غير أنهم يستبيحون دماء المسلمين وأموالهم(١).

عبد البهاء والبهائية(٢)

اسمه عباس وقد ولد بطهران سنة ١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م، وحينما بلغ الثامنة رأى الحكومة تقذف بأبيه في السجن؛ لأنه كان المدبر لمؤامرة قتل الشاه ورأى كذلك كيف هجم الشعب على بيتهم وهو مضطرم الرغبة في الثأر من المجرم الذي يسفك الدم وفي يده مسبحة وشهد أباه في السجن وكأنما هو ميت قام بعد دهر ينفض عنه هباء كفنه، وتراب قبره. ثم رافق أباه حينما نفي إلى العراق وحينما هاجر أبوه إلى السليمانية، كان شغله كتابة ألواح الباب وحفظها(٣).

وهكذا لم يع عقله منذ نشأته إلا ضلالة الباب وكفره فاستخف عقله الصغير زعم الباب فآمن به في طفولته كما استخف هذا الهوس أباه فلم لا تسحره فتنة أبيه وتستهويه دعواه وهو الذي يعتقد أن أباه لا يمكن أن يتهم أبدًا بسوء الكذب على الله أو على الناس؟ ولئن جاز أن يتهم بهذا فإنه لا يمكن أن يتهم بسوء الكذب على ابنه.

وشب الصبي وراح يلتهم في ضراوة ونهم تراث الصوفية وأدعياء النبوة والألوهية وكتب الباطنية وتراث الفلسفة اليونانية وقد استهوته الفيثاغورية لنزعتها

---

(١) ص٣٦٧، ص٤٣٤ تاريخ البابية.

(٢) هذا المبحث كاملاً للشيخ عبد الرحمن الوكيل- الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية.

(٣) ص٥٨ بهاء الله.

العددية وألزمته الفلسفة المادية نتائجها التي تجحد بالله ولئن كان قد تراءى بنقدها فإنما فعل هذا ليلتقي معها فعلاً وثمت أدرك عبد البهاء أن أباه كاذب في دعواه أنه يوحى إليه وعرف أنه سارق كفر لا مبتدع كفر!! وطالب أباه بالثمن؛ ليسكت وأعطي الثمن وهو السيطرة على عقل أبيه وقوله وقلمه ويده ليتناول ثمن الخيانة بدلاً منه!! واستمرأ عبد البهاء الكفر بالله وحاول أن يقيم دين أبيه على مبادئ لا تناقض أصول الفلسفة المادية الصماء التي تكفر بقدرة الخالق أو تجحد بوجوده[1]، وتنفي عن الله صفة الخالقية!!

لقد أفاق الشاب من سحر أبيه ولكنه لم يكن يستطيع أن يرجع؛ لأنه غير بطل بل غير رجل!! ولأنه وجد الكفر يدر ذهبًا ويشيد قصورًا ويغرس حدائق، وكانت شهوته أكبر من عقله وسيدة دنياه. وتراه في مكاتيبه يفخر بأنه يعرف ضلالة الفلسفة لا هدي النبوة ويحترم الفلاسفة ويهزأ بالأنبياء فيفيض -ليبرهن على تبعيته- في الحديث عن الأجرام الأثيرية والخلاء والملاء والعناصر والطبائع والمعادن والفلزات ولكنه حديث التقليد لا حديث العبقرية أو حديث الفهم الدقيق ويمجد فيثاغورس؛ لأنه اهتدى إلى دوران الأرض. وقد كان للفلسفة المادية التأثير الكبير عليه في نظرته إلى أصل الوجود والنواميس الكونية التي تسيطر عليه كما كان للتصوف التأثير الغالب عليه في نظرته إلى تنزلات الوجود الإلهي وتعيناته أو تجسداته. وللإسماعيلية في تجليات «العقل الكلي» كما أنه أخذ بنظامها السري في الدعوة؛ لهذا تكفل عبد البهاء -بعد هذا الوعي الأسطوري- بأمر الدعوة كما قلت وترك لأبيه الزمزمات والهمسات الخافتة الناعمة[2]، والدعوة إلى الحب العام والسلام العالمي. كما كان يفعل كبار كتاب عصره.

---

(١) يقول البهائية عن رأي داروين وغيره من الذين ينكرون الخلق بالمعنى الديني: "إنه أقرب إلى الدين" ص٢٥١ بهاء الله.

(٢) كان البهاء إذا سئل يحيل السائل إلى ابنه مخافة الزلل وكان عبد البهاء يقول في مثل هذه الحال: "صدر الأمر من مطلع إرادة ربك -يعني إرادة أبيه- لهذا العبد أن أحرر ما يجريه على قلمي بنفثات روح تأييده" ص٣٧ مكاتيب. فإذا ما خلا أحدهما بصاحبه ضحك كلاهما سخرية من بلاهة هؤلاء الذين آمنوا بهما.

تكفل عبد البهاء بدين أبيه يبتدع أصوله وفروعه وبالجدال عنه والحجاج بالمشككات في سبيله حتى صار الأمر في البهائية أمره واليد التي تعرف الأيدي القذرة المعطية هي يده!!

كان يغشى مساجد عكا ويؤدي الصلاة ويحاور ويداور ويقذف بالشكوك على النفوس القلقة اليقين وكان يستطيع -لمعرفته بمذاهب الديانات- أن يقنع[(١)] كثيرًا من الطوائف في عصره -على تباين آرائها ومعتقداتها- أنه معها، وأن البهائية هي هذا الكفر الذي ينزع إليه هؤلاء أو ذلك الإيمان الذي يسكن إليه أولئك أو هي هذه المادية الجامدة الجاحدة أو تلك الروحية المغرقة في التجريد والنسك فهو مسلم، مسيحي، يهودي، صوفي، بابي تيوزوفي ماسوني طبعي. هو حرباء تصطبغ دائمًا باللون الذي ينسجم مع بيئتها.

يراه المسلم في المسجد مؤديًا للصلاة خاشعًا مستعبرًا ويسمع منه الصليبي تمجيدًا للتجسد وللثالوث ويراه عاكفًا على مذبح الرب في الهيكل يرتل الضراعة باسم الآب والابن والروح القدس. أما هو في حقيقته فصهيوني يؤمن أن اليهود هم شعب الله المختار وأن فلسطين يجب أن تكون لهم وأن أباه هو مسيح الصهيونية الموعود الذي سيعيد إليهما ملك سليمان.

---

(١) لقد بلغ من دهائه أنه خدع عن حقيقة دعوته الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبده يقول الشيخ رشيد رضا في تاريخ الأستاذ جـ١ ص٩٣٠: "وقد دهشت أشد الدهشة؛ إذ رأيت الإمام غير واقف على حقيقة دينهم -يعني دين البهائية- ومصدقًا ما كان سمعه من زعيمهم الداهية عباس أفندي نجل البهاء ومنظم دعوته وناشرها حتى أوقفته على ذلك. كان يجتمع بعباس أفندي أيام إقامته في بيروت؛ إذ كان عباس أفندي يتردد إليها، ويصلي الصلوات الخمس والجمعة، ويحضر بعض دروس الإمام ومجالسه واستمر على مكاتبته بعد عودته إلى مصر ولدي عدة كتب منه إليه" ثم يقول الشيخ رشيد رضا أنه سأل الشيخ عن عبد البهاء وعما يقول عن براعته في العلم والسياسة فقال: "إن عباس فوق هذا: إنه رجل كبير هو الرجل الذي يصح إطلاق هذا اللقب عليه" ثم يقول الشيخ رشيد بعد هذا عن الشيخ "والظاهر أنه لم يقرأ ما نقلته دائرة المعارف العربية عن رأي أستاذه السيد جمال الدين فيهم بل كان غشه داهيتهم عباس بقوله: إن قيامهم لم يكن إلا لمقاومة غلو الشيعة وتقريبهم من أهل السنة".

ويسمع منه الملحد ثناء على إلحاده ويسمع منه الزرادشتي والبرهمي والبوذي والتيوزوفي أنه: راهب دينه وحبر لاهوته.

صلته بالاستعمار: كد عبد البهاء حتى وطد صلاته بالصهيونية والاستعمار ومن كل أخذ ثمنه فتبرجت فتون الدنيا بين يديه واستطاع بالمال الذي وضع تحت أمره أن يوطئ ظهور العبيد من أمثاله للاستعمار والصهيونية.

عبد البهاء والوصية: يصف عبد البهاء حاله قبل فتح وصية أبيه وبعدها بقوله إنه: «اشتدت عليه الأحزان وأثقلت عليه وطأتها الآلام حتى سمع نداء الميثاق وتلا كتاب العهد المنشور في الآفاق فانشرح صدره وقرّت عينه وطابت نفسه وانكشف ظلامه»[١].

وبهذا هتك عبد البهاء الستر عن طويته وبين لنا في جلاء أنه لم يقم بما قام به إلا ليرث زعامة البهائية وترفها وماها بعد أبيه. فما نظن أن رجلاً له دين يطمئن إليه ويعتقد أنه نبيه الأكبر بتلبيس بمثل هذا الشعور العاصف الذي يعطينا الدليل الأكبر على أن الأمر كان أمر سلطان زائف يورث لا أمر دين تعتقد صحته.

ولقد حم الشقاق بين عبد البهاء وإخوته غير الأشقاء مما جعل عبد البهاء يصفهم بأنهم عصبة ذئاب كاسرة وثلة سباع مفترسة نكصوا على أعقابهم[٢]، أما أبو الرذائل داعية البهائية الأكبر فيقول عن إخوة عبد البهاء «ظهرت طلائع النكس في صفوف أصحاب الشقاق فامتاز أصحاب الشمال من أصحاب اليمين وتميز السجين من العليين»[٣]. إلا أنهم رفضوا أن تهطع أعناقهم بطاغية كنود حقود يوصفون بهذه الأوصاف من أخيهم الذي يزعم أنه نبي البهائية وداعية حبها وسلامها؟ أتصدق -إذن- أن البهائية دين الحب الإنساني الخالص؟

وهكذا كانت البهائية معولاً من المعاول التي تصدع الجماعة وتدمر ألفتها

---

(١) ص١٦٩ مكاتيب: وهناك من إخوة عبد البهاء من يقول: "إن البهاء جن في أواخر أيامه، وكان ابنه يعمل كحاجب له فاستأثر بالأمر وأغدق على الجماعة أموالاً فحبب فيه الأتباع" ص١٥٦ العقائد لعمر عنايت.

(٢) ص٢٦٧ مكاتيب.

(٣) ص ٦٤ الحجج. ص٦١ بهاء الله.

وأمنها. وحسبك أنها دمرت أسرة أربابها!!

فأين هذه القوة الإلهية التي ينسبونها إلى البهائية والتي يزعمون أنها ستوحد العالم كله تحت راية واحدة وهي لم تستطع توحيد أسرة واحدة في نصف قرن؟!

وكان المستعمرون علي بينة من أمر عبد البهاء كانوا يؤمنون بأنه يعيش وفي أعماقه عبد مهين لهم ولشهواته يعيش وكل همه أن يرى بعض الأكف تصفق له وبعض الصحف تكتب عنه وبعض الماجنات يتغزلن فيه وبعض الناس يعرفون عنه أنه سيد أبيه ورب وحيه ومبتدع دينه، فشد الاستعمار من أزره فكان لعبد البهاء الغلب على إخوته وأوغل عبد البهاء في مظاهرة الصهيونية ومؤازرة الاستعمار؛ لتحقيق مأربه الدون الذي يؤرق لياليه وهو تمكين الصهيونية من فلسطين فمضى يشيد على جبل الكرمل الذي ورد ذكره في الأسفار اليهودية الحصون والقلاع زاعمًا أن هذه الأبنية إنما هي ضريح للباب ومجالس أذكار للبهائيين. ولسائل أن يسأل: وأنى لعبد البهاء كل هذه الأموال التي شيد بها كل هذه الأبنية الضخمة على جبل الكرمل وهو الذي رزئت به فلسطين مفلسًا صفر الكف ولا حرفة ولا وظيفة؟ ومرة أخرى أقول: يستطيع السائل أن يحزُر الجواب جيدًا إذا علم أن البهائيين جميعًا من لدن البهاء إلى عصرنا الحاضر يباعون دائمًا في سوق الرقيق للاستعمار وللصهيونية.

وظهر للحكومة التركية في وضوح ما يهدف إليه عبد البهاء بيد أنها لم تستطيع أن تفعل شيئًا سوى أن تفرض عليه الإقامة في عكا.

لقد استطاع سادته أن يحولوا بينه وبين أن ينفى أو بين أن يلقى به في غياهب السجون ولم لا وقد أثبت أنه عبد يستحق الثمن الذي دفع من أجله؟!

الاستعمار ينشر البهائية

لم يحل ما حدث بين عبد البهاء وبين أن يبث فتنته شرقًا وغربًا. فقد جمع له المستعمرون كتاب صحفهم في مقره وقد كتب لهؤلاء ما يسألون عنه عبد البهاء ولعبد البهاء ما يجيب به عن هذه الأسئلة ثم ينشر كل هذا في صحف الغرب وفيه ما فيه من تمجيد للبهائية؛ لأنها تستهدف التقريب بين الشرق والغرب والعمل في سبيل أن يصبح العالم أمة واحدة شعارها الإخاء والحب

والسلام فيطرب الغربيون -وسواهم من عدو العرب والمسلمين- لدعوة هذا الشرقي المسلم الكبير كما يزعمون ويكتبون عنه المقالات الحسان لأنه داعية محبة وسلام أو لأنه في الحقيقة داعية هدم للإسلام كما فهموا ومن أجله طربوا وهكذا دوى ذكر البهائية في إنجلترا وأمريكا وروسيا[1].

ولم لا؟ وعبد البهاء يمجد الصهيونية والصليبية وهو شيخ أشيب يزعم أنه مسلم؟!

في ردغة النفاق: ورأى سادة العبد أن يفتنوا الجماهير عن حقيقته فكان يغشى المساجد الكبرى ويقوم بزيارة المرضى وهو مغيب في ثيابه الكهنوتية المكونة من تاج فاره ضخم كتاج الدراويش. وعباءة مزركشة تحتضن في غزل جسده الناعم. هذا إلى لحية وفرة يتناوح شعرها الكثيف على صدره العريض وعينين ساجيتين على فتن خواتل من لأمة المكر وخبث الدهاء. تبرقان أحيانًا بنظرات يحسبها بعض الناس نورًا ورحمة وهي توقد الضراوة. ومن وحش ساغب

وحشدوا له من أماكن وبلاد شتى فئات كثيرة من النساء والرجال؛ وملأوا بهم قصره على أعين الناس، وأعدوا له فيه الموائد المترفة؛ ليزدردوا مع الطعام دعوته، وسموم فتنته وليفتتن بهم الذين يشهدون. فيظنون عبد البهاء رجل بر وبحر جود وعطاء! فإذا عاد أولئك إلى أوطانهم راحوا يلهجون بالثناء على كرم الشيخ الوقور وصلاحه وتقواه وعلمه وشفافية روحانيته وحبه العظيم لبني الإنسان. وزادوا، فجمعوا على موائده في حدائق قصره الْغُنِّ مسلمين ومسيحيين ويهود.

---

(١) أسرعت روسية القيصرية إلى مؤازرة البهائية وكفلت لهم الحرية التامة أيام البهاء وبنت لهم معبدين أحدهما في باكو والآخر في عشق آباد؛ فقد كان هم روسية التهام إيران وكان من وسائلها تقوية أمر هؤلاء ليعملوا معها في هذا السبيل.

ويقول برو كلمان: "وفي سنة ١٨٩٣ كانت البهائية قد ظهرت في أمريكا .. وما هي إلا فترة يسيرة حتى نشأ في جميع المدن الأمريكية الكبرى جاليات بهائية" انظر ص ١٦٥ جـ٤ تاريخ الشعوب الإسلامية وعزا الفضل في نشرها إلى حسناء إنجليزية اسمها لورا. قرة العين نشرت البابية، ولورا الإنجليزية نشرت البهائية وهما امرأتان رقص بجسدهما الشيطان لكل آثم!!

وثمت يأخذ عبد البهاء بحلو الحديث عن السلام الذي يجب أن يسود البشر على اختلاف مللهم وأديانهم وعن وجوب العمل في سبيل تحطيم الفوارق التي تحول بين البشر وبين التوحد.

إنها دعوة تحنو عليها القلوب وكانت تستحق العطف عليها وعبد البهاء يدعو بها لو أنها كانت تتحدث عن قلبه ولكنها -كما يؤكد تاريخه وكتبه- خدعة من الشيطان ومكر من الباطل وسم زعاف يتراءى بأنه الرحيق! إن الشر الصريح أهون من الشر يتراءى لنا في شفوف من الخير، والكفر الواضح أقل خطرًا من النفاق اللئيم. والله سبحانه لا يقبل إلا ما طاب ظاهره وباطنه لا ما طاب ظاهره وخبث باطنه!

وفي مثل هذه المجالس كان عبد البهاء يطرف زواره بطرائف من فكاهاته ونوادره التاريخية أو الأدبية أو العلمية فيستثير نوازع الطرب والسرور والإعجاب.

وفي أثناء ذلك كان يسر في أذن هذا بهمسة تشيع الفرحة العميقة في نفسه ويرمق هذا بنظرة يحتال هو حتى يجعلها تشعر المرموق بها بأنه بين يدي أب حنون عطوف ويربت على كتف آخر وقد تفجرت على شفتيه ابتسامة أودع الرياء فيها خبث مكره ودهائه. وهكذا لا يبقى في المجلس إنسان إلا ويشعر بأنه مهوى عطف عبد البهاء واحترامه.

ثم زادوا فأبدعوا لعبد البهاء رواية يمثلها في كل يوم جمعة. رواية تخلب العاطفة بمظهرها الإنساني الرحيم.

يجمعون على بابه عشرات البائسين من الرجال والنساء اللاتي يحملن على أكتافهن الأيتام وفي قلوبهن الفواجع ويظل هؤلاء ساعات وعيونهم شاخصة إلى باب القصر الضخم الذي سيظهر منه المولى عبد البهاء؛ ليمنح الجميع صدقاته وبركاته. وعندما يوقن عبد البهاء أن مشهد هؤلاء الذين ينتظرونه قد استرعى انتباه الناس يبرز متخطرًا في ثيابه الموشاة الساحرة العاطرة ثم يسير بين صفين من هؤلاء خُطى تترنم فيعطي هذا وذاك من صدقاته أو يقف عند عجوز علمتها المسكنة كيف يكون ذل الضراعة فتجثو باكية على قدميه متشبثة بردائه فيحنو

عليها داعيًا مواسيًا أو يقف عند طفل حملته أمه فيمسح وجهه بكفه الرخصة الناعمة المعطرة ثم يسأل عن الذين تخلفوا ممن كانوا يشهدون من قبل مثل هذا اليوم.

كل هذه المشاهد التي ترف برقة الإنسانية وكرم عاطفتها يؤديها ممثل بارع لماع الذكاء ذو وجه يشع منه وضح جمال وتقبع تحت أهدابه الوطف عينان ماكرتان ساحرتان تعرفان كيف تغازلان العاطفة ولا ريب في أن سحر هذه المشاهد يوحي إلى بعض الناس بأن هذا السراب واحة وريفة الظل ثرَّة الينابيع. وقد آتى هذا الرياء ثمره، فأجَّ صيت عبد البهاء معطرًا بالأمداح والثناء.

وما كانت النبوة التي تجعل كرامة الآدمية لترضى أبدًا بمثل هذا الامتهان على مدرجة الطريقة لإنسانية مستضعفة. لم تكن لترضى أبدًا أن ينتظرها الأرامل والأيامى واليتامى والعجزة على قارعة الطريق وهم ينأدون تحت وطأة الذل ساعات مترقبين صدقة المن والأذى والمهانة صدقة يشهد التاريخ أنها أفلاذ أكباد الشعوب. وأنها مازالت تفوح منها رائحة الدم المسفوح.

لقد عاش بعض فقراء المهاجرين في صفة من مسجد المدينة وكان إخوانهم يحملون إليهم رزق الله في مقرهم الكريم. ولم يقف هؤلاء المهاجرون على باب الرسول ﷺ أو على مدارج الطرق يترقبون صدقاته وما كان لرسول الله ﷺ أن يرضى بمثل هذا الامتهان الذي يحقر من آدميتهم التي كرمها الله في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيَ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. ثم جاء عمر ﷺ فحمل أصحاب الصفة على تركها؛ لأنهم قادرون على العمل، وقد وجدت الفرص الكثيرة للعمل.

ولكي يشغف ذلك المشهد البهائي القلوب ويستطير بثنائها يأخذ عبد البهاء طريقه بعد هذا إلى مسجد الجمعة في سمت الوقور التقي الخشوع. وطرق حبات مسبحته يمتزج بغمغمة أذكاره في تآلف نغم شجي. ثم يجلس في تواضع سخي بين المصلين حتى ينتهي من صلاة الجمعة. وهي في دين البهائيين منسوخة. ولا يجوز أن تؤدى. والبهائيون حتى اليوم لا يؤدون الجمعة فكيف نثق في رجل يزعم أنه النبي الأكبر ثم هو يقترف مثل هذا النفاق الوضيع ويسف فيه هذا

الإسفاف الدنيء فيؤدي صلاة يؤمن هو بأنها عمل باطل؟ إن المجرم الذي شغفته الجريمة حبًا يهاب أحيانًا أن يقترف مثل هذا النفاق خوفًا من الله إنه يجل الله الذي طالما عصاه عن أن يرتكب بين يديه مثل هذا النفاق الدنيء.

الحقيقة الألهية في رأي البهائية

تقول البهائية عن الله سبحانه: «إن حقيقة ربانية وكينونة صمدانية وهو غيب في ذاته وكنز مخزون في صفاته ومجرد بحث في حقيقته وهويته لا يوصف بوصف ولا يسمى باسم لم تزل كانت ذاته ولا تزال تكون مقدسة عن كل اسم ومنزهة عن كل وصف ليس لجواهر الأسماء في ساحة قدسها طريق ولا للطائف الصفات في ملكوت عزها سبيل وكل تسبيح أو تقديس أو تنزيه وتمثيل وتشبيه ذكر من حيز العجز والنسيان. ولو تكون طائرًا في هواء قدس -كان الله ولم يكن معه شيء- لترى أن جميع هذه الأسماء لدى تلك الساحة: معدومة عدمًا صرفًا ومفقودة فقدًا بحتًا»(١).

---

(١) ص١٣٣ مكاتيب ص٢٤ الحجج ص٢٥، ١١٣ إيقان ص٢٢٠ مكاتيب، ص١٢ إشراقات والبهاء يشير إلى الحديث المنسوب إلى رسول الله ﷺ "كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان" والبهاء في هذا نضو تقليد أصم فقد استشهد بهذا نفاة الصفات وأرباب وحدة الوجود. يقول الإمام الجليل ابن تيمية: "وهذه الزياد- يعني: وهو الآن ما عليه كان- كذب مفترى على رسول الله ﷺ اتفق أهل العلم بالحديث على أنه موضوع مختلق .. وإنما تكلم بهذه الكلمة بعض متأخري الجهمية وهذه الزيادة الإلحادية قصد بها المتكلمة الجهمية نفي الصفات التي وصف الله بها نفسه. أما هؤلاء الجهمية الاتحادية -يعني ابن عربي وأمثاله- فقالوا: وهو الآن على ما عليه كان ليس معه غيره ولا سواه فليس إلا هو فليس معه شيء آخر لا أزلا ولا أبدًا بل هو عين الموجودات ونفس الكائنات" ص٩٣ رسالة وحدة الوجود. والبهائية على دين الجهمية ودين الصوفية التي تقول عن الله: "اعلم أن حقيقة الذات الإلهية -من حيث هي كذلك- لا وصف لها ولا رسم فهي العماء؛ إذ لا يمكن معرفتها بوجه من الوجوه مالم تتعين بصفة" ص٩٣ جامع الأصول في الأولياء. ويقول القاشاني عن الله: "هو من حيث هو مقدس عن النعوت والأسماء لا نعت له ولا رسم ولا اسم ولا اعتبار للكثرة فيه بوجه من الوجوه" ص٣ شرح فصوص الحكم للقاشاني بطبع حجر ١٣٩٩هـ، وقارن بين هذا وبين قول البهائية تجده هو هو والبهائية التي تأبى أن تسمي الله بأسمائه =

هذه هي عقيدة البهائية بنفس ألفاظهم وهي مسبوقة بهذه الزندقة من مخانيث الفلسفة والصوفية والباطنية والإسماعيلية والدرزية وهي زندقة حيرى بين عبادة عدم وعبادة صنم فالمجرد الصرف والكلي البحت. وجوده ذهني لا عيني أي لا حقيقة له خارج الأذهان وهم يقولون في غلو التجريد أو السلب أو النفي: إن الله سبحانه لا يوصف بوصف ولا يسمى باسم ولا يذكر بذكر ويضلون مع هذا التجريد وهذا السلب أو النفي في تيهه الذي ليس له من آخر!!، فهل تجد أو ترى بعد هذا التجريد الصرف أو السلب الخالص وجودًا أو تحس به أو أنك في الحقيقة لا تتصور ولا تجد سوى مفهوم العدم!!

قد يقال: كيف يتهمون بأنهم يحكمون على الحقيقة الإلهية بأنها عدم؟ وهم يحكمون عليها بأنها وجود وفرق كبير بين الوجود والعدم؟ وأقول ردا على هذا: إن التفرقة هنا تفرقة اسمية أو لفظية أو تصورية فحسب؛ لأن مفهوم الوجود مع هذا التجريد هو: مفهوم العدم؛ فالتفرقة الحقيقية تستلزم وجود شيئين ووجود صفة في أحدهما ليست موجودة في الآخر، فبماذا نفرق بين الوجود البهائي وبين العدم؟ والبهائية تنفي عن الوجود كل اسم وصفة إيجابية أو سلبية.

وبتعبير آخر نقول: إن كل موجود لابد له من صفة تبين: ما هو وبها يثبت وجوده وصفة سلبية بها يتميز عن غيره وإلا فلن نستطيع التفرقة بين اثنين والبهائية تنفي عن ربها كل صفة إيجابية فكيف تسميه وجودًا أو بماذا تثبت وجوده؟ وتنفي عن كل صفة سلبية فكيف تميزه عن سواه؟ وأقول أيضًا: إن التفرقة تستلزم التحديد والتحديد يستلزم وجود الصفات وهم ينفونها ثم هم

=

وتصفه بصفاته تفتري له سبحانه أسماء توحي بسوء الحقد فيطلقون عليه في مرتبة التجريد اسم العماء والعماء كما يعرفه عبد البهاء هو: "الحقيقة الكلية، فالتعينات موجودة بنحو البساطة والوحدة. ليست ممتازة عن الذات. إذن تعين ولا تعين. وهذا المقام يعبرون عنه بالأحدية والعماء" ص١٩٨ من كتاب خدعنا عنوانه إذ رأيناه معنونًا بما يأتي: "الله باللغتين الفارسية والعربية وبها رسالة للعلامة الشيخ محمد نجيت مفتي الديار المصرية سابقًا" فاشتريته ففوجئت بأنه لا يحتوي إلا على رسائل لعبد البهاء باللغتين العربية والفارسية فتبينت أية خدعة قذرة يخدع البهائيون بها القراء.

يقولون عن الله: إنه كلي فإن كان كليهم هذا وجودًا مطلقًا بشرط الإطلاق لزمهم الحكم على الله بأنه عدم أو مجرد تصور ذهني فحسب. وإن كان وجودًا مطلقًا -لا بشرط الإطلاق- لزمهم الحكم على الله: بأنه جزء من المعينات أو بأن وجوده جزء من وجود خلقه أو بأن الخالق صنعة الخلق أو هو هو، وهذا دينهم والعقل لا يتصور أبدًا أن يكون الخلق عين الخالق أو خالقًا له وهذا الذي لا يتصوره عقل ولا يقره دين، هو: دين البهائية الذي يعبد عدمًا ويسميه وجودًا وصنمًا ويسميه ربًا معبودًا!!

على أن أكثر نصوص البهائية -وما أشنع حدة التناقض بينها- تؤكد لنا- وإن حاولت الإنكار -أنها تدين بأن الله سبحانه بعض خلقه وأنه ليس قيومًا، ولا قائمًا بذاته وإنما يستمد قيوميته وقيامه من غيره .. اسمع ما يقول عبد البهاء في غلو التجريد أو إسفاف التجسيم: «كل ما في الكون يا إلهي راجع إلى حيز المحدود والقيود حتى الإطلاق وإنك متعالى عن ذلك»[1].

وهذا معناه أن عبد البهاء يدين بأن الله وجود مطلق لا بشرط الإطلاق ومعناه أيضًا أنه يدين بأن الوجود الإلهي تابع للوجود الإنساني أو جزء منه - فالمطلق لا بشرط الإطلاق- لا وجود له بذاته وإنما يكون وجوده تابعًا لوجود غيره. وتؤكد البهائية إيمانها بتبعية الوجود الإلهي للوجود الإنساني بزعمها أن الله لا يتحقق وجوده إلا معينًا في هيكل بشري به يتحقق وجود الله وقيوميته. ومن يزعم أن الله شيء غير ذلك وعبده فقد عبد -كما يؤكد عبد البهاء-: «حقيقة موهومة مقصورة في الأذهان مخلوقة مردودة ضربًا من الأوهام دون الوجدان في عالم الإنسان»[2].

نور من الحق: وفي هذا التيه المظلم يتجلى لنا نور الحق هاديًا إلى اليقين من القرآن في قوله سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]

---

(١) ص٢٢٠ مكاتيب. والقاشاني في شرح الفصوص يقول: "والله منزه عند التقييد والإطلاق" ص٧٠ ط١٣٠٩ .

(٢) ص٢٢٠ مكاتيب.

وصف بالنفي ووصف بالإثبات. ومن يتدبر الذكر الحكيم يجد أنه جاء في صفات الله بإثبات مفصل ونفي مجمل. على نقيض ما يدين به المعطلة وعبد العجل من القائلين بالحلول ووحدة الوجود فقد أسرف الأولون في النفي حتى صيروا معبودهم عدمًا وأسرف الآخرون في الإثبات فلم ينفوا عنه شيئًا فكان أن ألهوا كل شيء!!

ثم تدبر قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر:٢٣، ٢٤]. وكل اسم إلهي جليل من هذه الأسماء له معناه الجليل ودلالته على صفة إلهية جليلة وإلا بهتنا الله: بأنه يسمي نفسه بما ليس له معنى. فما الذي يدعونا إلى إغماض العين والقلب عن هذا النور الإلهي؛ لتخبط في دياجير ليل اغتال الأبد السحيق فجره؟!

مراتب الحقيقة الإلهية أو تعيناتها

زعمت البهائية أن الحقيقة الإلهية مجرد صرف والمجرد الصرف في حاجة إلى هيكل يتعين أو يتجسد فيه؛ حتى يمكن أن يرى ويعرف ويعمل. بيد أن هذه الحقيقة قد مرت قبل التجسد في هيكل بأطوار أو أكوار.

التعين الأول: وأول تعين للحقيقة الإلهية تسمية البهائية: «النقطة الأولى أو الحقيقة المحمدية» ويعرفها عبد البهاء بقوله: إنها «الألف اللينة التي هي باطن الباء وعينها في غيبها وتعينها وتشخصها وتميزها في شهادتها»[1]. فالنقطة الأولى – إذن– هي التي بها تميز الوجود الإلهي وتعين وتشخص فانتقل من مرتبة التجريد المحض إلى مرتبة التعين أو من الغيب إلى الشهود أو من أفق الوجوب إلى أفق الإمكان أو من الأحدية إلى الواحدية أو من الإطلاق إلى التقييد. والفرق بين

(١) ص٤١ مكاتيب والألف هي: "الذات الأحدية أي الحق من حيث هو أول الأشياء في أزل الآزال والباء: يشار بها إلى أول الموجودات الممكنة؛ وهي المرتبة الثانية من الوجود" ص٩١، ٩٥ جامع الأصول في الأولياء.

المرتبتين هو أن أسماء الله في المرتبة الأولى ليس لها ظهور ولا سمة ولا إشارة ولا دلالة ولا معنى. أما في المرتبة الثانية فللأسماء ظهور وتعين وتحقق وثبوت ووجود فائض من الحقيقة الرحمانية والكينونات الملكية في حضرة الأعيان الثابتة[١].

وإليك نصًا آخر يعرف فيه عبد البهاء «النقطة الأولى» وقد هذى به في مناجاة لربه البهاء. وهذه هي النجوى: «أبدعت كينونة لامعة وحقيقة ساطعة وأرجعت الوجود إليها ودعوت السجود لديها وما دون ذلك أوهام وصور خيالية»[٢] ما لله وجود منفصل عن وجود هذه النقطة بل لا وجود له إلا بوجودها ولا يجوز أن يعبد الله إلا وهو متعين فيها ومتجسد في مظاهرها ومن يعبد الله الذي دعت إلى عبادته الرسل فقد عبد وهما أو سجد لصورة ذهنية!!

تلك هي تعينات الحقيقة الإلهية عند البهائية فهل ترى فيها إلا باطلاً معادًا.

مادية صرفة: إن الجاحدين بربوبية الله ووجوده لا يؤمنون إلا بشيء واحد: هو أن هذا الوجود الحسي العيني المتقوم في مادة هو الله؛ فوجود الكون هو وجود الله سبحانه. ومن هؤلاء من رأى أن الإنسان هو الذي تتمثل فيه

---

(١) سرق عبد البهاء من الصوفية ما عرف به المرتبتين وسماه وحيًا إلهيًا. وإليك الدليل القاطع. تعرف الصوفية الأحدية بما يأتي: "الأحدية عبارة عن مجلي الذات ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور فهي اسم لصرافة الذات المجردة من الاعتبارات الحقية والخلقية والواحدية عبارة عن مجلي ظهور الذات فيها صفة والصفة فيها ذات فبهذا الاعتبار ظهر كل من الأوصاف عين الآخر. والفرق بين الأحدية والواحدية أن الأولى لا يظهر فيها شيء من الأسماء والصفات أما الثانية فتظهر فيها الأسماء والصفات بحكم ما يستحقه كل واحد من الجميع" انظر ص٣٠ وما بعدها جـ١ الإنسان الكامل ط١٢٩٣ عبد الكريم الجيلي وجامع الأصول في الأولياء ص١٢٦. أما الرحمانية "فهي الظهور بحقائق الأسماء والصفات" ص٣٢ جـ١ الإنسان الكامل. أما الأعيان الثابتة فهي حقائق الأشياء قبل إفاضة الوجود عليها.

(٢) ص٤٩، ص٢١ مكاتيب. وأقول لم لا يرجع الوجود إلى نفسه هو مادام يملكه؟ وكيف كان هو حينما أرجع الوجود إلى الكينونة؟ أكان عدما! إن العدم لا يستطيع أن يهب الوجود! أم كان وجودًا ثم سلب الوجود عن نفسه ووهبه لغيره؟ القول بهذا فيه الحكم بالعدم على واهب الوجود وبالسفه على واهب الحكمة والعقول.

حقيقة الوجود في كمالها الأعظم فألهوه ومنهم من رأى بعض الكواكب ومنهم من رأى النار فأله كل ما ظن أن حقيقة الوجود الإلهي تتجلى فيه أظهر وأجلى وأكمل مما تتجلى في غيره ومنهم من رأى حقيقة الوجود تتمثل في كل شيء فأله كل شيء!! وتعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا!! وجاءت البهائية تقلد تقليدًا أعمى أصم دون لمحة فكر أو أثارة رأي!!

شهادة من الحق: يقول ربنا سبحانه: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف: ٥١].

ويقول: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣]. فأين الحديث عن النقطة الأولى التي تعين فيها الوجود الإلهي؟ وأين مراتب الذات وتعيناتها؟ وهل شهد البهاء وابنه خلق السموات والأرض حتى يتحدثا عن حقيقة إلهية كانت عماءً مجهولاً فأرادت أن تعرف وترى فتعينت في النقطة الأولى أو الحقيقة المحمدية؟!

أسماء الحقيقة الإلهية وصفاتها

زعمت البهائية أن الله لا يسمى ولا يوصف فما له عنوان على الإطلاق ولا نعت عند أهل الإشراق «الصوفية».

لهذا يجب أن نطلق على الهيكل البشري الذي تتجسد فيه الحقيقة الإلهية كل الأسماء والصفات الإلهية الواردة في القرآن فيقال عنه: إنه هو الله الخلاّق الذي بيده ملكوت كل شيء!!كما تطلق عليه الصفات البشرية فيحكم عليه بأنه يجوع ويظمأ وينسى ويتذكر ويمرض.

يقول البهاء «كم من العباد من شريف ووضيع كانوا دائمًا ينتظرون ظهورات الأحدية في الهياكل القدسية» ويفسر البهاء قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] بقوله: «يقصد به ظهور ذلك الجمال الأزلي خاضعًا للحدودات البشرية مثل الأكل والشرب والفقر

والغنى والعزة والذلة والنوم واليقظة»[1] ويقول أبو الرذائل عن الجسم البشري الذي تتجسد فيه الحقيقة الإلهية: «ويظهر في المرتبة الأولى والمقام الأول علم الله وحكمته وقوته وقدرته وسلطته وعظمته ووحدانيته وفردانيته وإرادته ومشيئته وجماله وجلاله وفضله وكماله ورحمته وأفضاله؛ فهو -أي الهيكل البشري الذي تجسدت فيه الحقيقة الإلهية- المسمى بجميع الأسماء النازلة في الكتب الإلهية» ويقول: «يمتاز هذا المظهر الكريم والإنسان العظيم عن غيره من أفراد البشر بظهور صفات الله تعالى منه وبروز أسمائه وخصائصه به فيظهر منه العلم والحكمة والعزة والقدرة والقوة والغلبة والقاهرية»[2].

ولكن كيف نميز بين مظهر ومظهر أو بين جسدين تجسدت في كليهما الحقيقة الإلهية؟ يزعم الميرزا حسين علي: أن الحقيقة الإلهية تتخذه لها في كل هيكل تتجسد فيه اسمًا خاصًا ورسمًا مخصوصًا[3]، فكان من أسمائها -مثلا- نوح وموسى وكان لها في كل تجسد مميزات خاصة كالبياض والسواد والطول والقصر والأبوة والأمومة والعمومة والخئولة والبنوة والأخوة وبهذه امتازت الحقيقة الإلهية التي كانت متجسدة في موسى -مثلا- عن الحقيقة الإلهية التي كانت متجسدة في عيسى!! كانت الحقيقة الإلهية في آدم طويلة ثم أصبحت في غيره قصيرة!؟ ياجحود البهائية الذي لا ترعوي له ضلالة!! تأبى أن تصف الله بأنه خالق ثم تصفه بأنه مريض وطويل وقصير ووالد ومولود وتصف لصًا حقيرًا كالميرزا بأنه الخلاق العلي الكبير!!

---

(١) انظر ص ٣، ٤٦، ٥٠، ٥٢، ١٥٣ الإيقان.

(٢) ص٢٥، ٣٥ الحجج واقرأ للجيلي عن الإنسان الذي تتجلى فيه الحقيقة الإلهية تجليا ذاتيا: "هو الفرد الكامل والغوث الجامع عليه يدور أمر الوجود وله يكون الركوع والسجود وبه يحفظ الله العالم وهو المعبر عنه المهدي والخاتم وهو الخليفة الذي تنجذب حقائق الموجودات إلى امتثال أمره. ويقهر الكون بعظمته ويفعل ما يشاء بقدرته" ص٥١ جـــ١ الإنسان الكامل.

(٣) ص١٦ إيقان.

تطور الحقيقة في تعيناتها

لا تظهر الحقيقة الإلهية بكل كمالها مرة واحدة؛ لأنها «وجوب» وهو قوة والجسد البشري «إمكان» وهو ضعف؛ لهذا تدرجت الحقيقة الإلهية في تجلياتها؛ لأن «الإمكان» لا يستطيع تحمل تجليها فيه مرة واحدة ثم إنها تتجلى في كل شيء بحسب استعداده وقابليته فتارة تتجلى كالشمس وتارة كالسراج الوهاج وتارة كالمحيط وتارة كالسحاب الفياض[1].

الإمكان يسيطر على الوجوب: من معاني «الواجب» عند أصحاب التقسيم العقلي أنه: ما كان وجوده من مقتضى ذاته، أو أنه: ما يمتنع عند العقل عدمه ومن معاني «الممكن» أنه: ما لا تقتضي ذاته وجودًا ولا عدمًا أو هو: ما لا يمتنع وجوده ولا عدمه وما هو من مقتضى الذات فإنه لا يتخلف عنها ومن خصائص الممكن احتياجه دائمًا إلى «الواجب» في وجوده وبقائه ومن خصائص «الواجب» أن له وجودًا خاصًا به وأن ذاته تقتضي الوجود وأنه مستغن عن غيره وقد أطلق أصحاب هذا التقسيم على الله سبحانه اسم «الواجب».

أما البهائية فإنها تحكم على الواجب -أي الله سبحانه وتعالى-: بأنه هو المحتاج إلى الممكن في تحققه وظهوره فإذا شاء الواجب أن يكون وأن يخلق ويعلم ويسمع ويرى ويحيي ويميت فإن مشيئته لا تتحقق إلا حين يتعين في ممكن يقول عبد البهاء: «شمس الحقيقة الرحمانية لها طلوع وأفول وظهور وبطون وبظهورها وطلوعها على مطلع الإمكان تتنور مطالع الأكوان بفيض الرحمن». ويحدد عبد البهاء العلاقة بين الواجب والممكن فيقول عن الممكن: «إنه هو الواجب بجميع معانيه ومبانيه؛ وإشاراته وبشاراته وشئونه وحقائقه وآثاره وأنواره وأسراره وباطنه وظاهره وغيبه وشهوده»[2].

---

(١) ص ٢٤٢، ٦٨، ٢٤، ١٩ مكاتب. واقرأ للجيلي قوله عن تجلي الصفات الإلهية "والناس في تجليات الصفات على قدر قوابلهم وبحسب وفور العلم وقوة العزم فمنهم من تجلى الحق له بالصفة الحياتية فكان هذا العبد حياة العالم بأجمعه يرى سريان حياته في الموجودات جميعها جسمها وروحها" جـ١ ص٤٤ الإنسان الكامل.

(٢) ص٤٦، ٥٤ مكاتيب.

إنها وحدة وجود صريحة تحكم بالعدم على الخلاق واهب الوجود وبالوجود الأزلي الأبدي على من أصله العدم ومصيره الفناء!! ولست أدري لماذا اختارت الحقيقة الإلهية الإمكان مطلعًا لها وهو عدم قبل خلقه وفناء بعد موته؟ إنها لحماقة يعصف بها الغباء أن تختار القوة القهارة الضعف مظهرًا لها للتعبير عن قاهريتها وأن يصطفى الوجود العدم؛ ليكون صفة من صفاته وأن يتخذ البقاء الفناء اسمًا له ومقومًا لمعناه، وأن يجتبي الغنى المطلق الدائم الفقر المطلق آية له. والبهائية بما صورت تعطي أسوأ قدوة وتعلم ضعة النفس وسفاهة الإرادة فمعبودها الذي تدعو إليه ينتقل من واجب إلى ممكن ومن رب إلى عبد ومن قوة إلى ضعف ومن غنى إلى فقر ومن قاهر إلى مقهور! فأية قدوة تدعو البهائية إلى الاقتداء بها؟! ترى ماذا يحدث لو أن البشرية انصاعت إلى هذه الدعوة الملعونة؟ سيكون جدها لا في سبيل أن تبلغ القمة بل في سبيل أن تنحدر إلى الحضيض، ولم لا وربها يتطور من الكمال إلى النقص؟

حاجة الحقيقة الإلهية إلى بدن[١]: زعمت البهائية أن الله –جل شأنه– مجرد بحت كما زعمت أنه لا يعقل التعطيل في صدور الأفعال عن المجردات وأن المجردات لا يصدر فعلها عنها إلا بآلية الأبدان العنصرية [٢]؛ ولهذا قالت عن الله سبحانه: «إن الناس لا يبصرونه ولا يسمعونه بآذانهم ولا يعرفونه إلا إذا تجلى لهم في هيكل مرئي وتكلم معهم بلغة بشرية» وقالت أيضًا: «أخبرنا بهاء الله بأن مجيء رب الجنود والأب الأزلي عبارة عن تجليه في الهيكل البشري كما تجلى في

= واقرأ للجيلي "كل موجود يوجد فيه ذات الله سبحانه وتعالى بحكم الاستيلاء" وقوله: "الرحمانية هي الظهور بحقائق الأسماء والصفات وأول رحمة رحم الله بها الموجودات أن أوجد العالم من نفسه؛ ولهذا سرى ظهوره في الموجودات فظهر كماله في كل جزء وفرد من أفراد وأجزاء العالم ولم يتعدد بتعدد مظاهره بل هو واحد في جميع تلك المظاهر" ص٣٢، ٣٣ جـ١ الإنسان الكامل.

(١) أفردته بالذكر للأهمية.

(٢) ص٢٦ وما بعدها الحجج.

هيكل عيسى»[١] وقالت عن الله سبحانه: إنه لا يستطيع أن يعمل إلا وهو حال في بدن، وأنه لم يخل عن بدن؛ لأن مظاهر جماله لا يعرف لها بداية!!

متى تتجسد الحقيقة الإلهية؟!: تزعم البهائية أنه ليس للحقيقة الإلهية ميعاد مخصوص؛ لتتعين في جسد بشري، فإنها كلما رأت استعدادًا وقبولاً في هيكل بشري تجسدت فيه[٢]!! ولكن لا يد للإله فيما عليه هذه الحقائق الوجودية والأجسام البشرية من استعداد وقبول فهو قد وجدها هكذا!!

وإذا كانت الحقيقة الإلهية -وهي غيب- لم تستطع أن تمنح نفسها علمًا وقدرة وجلالاً وهيمنة فكيف استطاعت -وهي أسيرة القيود البشرية- أن تمنح الجسد البشري كل هذه الصفات التي بها يخلق ويرزق ويحيي ويميت؟ إذا كانت -وهي مجرد- عجماء بكماء! فكيف استطاعت منح هذا الجسد القدرة على الكلام والتصرف في فنون البيان والإحسان فيه؟!

ألا إنه لحكم على الله بأن الذي يعطيه وجوده وقدرته وخلاقيته بدن يمحقه الفناء. ثم أسأل مرة أخرى: إذا كان ولابد للحقيقة الإلهية من التعين في جسد فلماذا تختار جسدًا فانيًا يسفها العذاب فيه كل لحظة وتسام مكابدة المرض وحشرجات المنون ألوف الألوف من المرات؟ لماذا لم تخلق لها جسدًا أزليًا أبدى البقاء سرمدي الدوام والخلود؛ لتستطيع أن تتكلم دائمًا وتعلم دائمًا وتنعم بالحياة دائمًا وتستريح من الجوع والمرض والموت الذي يغافصها في كل لحظة؟ لماذا، لماذا؟ لأن الإله الذي تؤمن به البهائية إله عاجز مكبوت مقهور لا يريد شيئًا ولا يختار ولا يخلق. وإنما هو مجبور جبرًا -يقمع فيه كل إرادة- على أن يحل في مثل هذه الأجساد البالية!!

يا له من إله عاجز مسكين!! يزعمون أنه مالك السموات والأرض ثم هو لا يملك أن يغالب في نفسه الجوع والظمأ والشهوات أو يغلب قدم الفَدْم الذي كان يركه!!

---

(١) ص٢٠٩ بهاء الله.

(٢) ص١٠٩ مجموعة الرسائل.

إن حقد البهاء على كل عظيم وحسده لكل جليل جعلا منه إنسانًا يحقد على الله ويفتك به حسده لجلال الله فمضى تنفيسًا عن غليل حقده وأوار حسده يصف الله بأرذل صفات العبيد ويصف نفسه بأجل صفات الله!!

ماذا صنعت البهائية للبشرية؟ لا شيء سوى أنها ضمت بأوهامها إلى جنس البشر إلهاً تعول إرادته من القمع والقهر ويستجدي ظالميه العطف والرحمة لم تصنع سوى أنها ضمت إلى الممكنات مسخًا لا يدري هو نفسه؛ أكان «واجبًا» قهر على أن يكون «ممكنًا» أم كان «ممكنًا» خاب في أن يصير «واجبًا»؟!

لم تصنع سوى أنها ضمت إلى قافلة العبيد الأذلاء عبدًا قزمًا يتراءى بأنه رب وعملاق كلما أراد سادته أن يتخذوا منه سخرة وملهاة!!

التنـــزية والتشبيه: يقول الإمام ابن تيمية -وهو يقرر عقيدة سلفنا الصالح في صفات الله: «ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته».

هذا وقد جاء القرآن في الصفات الإلهية بنفي مجمل وإثبات مفصل ومثال الأول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]. أما الإثبات فآياته كثيرات في القرآن وقد وصف فيها بأنه سميع بصير قادر عليم وبأنه استوى على عرشه. وقد آمن الرسول ﷺ وصحبه بكل ذلك إيمان لا يحاول الشك أن يدنو من قدسه، آمنوا به كما ورد؛ لأنهم ليسوا بأعلم من الله بما يجب له فما نفوا عنه صفة أثبتها ولا أثبتوا صفة نفاها ولا سموه بغير ما سمى به نفسه. وبهدي الرسول الكريم اهتدى المتقون.

أما دين البهائية فلا صلة له بدين ولا بعقل؛ فإنه يصف الله بأخس صفات البشر ويصف بعض أرذل البشر بأجل وأخص صفات الله ثم يأتي عبد البهاء فيقول: إنه سبحانه منزه عن التشبيه والتنزيه!! وفي مناجاة لربه يذكر علة هذا

بقوله: «لأن التنزيه شأن من شئون عبادك والتقديس سمة من خصائص أرقائك والتشبيه حقيقة منبعثة من أفكار خلقك فالعزة والكمال والعظمة والجلال من خصائص أصفيائك».

وهذا القول يطابق دينه في تجرد الحقيقة الإلهية فما ثم لها -وهي غيب مجرد- صفات حتى تنزه أو تشبه ويطابق دينه في أن الصفات التي وردت في القرآن لا تطلق على الله وإنما تطلق على مظاهره: أي الأجساد البشرية التي تجسد فيها.

غير أننا نرى عبد البهاء يقول في نفس الموضع: «ونثني عليك بالتسبيح والتقديس يا من تنزه عن التشبيه والتنزيه؛ فكل تسبيح وتقديس وتنزيه وتمثيل وتشبيه ذكر من حيز العجز والنسيان وإنك متعال عن ذلك»[1] يثني على الله بالتسبيح وهو تنزيه ثم يقول: إنه سبحانه منزه عن التنزيه!!

تناقض يعمد إليه عبد البهاء ويصطنعه تخايلاً منه بعمق الفكرة! وليبطش بسطوة مثل هذا الأسلوب بالأغرار من أتباعه؛ فيحملهم على الظن بأنه محيط من المعرفة الربانية!! وقد مارسنا مثل هذا عند شياطينه من الصوفية كابن عربي وغيره.

إنه ينفي عن معبوده التسبيح والتقديس وهو مجرد صرف؛ فماله في مرتبة التجريد اسم ولا صفة ثم يثني على ربه بالتسبيح والتقديس وهو متجسد في هيكل بشري فبه ظهرت أسماؤه وصفاته. وهو ينزه ربه عن التشبيه؛ لأنه هو عين الوجود وما ثم من وجود آخر حتى يشبه به. وينزه ربه عن التنزيه لأن التنزيه تحديد والتحديد يقتضي الوصف ووجود غير ما ومقابل له وما ثم لله في دين عبد البهاء صفة وما ثم موجود غيره؛ لأنه عين الوجود!! ثم يقول عن الحقيقة الإلهية: «لا اتصال ولا انفصال ولا الوجدان ولا الفقدان» أنه ينفي الاتصال الوجدان ويثبتهما. وينفي الانفصال والفقدان ويثبتهما وهي زندقة صريحة ليس فيها

---

(١) انظر النصوص السابقة ص٢٢١ مكاتيب. لا يشبه المسلم ربه؛ إذ ليس كمثله شيء ولكنه ينزهه عما نزه عنه نفسه: مثل ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾.

تناقض.

فالاتصال منفي والحقيقة الإلهية غيب كلي مجرد لا توصف ولا تسمى ولا يراها أحد ولا يتصل بها شيء ولا تتصل هي بشيء! والاتصال مثبت والحقيقة الإلهية متعينة في هيكل بشري تجلت منه صفات الله وأسماؤه واتصلت به حقيقته أي روحه!! وكذلك قل عن الوجدان والفقدان!!

واقرأ لابن عربي في التشبيه والتنزيه في الفص النوحي من (فصوص الحكم) لتعلم من أين أخذ عبد البهاء!

فـــإن قلـــت بالـــتنزيه كنت مقيدًا — وإن قلـــت بالتـــشبيه كـــنت محددًا

وإن قلـــت بالأمـــرين كنت مسددًا — وكـــنت إمامـــا في المعـــارف سيدًا

فإيـــاك والتـــشبيه إن كـــنت ثانـــيا — وإيـــاك والـــتنزيه إن كـــنت مفردًا

فمـــا أنـــت هو بل أنت هو وتراه في — عـــين الأمـــور مـــسرحًا ومقـــيدًا

ويشرح القاشاني: «فإياك والتشبيه إن كنت ثانيًا» بقوله: «أي إن كنت مثنيًا للخلق مع الحق فاحذر التشبيه؛ بأن تثبت خلقًا غيره بل اجعل الخلق عينه». «وإياك والتنزيه إن كنت مفردًا» ويشرح القاشاني قول ابن عربي هذا بقوله: «أي وإن لم تثبت الخلق معه فلا تجرده عن التعدد حتى يلزم وجود متعددات غيره لغلوك في التنزيه.. بل اجعله الواحد بالحقيقة الكثير بالصفات فلا شيء بعده ولا شيء غيره واجعله عين الخلق محتجبًا بصورهم» «فما أنت هو» أي لست أنت الحقيقة الإلهية وهي وجود مطلق قبل التعين: «بل أنت هو» أي: أنت -كما يقول القاشاني- من حيث الحقيقة عين هو. وقوله: «وتراه في عين الأمور مسرحًا ومقيدًا» يشرحه القاشاني بقوله: «تراه في صور أعيان الأشياء مقيدًا بكل واحد منها. (مسرحًا) أي مطلقًا بكونها -أي الحقيقة الإلهية- في الكل؛ إذ الحقيقة في صور الكل واحدة، وكل مقيد عين المقيد الآخر وعين المسرح»[1] يعني أنك لست وحدك الحقيقة الإلهية عند ابن عربي متصلة منفصلة موجودة مفقودة!!

---

(١) ص٧٧ شرح فصوص الحكم للقاشاني.

وعنه أخذ عبد البهاء بيد أن هذا لم يحسن التعبير عن كفره!!

المعبود: للحقيقة الإلهية عند البهائية حالان: حال التجرد الصرف وحال التعين. وتعينها الأعظم إنما يكون في هيكل بشري وقد حكمت البهائية بأنه لا تجوز عبادة الحقيقة الإلهية إلا وهي متعينة في جسم بشري وإلا توجهنا بعبادتنا إلى وهم أو تصور ذهني!! يقول البهاء: «ليس لنا إلا الوجه في جميع الشئون إلى ذلك المركز المعهود والمظهر الموعود والمطلع المشهود وألا نعبد حقيقة موهومة مقصورة في الأذهان»[1] لقد زعمت البهائية أن عبادة الحقيقة الإلهية في مرتبة التجريد عبادة لموهوم أو معدوم وقد هلك البهاء من زمن بعيد. فعادت الحقيقة الإلهية التي كانت متعينة فيه إلى حال تجردها!! فكيف ظلت البهائية حتى الآن على عبادة البهاء؟! أتعبده باعتباره روحًا مجردًا؟ إن كان كذلك فهي إذن تعبد -كما قالت- وهما وعدما!! أم تعبده باعتباره جثة عفنة؟ إن كان كذلك فقد عبدت جيفة فأي الأمرين تختار؟

مشارق الحقيقة الإلهية ومغاربها: تقرر البهائية أن فيض الرحمانية لا ينقطع وتقرر في عدة أماكن أن شمس الحقيقة لها طلوع وأفول وظهور وبطون وأنه «تأتي أيام تغرب شمس الأحدية .. وتنقطع مائدة العرفان من سماء الإيقان» كما يقول البهاء.

وهذا يستلزم الحكم على الفيض بالانقطاع بل هو تصريح به!! وقد شعر عبد البهاء بهذا التناقض فكد في سبيل رفع هذا التناقض فزعم أن هوية الألوهية ليس لها في الحقيقة أفول فهي مستقرة أبدًا سرمدًا في نقطة الاحتراق وطلوعها وغروبها بالنسبة لدوران الإمكان والأكوان[2]. فحينما يموت مظهر من مظاهرها يقال عنها: إنها غربت. وحينما تظهر في مظهر جديد يقال عنها: إنها شرقت

(١) ص١٨٩ ١٨٩ مكاتيب. والدرزية في كتابهم المقدس حديث طويل عن الأدوار التي أقر فيها المعبود ناسوته؛ ليعبد؛ لأنه إن لم يظهر ناسوته من حين إلى آخر لكان الناس يعبدون عدما، ص١٠٦ طائفة الدروز.

(٢) ص٧٩، ١٤٦، ١٤٧ مكاتيب.

وهكذا!! ولا ندري -ولا أحد يدري- كيف يعيش العالم حين يهلك مظهر الحقيقة الإلهية وينقطع الفيض وتتعطل الروح الإلهية عن العمل بعد أن صارت إله قلق مضطرب مقهور مستعبد يموت ويحيا ويأفل ويغيب. ذلكم هو إله البهائية؟! فقل ما قال خليل الله إبراهيم: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٦].

كيفية الخلق: البهائية مضطربة متناقضة تجمع بين فنون شتى من المتناقضات ولكني جشمت نفسي الصبر على قراءة كتبهم رغم ما فيها من كلام يثير غثيان النفس ويعدو باغيًا على الحق. ولقد رأيت هنا -لتناقضهم الحاد- بسط النصوص قبل الحكم؛ لتكون بين يدي القارئ الكريم فيحكم هو بنفسه حكمًا لا أرتاب في أنه سيكون حقًا وصدقًا وعدلاً. يقول داعيتهم الأكبر أبو الرذائل: «خلق الله لظهور الذات المقدسة والحقيقة المجردة نفسًا كريمة من النفوس البشرية وخصص لبروز أنوارها وآثارها جواهر نفيسة من الجواهر المقدسة الإنسانية؛ لتكون عرشًا لسلطان ذاته وأفقًا لإشراق أنوار تجلياته ومظهرًا المكنون حقيقته ومظهرًا الغيب هويته ومنزعًا لأسمائه وصفاته»[1].

ويقول عبد البهاء: «إن الأسماء الإلهية في مقام الأحدية ليس لها ظهور ولا تعين ولا سمة ولا إشارة ولا دلالة بل هو شئون للذات بنحو البساطة والوحدة الأصلية. أما في مقام الواحدية فلها ظهور وتعين وتحقق وثبوت ووجود فائض منبعث من الحقيقة الرحمانية على الحقائق الروحانية والكينونات الملكية في حضرة الأعيان الثابتة»[2] ويتحدث عن الرحمة الإلهية فيقول: إنها تنقسم قسمين: بالرحمة الذاتية الإلهية وهو عبارة عن إفاضة الوجود بالفيض الأقدس الأعلى في جميع المراتب والمقامات التي لا نهاية لها للحقائق والأعيان الثابتة في حضرة العلم الذاتي الأعلى: وبالرحمة الصفاتية الفائضة من الحضرة الرحمانية بالفيض المقدس الأول[3] بحسب الاستعداد والقابليات المستفيضة من التجليات الظاهرة الباهرة في أعيان

---

(١) ص٢٤ حجج.

(٢) ص٤٩ مكاتيب.

(٣) سيأتي الحديث عن الفيض الأقدس والفيض المقدس في: باب الروح.

الموجودات ويقول: «المحبة هي سبب ظهور الحق في العالم الإمكاني» ثم يحمد ربه على «إنشاء حقيقة نورانية وكينونة رحمانية وهوية ربانية ونقطة كلية تجلى عليها بجماله وجلاله وكماله وجلاله وأسمائه وصفاته وشئونه وأفعاله فتفصلت وتشعبت وتفرقت وتكثرت وأحاطت بشئونها وظهورها وشهودها ووجودها ومثلها وآثارها وأطوارها حقائق الممكنات وهوايات الموجودات» ويقول: «اعلم أن الحقائق الممكنة المستنأة المستفيضة من فيض القدم المستشرقة من أنوار الاسم الأعظم حكمها حكم الأرض الطيبة الطاهرة والبقعة المباركة فإذا فاض عليها سحائب الجود ونزل ماء الوجود من غمام فياض الغيب والشهود عند ذلك تراها اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج» ويقول البهاء: «لما أراد الخلق البديع فصل النقطة الطاهرة المشرقة من أفق الإرادة. وإنها دارت في كل بيت على كل هيئة إلى أن بلغت منتهى المقام أمرًا من لدى الله مولى الأنام وأنها مركزة دائرة الأسماء ومختتم ظهورات الحروف في ملكوت الإنشاء».

ويقول أبو الرذائل: «وهي -أي الحقيقة الإلهية- المتصرفة في الأشياء والقاهرة على ما في الأرض والسماء وتصرفها في الأشياء هو المعبر عنه: بالخلق والجعل والإنشاء» ويقول: «الفرد الذي تتجلى فيه تلك الحقيقة متحقق قبل التجلي، ومستحضر موجود»[١] وهذه النصوص من أهم كتبهم المقدسة. يدين البهائيون بأن كل حقائق الممكنات أو الموجودات لم تكن قبل ظهورها عدما صرفا وإنما كانت ثابتة متحققة قبل أن يفاض عليها الوجود وتبرز من عالم الغيب إلى عالم الشهود. كما يدينون بأن الحقيقة الإلهية كانت عماء أو غيبًا مكنونًا ثم أحبت هذه الحقيقة أن تعرف وأن تظهر وأن تتعين لتسمى وتوصف وليكون لأسمائها وصفاتها معان ودلالات وآثار وإشارات فتعينت في «النقطة الأولى أو الحقيقة المحمدية» وبهذا انتقلت الحقيقة من مرتبة التجرد إلى مقام التعين ثم قامت هذه النقطة بإفاضة الوجود على الحقائق المسماة: بالأعيان الثابتة كل منها بحسب استعداده وقابليته فبرزت هذه الحقائق -أو الأعيان الثابتة المتحققة من

---

(١) اقرأ النصوص السابقة في مكاتيب عبد البهاء ص٦٠، ١٠٦، ١٥٩، ١٥١، ١٣٤ وفي الإشراقات ص٢ وفي مجموعة الرسائل ص٧٥، ١١٤ .

قبل- من عالم الغيب إلى عالم الشهود فتجلت الكثرة بعد الوحدة غير أنها كثرة وهمية فما ثم شيء من هذه الموجودات إلا وهو النقطة الأولى أو الحقيقة الإلهية وما ثم إلا اختلاف يسير بين بعض هذه الموجودات وبعض؛ فبعضها تتعين فيها الحقيقة الإلهية بكل مالها من أسماء وصفات وهي الحقائق الإنسانية النورانية أو الرسل والأولياء؛ فكل رسول أو ولي هو الله ذاتًا وصفات وأسماء وبعضها الآخر تتجلى فيه الحقيقة الإلهية ببعض ما لها من صفات وأسماء فلا تكون حاكية عن كل كمالات الذات الإلهية وإنما عن بعض الأسماء والصفات كالحقائق الحيوانية والنباتية والجمادية. وهكذا يصير كل موجود مجلى أو مظهرًا للذات الإلهية وهكذا أيضًا نرى الواحد كثيرًا غير أن هذه الكثرة ليست سوى وهم يوقعنا فيه خداع النظر؛ لأن حقائق الممكنات التي تفصلت وتشعبت وتكثرت تحيط إحاطة تامة بشئون النقطة الأولى أو الحقيقة الإلهية بل إنها -أي الممكنات- هي عين الحقيقة. وهذا هو المراد من قول البهاء عن النقطة: «إنها دارت في كل بيت» أي ظهرت في كل حقيقة من حقائق الممكنات. أما قوله «على كل هيئة» فمعناه: أنها تتلبس بالصورة الجسمية التي تلائم كل حقيقة.

والخلاصة: أن البهائية تكفر بأن الله خالق ولا يغرنك التعبير عنه في كتبهم بأنه خالق؛ فمفهوم «الخلق» عندهم هو التصرف في الأشياء فحسب أو «الفيض» فإذا قرأت في كتاب بهائي كلمة «خالق» فليس معناه أن الله أنشأ الموجودات بعد أن لم تكن أو أنه أوجدها بعد عدم. وإنما معناه «المتصرف» أو «المفيض» لأن كل حقيقة مجهولة من الأزل ثابتة متحققة في غيب القدم ولا يد لله في خلقها أو منحها فطرها. كذلك تدين البهائية بأن العالم لا أول له وبقدم المادة. يدلك على هذا قولهم بالأعيان الثابتة وقول أبي الرذائل السابق: «إن الفرد الذي تتجلى فيه تلك الحقيقة متحقق قبل التجلي ومستحضر موجود»، «وقول عبد البهاء»: «هذا الكون اللا متناهي ليس له بداية ولا نهاية» وقوله: «لو كانت الكائنات عدمًا محضًا فلا يتحقق منه الوجود»[1] وتدين أيضًا بأن الإله لا يستطيع أن يغير شيئًا من نواميس الكون فهو قد رأى أعيانًا ثابتة أمامه لم يخلقها ولم يعط لشيء منها فطرته وقد رأي لكل منها استعدادًا خاصًا ففاض على هذه الأعيان أو

---

(١) ص٢٠١ بهاء الله.

قل: حل فيها. كذلك تدين البهائية بالجبرية المحضة التي تحكم السلوك الإنساني وبالحتمية المطلقة التي تحكم نواميس الوجود ولكن تلك الجبرية أو الحتمية لا ترجع إحداهما إلى مشيئة الله فما له يد في هذا -تعالى الله- وإنما ترجع إلى طبيعة الأشياء وطبيعة الإنسان فقد كان كل شيء متحققًا ثابتًا باستعداده وقابليته قبل إفاضة الوجود. وعلم الإله البهائي بالأشياء -ومنها الإنسان- تابع لما تعطيه أعيانها الثابتة بما هي عليه في الأزل من الاستعدادات والقابليات والخواص. وإرادته -إن كانت له إرادة- لا تتعلق حتمًا إلا بما علم وما علمه إنما هو تابع لمعلوم سابق على علمه فأفاض الوجود عليها كما هي بخصائصها التي هي لها والتي لم تخل منها أزلاً ولا تنفك عنها أبدًا مثلها في هذا مثل الشكول الهندسية فكما أنك لا تستطيع مطلقًا أن تغير من خواص المثلث أو تبدل فيها تبديلاً معقولاً أو محسوسًا كذلك الإله البهائي المسروق من عدة آلهة أمشاج فإنه لا يستطيع أن يغير أو يبدل من طبيعة الأشياء أو قابليتها واستعداداتها. وهذا يستلزم الحكم على الله سبحانه بأنه ليس له من إرادة ولا مشيئة ولا اختيار وأنه جل شأنه مجبور مغلوب على أمره وأنه يحل في الأشياء فتسيطر عليه طبائعها ولا يسيطر هو على شيء منها! كما تدين البهائية بأن علة الفيض أو الخلق هي حب الإله البهائي لعرفان نفسه أو عرفان حقائق الممكنات له لا ليعبد؛ فهذا ما لم يدر منه شيء في خلده!! أساس ما تعتقده البهائية في معبودها أنه لا يد له مطلقًا في إبداع حقائق الممكنات ولا فيما هي عليه من استعداد وقابلية. أي لا يد له في خلق المادة وتصويرها. ولا يحق للبهائية أن تصدق أن قلبًا فيه نفحة من عاطفة يحب مثل هذا الإله الذي لا يستطيع أن يفعل شيئًا أو يستجيب دعاء والذي يحيا حياة مسخرة لطبائع الأشياء.

وحدة الوجود: لمذهب: «الوحدة» صورتان:

إحداهما: تزعم أن هناك حقيقة واحدة أو موجودًا واحدًا تقوم حقيقته صفتان هما: العقل والمادة ويسمى هذا المذهب: بمذهب الوحدة الواقعي. وهو من أقدم المذاهب الفلسفية.

أما الصورة الأخرى، فتقرر أن العقل والمادة مظهران فحسب لموجود واحد متميز عنهما. ويسمى هذا: بمذهب الوحدة المعنوي.

وأخص من مذهب «الوحدة العام» مذهب «وحدة الوجود» وله صورتان أيضًا:

إحداهما: تقرر أن الله: هو الوجود الكلي المطلق وأرباب هذا المذهب لا يحددون مفهوم ذلك الوجود الكلي ولا يقيدونه بصفات.

أما الآخرون وهم أصحاب الصورة الأخرى فيحددون مفهوم ذلك الوجود الكلي ويصفونه. وفي إطار هاتين الصورتين يحدثنا تاريخ الفلسفة عن عدة مذاهب لوحدة الوجود.

منها مذهب «وحدة الوجود المادية» وبه قال الفلاسفة «الإيليون» «فإكسنوفانيس» «وبارمنيدس» يريان: أن الله هو هذا الوجود المادي بعينه.

ومنها مذهب «وحدة الوجود الروحية» وبه دان الرواقيون الذين يرون أن باطن العالم هو النفس الكلية.

ومنها مذهب «وحدة الوجود الخلقية» وبه دان الفيلسوف «فخته» ويرى هذا الفيلسوف أن هناك قانونًا أو نظامًا خلقيًا واحدًا يشمل الوجود بأسره وليس هذا النظام سوى رمز الألوهية ومظهرها.

ومنها «مذهب وحدة الوجود المنطقية» وبه دان الفيلسوف «هيجل»[1]، وقد قرر هذا الفيلسوف أن «الوجود المطلق» يؤخذ في تعريف كل نوع من أنواع الوجود وأن هذه الفكرة المطلقة تعكس في نفسها الوجود الإلهي؟ هذه هي أشهر مذاهب وحدة الوجود عند الفلاسفة.

وقد دان «بوحدة الوجود الصوفية» الإشراقيون كابن عربي وغيره وقد

---

(١) "الإيليون" نسبة إلى إيليا وهي مدينة بناها الأيونيون الهاربون من وجه الفرس على الشاطئ الغربي في إيطاليا سنة ٥٤٠ قبل الميلاد. وبرمنيدس يعتبر المؤسس الحقيقي للمدرسة الإيلية. أما إكسنوفاينس. فأعلن أصل المذهب ثم وضعه في صورته الكاملة وفلاسفة هذه المدرسة ينكرون الكثرة والحركة والرواقيون نسبة إلى رواق أنشأ فيه الفيلسوف الرواقي "زينون" مدرسة يعلم فيها فلسفته. وزينون هو واضع أصول الرواقية وقد ولد في أكتيوم من أعمال قبرص سنة ٣٣٦ قبل الميلاد. وفخته فيلسوف ألماني شهير وقد توفي سنة ١٨١٤ وهيجل من أشهر فلاسفة ألمانيا وقد توفي سنة ١٨٣١م.

لفقوا دينهم في الوحدة من مذاهب شتى[١]. وفي كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي التفصيل التام لمذهبه في وحدة الوجود. ودينه في الوحدة يقوم على أصلين:

أحدهما: القول بالأعيان الثابتة فما ثم من شيء موجود إلا وكان متحققًا ثابتًا في الأزل قبل ظهوره.

أما الآخر: فالإيمان بأن وجود الله هو عين وجود تلك الأعيان الثابتة. وتراه في جل ما يكتب لا يفرق بين الظاهر والمظاهر أو بين الخالق والخلق بل يحكم على أحدهما بعين ما يحكم به على الآخر ويؤمن بالعينية التامة المطلقة بين الله والعالم فالعالم هو الله، والله هو العالم وأنصار ابن عربي يحاولون إثبات أنه يؤمن بوحدة الوجود الروحية غير أن آراءه في كتابيه «الفصوص» و«الفتوحات» وغيرهما تؤكد أنه يدين بوحدة الوجود المادية وحسبك قوله: «لا يشاهد الحق مجردًا عن المواد أبدًا» وقوله: «الإله المطلق لا يسعه شيء؛ لأنه عين الأشياء وعين نفسه»[٢].

وقوله: «إن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره؛ فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة كان شهودًا في مُنْفَعِل وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه -شاهده في فاعل.. فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل؛ لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل»[٣] فهل رأيت مادية مسرفة في الجحود كهذه المادية؟ ألا تراه يحكم على الله سبحانه بأنه في جلاله وكماله هو عين المرأة حين يقارف معها الرجل دنس الخطيئة؟!، وجاءت البهائية تخلط مجوسيتها بصوفية ابن عربي وغيره وإليك نصوصهم.

---

(١) يقول الإمام الصبار الشكور ابن تيمية عن مذاهب وحدة الوجود: "إنما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار. وإنما كان الكفر الحلول العام أو الاتحاد أو الحلول الخاص".

(٢) ص٢٣، ٢٢٦ فصوص الحكم ط الحلبي ومثله قوله في الفتوحات المكية: "تجده في صور المعادن والنبات والحيوان والأفلاك والأملاك؛ فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها" ص٦٠٤ الفصل الحادي والثلاثون جـــ٢، م٢ وكلمته هذه محور دين البهائية.

(٣) ص٢١٧ فصوص الحكم. ط الحلبي.

نصوص وحدة الوجود: يقول عبد البهاء: «إن للحقيقة الكلية والهوية اللاهوتية الظهور في جميع المراتب والمقامات والشئون لأنها واحدة المراتب ساطعة البرهان لامعة الحجة في كل كيان» ويقول البهاء: «إن كل الممكنات والمخلوقات حاكية عن ظهور العز المعنوي وبروزه» ثم يستشهد البهاء على أن الحقيقة الإلهية هي كل الحقائق الممكنات بقوله سبحانه: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴾ [النبأ:٢٩] فالحقائق الوجودية حروف وكلمات والحقيقة الإلهية هي الكتاب الحاوي لكل حرف وكلمة ويقول أبو الرذائل: «إن مظاهر أمر الله كلهم مظاهر حقيقة واحدة، وهم جميعهم في حكم إنسان متفرد ونفس مفردة. أولهم عين آخرهم وسابقهم عين لاحقهم».

ويقول عبد البهاء: «إن الباء التدويني هي الحقيقة المجملة الجامعة الشاملة للمعاني الإلهية والحقائق الربانية والدقائق الصمدانية والأسرار الكونية وهي في مبدأ البيان وجوهر التبيان عنوان الكتاب المجيد -أي الكون- وفاتحة منشور التجريد وإن الباء التكويني هي الكلمة العليا والفيض الجامع اللامع الشامل المجمل الحائز للمعاني والعوالم الإلهية والحقائق الجامعة الكونية بالوجه الأعلى؛ لأن التدوين طبق التكوين وهذا الرق المنشور -أي العالم- وحقيقة الزبور المحتوي على كلمات الوجود منظومًا ومنثورًا تلاه علينا الرب[1] الغفور تلاوة آيات الكينونية إجمالاً وتفصيلاً من حيث الإجمال من عالم الغيب إلى الشهود» هذه بعض نصوصهم المبثوثة في كتبهم المقدسة لديهم.

قالت البهائية -كما سبق بيانه- بالأعيان الثابتة وزعمت أن وجود هذه الأعيان هو عين وجود الحقيقة الإلهية؛ إذ ما ثم إلا وجود واحد لا يتكثر ولا

---

(١) الكلمة عند الصوفية يعبر بها عن كل موجود وتقال عند البهائية أحيانًا على المظهر الأتم الأكمل للذات الإلهية وهو الحقيقة النورانية انظر ص١٢٦ إيقان ٧٩ مجموعة الرسائل ولكلمة "الرب" تعريف صوفي وهو أنه "اسم للحق باعتبار نسب الذات الإلهية إلى الأعيان الثابتة من منشأ أسماء الربوبية كالرازق والخالق وكل ما ظهر في الأكوان" ١٠٢ جامع الأصول.

يتعدد بتكثر أو تعدد صوره ومظاهره. مثله في هذا مثل فكرة الوجود المطلق الواقع تحت التصور والإدراك؛ فإنه يؤخذ في تعريف كل شيء؛ ولكنه لا يتكثر بهذا؛ وإنما يظل مفهومه واحدًا مهما تكثرت الأجناس والأنواع والأفراد التي يؤخذ في تعريفها.

وقد تجلت تلك الوحدة أول ما تجلت بين الحقيقة الإلهية وهي غيب وبين نفسها وهي في تعينها الأول. يقول عبد البهاء: «النقطة هي الألف التي هي باطن الباء وعينها وغيبها وتعينها وتشخصها وتميزها في شهادتها» والألف اللينة هي الحقيقة الإلهية في مرتبة الأحدية والباء يشار بها إلى أول الموجودات الممكنة. والنقطة هي الحقيقة الإلهية في تعينها الأول. وبهذا يحكم عبد البهاء بالعينية التامة بين الوجود المجرد والوجود المعين أو بتعبير أصرح: يحكم على الخالق سبحانه بأنه: هو عين الخلق. وقد أفصح عبد البهاء عن إيمانه التام بهذه الوحدة في قوله: «الباء ألف مطلقة إلهية في غيبها وألف مبسوطة في شهادتها وغيبها فاجتمعت الشهادة والغيب والعلم والعين والباطن والظاهر والحقيقة والشئون في هذا الحرف الساطع البارع الصادع العظيم وإن سائر الحروف والكلمات[1] شئونها وأطوارها وآثارها وأسراها» وقد تشعبت الحقيقة الإلهية بعد تعينها الأول وتفصلت؛ لتمنح كل كائن هويتها وحقيقتها وهذا هو معنى قول عبد البهاء: «وإن سائر الحروف والكلمات شئونها وأطوارها» فالحروف والكلمات هي هذا العالم المشهود ويزيد عبد البهاء الأمر توكيدًا بقوله: «وهذه الكتب بأجمعها وأتمها وأكملها وجميع معانيها الإلهية المندرجة المندمجة في حقيقة كلماتها سارية جارية في هوية هذا الحرف الكريم» ويعني بالكتب كل مظاهر الوجود وأنواع الممكنات. ويعني بالحرف الكريم «الباء» فتدبر النصوص الماضية مرة أخرى؛ لترى الإيمان بوحدة الوجود واضحًا صريحًا رغم قناع الغموض الذي تقنع به. على أن عبد البهاء

---

(١) الحروف هي الحقائق البسيطة من الأعيان. أما الحروف العاليات فهي الشئون الذاتية الكامنة في غيب الغيوب كالشجرة في النواة. ويعرف الجيلي الكلمات بأنها عبارة عن حقائق المخلوقات المتعينة في عالم الشهادة.

يشير بحديثه الطويل عن معنى «الباء»[١] إلى شيء آخر. هو أن أباه: هو الله والوجود؛ لأن الباء أول حرف من حروف لقبه «بهاء». ترى أيوجد من يصدق أن ميرزا «حسين علي» الخائن الأثيم هو الله وهو الوجود؟؟ وينسى عبد البهاء - وهو يسرق- أنه ادعى النبوة فيترك دليلاً يدمغه بأنه سارق فيقول: «قال محيي الدين -يعني ابن عربي- بالباء ظهرت الوجود وبالنقطة تميز العابد من المعبود» أي صارت الحقيقة الإلهية بالباء ذات وجهين: وجه خالق أو رب وهو الباطن ووجه مخلوق أو عبد وهو الظاهر. أو يريد البهائيون نصوصًا أخرى تؤكد إيمانهم بوحدة الوجود؟ ليسمعوا ما يقول نبيهم الأكبر أو ربهم الأكبر عبد البهاء: «منها -أي من الحقيقة المحمدية أو النقطة الأولى- ظهرت الأشياء وإليها أعيدت ومنها بدئت وإليها رجعت؛ فكانت أحدية الذات وواحدية الصفات ثم تكثرت بالظهور والآثار» وقوله: «ظهرت أنوار الوحدة الأصلية في كينونات الحقائق الفرعية» وقوله: «تجلى الرحمن في سيناء الأكوان ولاح على مطالع الأنفس والآفاق فائتلفت واستأنست واقتربت واجتمعت وانجذبت القابليات والمقبولات والموجودات والماهيات ائتلافًا به ظهرت آية التوحيد وارتفعت راية التفريد وزالت الكثرات وفنت الإنيات واضمحلت الحدودات»[٢].

---

(١) يذكرنا ما قاله عبد البهاء عن الباء وتجلي الحقيقة الإلهية في هيكل بشري بتلك القصيدة الصوفية المسماة "دعاء سورة يس" وإليك بعضها:

بباء بدء ســره لامــع ... من بالسنا سمــوه ساطــع
وميــم محــو محوه هاطــع ... وقاف قهر سيفــه قاطــع
وحا لمحق الضد إذ هو بطل
بمظهر القدرة في هيكل ... به انطوى التفصيل في مجمل
ونقطة الوصلة من منزل ... والألـــــف الأول من أول
جلت عن الكيف وضرب المثل

(٢) يعني بسيناء الأكوان حقائق الكون المادي. وهناك عند الصوفية قابليتان الأولى هي أصل الأصل وهي التعين الأول والأخرى قابلية الظهور وهي المحبة الأولى المشار إليها بقوله: (أحببت أن أعرف ص١١٣ جامع الأصول وحديث "أحببت أن أعرف" موضوع مفترى والماهيات جمع ماهية وهي ما به الشيء هو هو والإنيات جميع إنية =

ولقد أسرفنا في ذكر النصوص؛ لعلمي أن البهائية أخبث الجماعات في التحرف للتفلت مما يدانون به. وما أنا بحاجة إلى شيء آخر بعد هذا للإثبات؛ فقد تجلى لنا في غير ما غموض ولا إبهام أن البهائية تدين: بأن الله هو عين الخلق. غير أنهم يخصون بكمال الوحدة وتمامها إمعة عاش حقيرًا خائنًا يطعم روث الخيانة وطفاسنها وانتهى خائنًا. ذلك هو: ميرزا «حسين علي».

الثالوث: تزعم البهائية -تزلفًا منها إلى الصليبية- أن الحقيقة الإلهية تتجلى في صورة الثالوث في كل كور ودور. ويصوره عبد البهاء بقوله: «هو الفائض والفيض والمستفيض المجلي والتجلي والمتجلى عليه المضيء والضياء المستضيئ؛ ففي الدور الموسوي: الرب وموسى والواسطة النار وفي دور المسيح: الأب والابن والواسطة روح القدس وفي الدور المحمدي: الرب والرسول والواسطة جبريل. هذا هو جوهر التوحيد وحقيقة التفريد وساذج التقديس»[1] يعني أن الله ثالث ثلاثة وربنا يقول: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

المظاهر الإلهية[2] أو الرسل

تدين البهائية بأن كل رسول هو حقيقة الله التي تتجسد عبر الأحقاب

=

وهي تحقق الوجود العيني في مرتبته الذاتية وانظر نصوص وحدة الوجود ص٣٨، ٥١، ١٠٥، ٤٠، ٤٤، ٩٦، ٢١٠) مكاتيب، و٩٥ إيقان، و٢٧، ٣٤ الحجج.

(١) ص١٣٠ مكاتيب.

(٢) تلقيب الرسل بالمظاهر الإلهية ضلالة صوفية قديمة وإليك بعضًا من رد الإمام الجليل ابن تيمية على هذه الضلالة: "إن قالوا المظاهر غير الظاهر لزم التعدد وبطلت الوحدة وإن قالوا: المظاهر هي الظاهر لم يكن قد ظهر شيء في شيء ولا تجلى شيء في شيء ولا ظهر شيء لشيء" ص٨٧ جـ١ مجموعة الرسائل والمسائل وابن تيمية يذكر في رده تعبيرات كان يعبر بها الصوفية مثل "ظهر الحق وتجلى وهذه مظاهر الحق ومجاليه وهذا مظهر إلهي ومجلى إلهي ونحو ذلك" ثم يعقب عليها بما يكشف عن خبيئتها الملحدة ونقرأ في كتب البهاء وابنه هذه المصطلحات بألفاظها ومعانيها مما يدلك على أن البهائية لم تجدد حتى في مصطلحات الكفر ومدلولاتها وإنما آمنت بالكفر كما هو بعجره وبجره.

والأزمان في صور الأنبياء والمرسلين. ويصف البهاء الرسل بهذا الاعتبار بقوله: «هم مواقع جميع الصفات الأزلية ومظاهر الأسماء الإلهية وهم المرايا التي تحكي عنه تمامًا وكل ما هو راجع إليهم في الحقيقة راجع إلى حضرة الظاهر المستور» ويقول عنهم: «ولو أن هذه الكينونات القديمة قد ظهرت من بطون الأمهات بحسب الظاهر إلا أنهم في الحقيقة نازلون من سموات الأمر وفي كل آن يمرون على ملكوت الغيب والشهادة مستقرون على عرش لا يشغله شأن عن شأن وجالسون على كرسي كل يوم هو في شأن»[1].

الرسل أعظم من المرسل:

لقد زعم البهاء أن الرسل لهم الأمر والتدبير وعلم الغيب والشهادة وغير ذلك مما هو من صفات الله غير أن هذا كله لم يره البهاء كافيًا في تمجيد الرسل فلابد -إذن- ؛ لينتهي إلى تمجيد نفسه هو من تفضيل الرسل على الله نفسه فقرر: «أن هذه الجواهر المجردة. والوجودات القدسيّة منزهة عن العوارض البشرية» فهم -إذن- أعظم من الله- جل شأنه- عند البهائية؛ لأن الله في دينهم خاضع للعوارض البشرية أما هؤلاء الرسل فليس فيهم إلا ربوبية خالصة وألوهية بحتة؛ لأنهم- كما زعموا- «مستقرون على العرش الأعظم وقائمون على كرسي السلطنة والاقتدار ولهم كل ما لله من علم وقدرة وسلطنة وعظمة ورحمة وحكمة وعزة وكرم».

حاجة الإله إلى الرسل:

تزعم البهائية أن: «من علم الرسل يظهر علم الله ومن وجههم يلوح وجه الله ومن أولية هذه الجواهر المجردة وأخريتها وظاهريتها وباطنيتها يثبت على من هو شمس الحقيقة -أي الله سبحانه- بأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن؛

---

(١) (ص٤٦، ٩٧) الإتقان واقرأ للجبلي: "إذا تجلى الحق لعبده من حيث اسمه الله فني العبد عن نفسه وكان الله عوضًا عنه له فيه فخلص هيكله من رق الحدثان وفك قيده من قيد الأكوان فهو أحدي الذات وأحدي الصفات لا يعرف الآباء والأمهات فمن ذكر الله فقد ذكره ومن نظر الله قد نظره" (ص٤٣) جـــ١ الإنسان الكامل.

ولهذا أطلقت -ولا تزال تطلق- على جواهر الوجود هؤلاء في مقام التوحيد وعلم التجريد صفات الربوبية والألوهية والأحدية الصرفة والهوية البحتة»[1]، وغلو زندقة ميرزا حسين على المدعو بالبهاء لا يقف عند حد؛ فأنت تراه هنا يقرر: أن كل رسول هو الأحدية الصرفة أي الحقيقة الإلهية في مرتبة التجريد. كل هذا؛ ليقول ذلك عن نفسه. عن مجرم تعس عاش يلعنه الحق في محرابه الطهور!!

الرسول رب وعبد:

لكل رسول عند البهائية مقامان ورتبتان: مقام التوحيد ورتبة التفريد والآخر مقام التفصيل وعالم الخلق وفي المقام الأول: تطلق عليهم صفات الربوبية والألوهية الصرفة والهوية البحتة فإذا قال أحدهم: إني أنا الله فهو حق لا ريب فيه وفي المقام الثاني تطلق عليهم صفات البشرية [2].

وعجب لا ينفد أن تتعين في الرسول الخلاقية والقاهرية ثم هو لا يستطيع أن يخلق ذبابًا ولا أن يقهر في نفسه نوازع البشرية وعوارضها من اشتهاء وندم وسقم؟! وأي إله هذا الذي يقهره خلقه وتستعبده رغباته!!

قيومية الرسل:

يقول البهاء عن الرسل: «إن ما سواهم موجود بإرادتهم ومتحركون بإفاضتهم بل الكل في ساحة قدسهم عدم صرف وفناء. بهم ظهرت الأشياء وإلى خزائن أمرهم رجعت ومنهم بدئت الممكنات وإلى كنائز حكمهم عادت» كما تزعم أن الرسول يحيط إحاطة تامة روحية باطنية بملكوت السموات والأرض[3]. ولا يمكن أن يتصور العقل في حق الرسل نوعًا من العجز الذي يتصور في حق

---

(١) انظر النصوص السابقة في الإيقان ص٥٠، ٥٥، ٦٩، ٨٩، ١٩٧ .

(٢) ص١٢١ إيقان، واقرأ لابن عربي في فصوص الحكم:

وأنت عبد وأنت رب لمن له فيـــه أنت عبـــد
وأنت رب وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد

واقرأ للجيلي: "إن العبد إذا ترقى من المرتبة الكونية إلى المرتبة القدسية وكشف له عنه علم أن ذات الله هي عين ذاته فقد أدرك الذات وعلمها" ص٤٤ جـــ١ الإنسان الكامل.

(٣) ص٢٤، ٦٩، ٧٢ إيقان.

البشر أو أن يظن أنه يمتنع عليهم أمر يمتنع على البشر [(١)]!!

هذا الإسراف الملعون في الكفر تقترفه البهائية من أجل عتلها الحقود ميرزا «حسين علي»؛ لتثبت له كل هذه القوى والقدر؛ فالأمر ليس أمر حب مجنون للرسل كلا؛ بل الأمر أمر تأليه عجل خسيس لم يستطع أن يجعل من نفسه إنسانًا له كرامة!!

عبادة الرسل:

يقول ربنا سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل:٣٦] ويقول جل شأنه: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ۝ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ [النحل: ٥١،٥٢] هذا قول الله سبحانه.

أما البهائية فتزعم أن الله سبحانه وهم وصورة افترتها التخيلات[(٢)] فلا يجوز أن يعبد. أما الذي يجب أن توجه إليه كل عبادة فهو الرسول؛ لأنه الجسد الذي تعينت فيه الحقيقة الإلهية وهكذا تؤكد البهائية، إيمانها بربوبية الجسد البشري فبه استطاعت الحقيقة الإلهية أن تكون وأن توجد وبه استحقت أن تعبد!! يا عبيد الشهوات، ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩].

وحدة الرسل:

يقول البهاء: «إنك لو نزهت النظر لرأيت الجميع باسم واحد ورسم واحد

---

(١) ص١٨٩ مكاتيب، ٥٦ الحجج.

(٢) البهائية. والجيلي يتحدث عمن تجلى الله عليه بالصفة العلمية فيقول: "علم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد وعلم كل شيء كيف كان وكيف يكون وعلم ما لم يكن" ويقول في مكان آخر: "تظهر آثار الربوبية في جسده فيكون يده لها القدرة ولسانه له التكوين وعينه لا يحجب عنها شيء" ص٤٥، ١٨٨ الإنسان الكامل جـــ١.

وذات واحدة وحقيقة واحدة»[1] فآدم هو نوح ونوح هو عين محمد. والبهائية في هذا تقلد زندقة شياطينها من أدعياء الألوهية. يقول جولدزيهر: «وجد الاعتقاد بوجود محمد وجودًا سابقًا أعظم صورة وصل إليها في النظرية القائلة: بأنه هو كل التجليات التي تجلت فيها الروح القدسية فإنه رسول واحد بعث إلى العالمين وما آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بمختلف الواحد منهم عن الآخر ولكنهم جميعًا روح قدسية واحدة متجلية في صور ومظاهر جسمانية مختلفة. وهذه النظرية ترجع إلى الغنوصية المسيحية. ولعل المقنع الدجال أن يكون من أول القائلين بهذه النظرية وهي ادعاؤه: أنه أحد التجسدات التي تتجسدها الروح القدس على أدوار متكررة وأنه أحد الصور التي تجلت فيها الروح القدس في آدم وجميع الأنبياء بل هو قد فاق الصور السابقة عليه بأن الطبيعة الإلهية لم تتجل فيهم كاملة كما تجلت في آخر تجلياتها في صورة المقنع»[2] عين إفك البهاء نفسه. فهل عرف البهائيون المثل الأعلى لمعبودهم؟ ويقول الجيلي عن الإنسان الكامل: «هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس!! واسمه الأصلي محمد، وله في كل زمان اسم يليق بلباسه»[3] فكيف تصدق البهائية الميرزا في زعمه أنه يوحى إليه؟

الصهيونية عبر التاريخ[4]

نمهد بكلمة موجزة عن الصهيونية تعين على فهم ما تبيته البهائية للعروبة وللإسلام فالبهائية قذارة صهيونية!!

---

(١) انظر نصوص وحدة الرسل: ص١٥، ١١٠ إيقان، ٩٩ خطابات ص١٢٩، مكاتيب، ص٢٩ الحجج.

(٢) ص٢٣٦ التراث اليوناني ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي.

(٣) ص٥٠ جـــ٢ الإنسان الكامل.

(٤) نسبه إلى صهيون وهو كما يقول ياقوت في معجمه: "موضع معروف ببيت المقدس ومحلة فيها كنيسة صهيون أو حصن حصين من أعمال سواحل الشام" ثم صارت هذه الكلمة علمًا على حركة سياسية خاصة تستهدف إرجاع ملك سليمان إلى اليهود.

عاث اليهود في الأرض فسادًا فوجه الرومان إليهم في عهد الإمبراطور «فسبازيان» حملة لتأديبهم فتم القضاء على مملكة يهوذا سنة ٧٠م في عهد «طيطس» الروماني وكان الذين قتلوا بأيدي اليهود أنفسهم أكثر ممن قتلوا بأيدي الرومان وتهامس اليهود بحلم عودة ملك يهوذا إليهم في فلسطين الأرض الطهور التي دنسوها في حقبة من الحقب وصورت شهوات الأحبار هذا الحلم في صورة عقيدة دينية زيفت لها دلائل وبشائر معزوة إلى الله زورًا وبهتانًا.

منها أن الله سبحانه قد وعد ذرية إسحاق بن إبراهيم[1]: بأن فلسطين ستبقى أبدًا في أيديهم وأن «المسيح» أو رب الجنود الذي سيأتي لنشر السلام سيعيد اليهود بعد التشريد إلى أرض الميعاد.

---

(١) الفقرة التي وردت في العهد القديم لا تنص على إسحاق وإنما تذكر وعد الله لذرية إبراهيم وأكبر أولاد إبراهيم هو أبو العرب إسماعيل فلم لا يكون هو المقصود؟ وإليك ما جاء في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين: "واجتاز إبرام "إبراهيم" إلى مكان شكيم بلوطة موزة وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض وظهر الرب لإبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض" وشكيم هي نابلس. أما بلوطة موزة فموضع قرب شكيم وبهذا يكون الوعد متعلقًا بغرب الأردن. وجاء في سفر يوشع أن الله كلمه بقوله: "كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته. ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات. جميع أرض الحيثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس" والبحر الكبير هو البحر الأبيض. كل هذه الأرض تسعى إسرائيل اليوم للسيطرة عليها فهل يتدبر العرب والمسلمون؟!! وأقول: إن الله لم يعد إبراهيم بصفته يهوديًا بل لأنه مسلم فالله يقول: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . وقد قال الله لإبراهيم: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ فقال إبراهيم: ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ فقال الله: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ وهل ظلم الحق والشرف والخير قوم كاليهود؟ وهل وجدت فئة تحترف فجور البغي كاليهود؟

أما عن عودة المسيح فيقول "ول ديورانت" في كتابه الكبير قصة الحضارة عن أسفار أشعياء وعاموس: "وهذه الأسفار هي منشأ العقيدة اليهودية الأولى التي تقول بمجيء مسيح يقبض على زمام الحكم ويعيد إلى اليهود سلطانهم الدنيوي، ويجعل الصعاليك المملقين الحاكمين بأمرهم في العالم كله" ٣٥٤، جـ٢ الشرق الأدنى.

وهم استحوذ على مشاعر اليهود وصيرته شهوات أحبارهم عقيدة دينية نجد لها في أسفارهم -ولا سيما التلمود- كلامًا ينسب بعضه إلى الله سبحانه تارة وبعضه الآخر إلى موسى؛ ففي التلمود مثلاً: «ثواب العيش في أرض الميعاد يعادل ثواب طاعة الله في كل ما أوصى به موسى» وقد ظل اليهود يبتهلون ابتهال اللص أن يمن الله عليه بجريمة؛ ليعود ملكهم الذي كان لهم في أرض الميعاد!! وفي خلال القرن السادس عشر اختلط العنصر الديني بالعنصر السياسي؛ إذ قام أحد اليهود داعيًا إلى امتشاق الحسام لغزو فلسطين والاستيلاء على أرضها وإقامة دولة لليهود فيها. وفي مستهل القرن التاسع عشر نهض بعض كبار المسيحيين من ساسة إنجلترا وأدبائها يدعون إلى العمل في سبيل إعادة اليهود إلى فلسطين متأثرين في دعوتهم بنزعة دينية؛ إذ كانوا يعتقدون -كما جاء في بعض بشارات الأناجيل- أن اليهود سيكرزون بالإنجيل حين يعودون إلى أرض الميعاد وسيصيرون من خلص المسيحيين؛ واستجابت إنجلترا وراحت تبذل مساعيها لدى السلطان عبد الحميد. ثم قامت جماعة عشاق صهيون داعية إلى الهجرة إلى فلسطين والاستيلاء على أرضها وقد أمدهم البارون «أدموند روتشليد» وغيره بهبات مالية ضخمة أعانت على إنشاء مستعمرات لليهود في أرض فلسطين.

هرزل[1]: على أن الصهيونية لم يعل نباحها إلا بعد أن تزعمها المدعو «تيودور هرزل».

وقد كتب هذا الداهية يقول: «إن المشكلة اليهودية ليست بدينية ولا اجتماعية وإنما هي مشكلة قومية لا يمكن حلها إلا إذا اعتبرت مسألة سياسية عالمية» ورأى أنه لابد من منح اليهود السيادة على رقعة متسعة من الأرض تقوم بمطالب أمة محترمة كما دعا إلى تأسيس وكالة يهودية تشرف على الناحية السياسية وشركة يهودية تشرف على الناحية الاقتصادية ولم يحدد هرزل «فلسطين» وإنما ترك لليهود الخيار بين فلسطين وبين الأرجنتين فهب كثير من

---

(١) صحفي دعا أول ما دعا إلى أن يعتنق اليهود المسيحية؛ ليعينهم هذا على سرعة خلاصهم.

اليهود في وجهه متهمين إياه بالمروق عن الدين؛ لأنه جرد أمنية اليهود من صبغتها الدينية غير أنهم ما لبثوا أن صاروا صدى له! وأقر المؤتمر الصهيوني الكبير الذي عقد سنة ١٨٩٧ بمدينة بال بسويسرا مبادئ هرزل الذي صرح بعده بقوله: «إنني أسست الدولة اليهودية وقد يثير هذا القول عاصفة من الضحك ولكن العالم قد يشهد بعد خمسة أعوام أو خمسين عامًا قيام الدولة اليهودية».

وسعى الداهية عند السلطان عبد الحميد فطلب هذا «مليونا ونصفًا» من الجنيهات مقابل منح اليهود حرية الإقامة وحق شراء الأرض في الأناضول والعراق وسورية وفلسطين ورفض «هرزل» دفع الثمن وسعى عند تشمبرلين فاقترح هذا منح اليهود أرضًا في شرق إفريقية فرفض هرزل؛ إذ كان أحلامه تصبوا إلى وادي العريش لقربه من فلسطين ثم عاد فقبل أن يمكن اليهود من أرض قريبة من «نيروبي» عاصمة «كينيا» وأن يكون لهم ثمت استقلال ذاتي ثم هلك «هرزل» سنة ١٩٠٤ فذرفت عليه الصهيونية أكثر ما كانت تدخره من دموع وتلقف الحركة من بعده كثيرون. منهم: «حاييم وايزمان» وجد الاستعمار في مساند الصهيونية وراح يرسل بالمهاجرين من اليهود -بكثرة- إلى فلسطين ويعينهم على شراء الأرض هناك واستثمارها إلى أن اندلعت الحرب العالمية الأولى فخب فيها اليهود ووضعوا مع المعسكرين مما جعل الصليبية -غالبة ومغلوبة- تعمل في سبيل تمكين الصهيونية من فلسطين!!

وقد حدث أن عانت إنجلترا نقصًا خطيرًا في مادة تستخدم في صناعة المتفجرات فقام الصهيوني الداهية «حاييم وايزمان» ببحوث أدت إلى إنتاج هذه المادة بوفرة وكان يتولى منصب «أستاذ الكيميا» بجامعة «مانشستر» بإنجلترا.

وعد بلفور: وصممت إنجلترا على مكافأة الرجل الذي أعانها على الإسراف في التدمير وسفك الدماء فاقترح «وايزمان» أن تكون مكافأته هي العون الفعال تبذله إنجلترا في سبيل إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ولقي المقترح هوى شاغفًا في نفوس الغاصبين وصدر وعد بلفور المشئوم في ٢ من نوفمبر سنة ١٩١٧ بأن إنجلترا ستبذل كل جهدها في سبيل إقامة وطن قومي

لليهود في فلسطين وبهذا الوعد أكدت إنجلترا أن الحقد الصليبي على الإسلام لا تسكن له ثائرة[1].

ويقول الأستاذ العقاد في كتابه الصهيونية العالمية: «يخيل إلى بعضهم من اليهود ومن العرب أن هذا الوعد منتزع أو مغصوب بحكم الضرورات الحربية ولكنه في الواقع جزء من سياسة عامة تتناول الشرق الأدنى برمته ومنه فلسطين وسائر البلاد العربية».

ووضعت الحرب أوزارها وكفرت إنجلترا بكل ما وعدت به العرب وقرر مؤتمر الصلح الذي انعقد في سنة ١٩٢٠ إدماج تصريح بلفور في معاهدة الصلح مع تركيا ووضع فلسطين تحت الانتداب الإنجليزي وعين الصهيوني الإنجليزي «هربرت صامويل» مندوبًا ساميًا في فلسطين وهفا الصهيوني إلى المعبد وراح ثمت يترنم بأغنية دينية تقول: «عز نفسك.. عز نفسك اليوم يا شعبي» ومضى الملعون يشد من أزر قومه هناك بكل كيد وعون والصليبية تؤيده وتؤازره وراع الصليبية أن تجد اليهود يفرون من فلسطين رغم ما تبذل من عون كبير وأقلق الصهيونية تلك المقاومة الباسلة العظيمة التي يقاوم بها عرب فلسطين مكائد الصليبية والصهيونية ومؤامرتهم؛ ولكن بدد قلقها ما صرحت به الحكومة البريطانية في سنة ١٩٣٠م من أنها مصممة على الوفاء بما وعد به وزير خارجيتها «بلفور» فهب العرب يدقون رأس الأفعى إنجلترا فنشبت بينهم وبين جنودها في فلسطين معارك شديدة وطالب عرب فلسطين بوقف هجرة اليهود وتحريم بيع الأرض وتأليف حكومة وطنية تمثل عناصر الشعب فرفضت إنجلترا فتلقى العرب رفضها بثورة عارمة أقضت مضاجع الإنجليز وأرعدت فرائصهم فاقترحت إنجلترا تقسيم فلسطين بين العرب وبين اليهود على أن يختص كل منهما بشئونه

---

(١) وقف "غلادستون" أحد رؤساء الوزارات الإنجليزية يخطب في بعض الجمعيات الماسونية فأخرج القرآن من تحت إبطه وقال مشيرًا إليه: "ما دام هذا الكتاب بين المسلمين فلا يمكن استئصالهم بوجه من الوجوه فعلينا أن نعمل لإفساد ما في هذا الكتاب؛ لنفسد العالم الإسلامي بأجمعه" ص٢٤٤ من كتاب ألف حديث وحديث لعارف المارديني.

الداخلية أما الشئون الخارجية والاقتصادية والمواصلات ورعاية الأماكن المقدسة فتظل تحت سيطرة الإنجليز.

واندلعت نيران الحرب العالمية الثانية فسكنت ثورة العرب في فلسطين لأسباب شتى وانتهت الحرب بانتصار الحلفاء على ألمانية النازية وحلفائها وكفرت إنجلترا -كدأبها- بكل ما منت به العرب من وعود خُلَّب وأعانت الصهيونية بما جعلها تعدو عدوانًا باغيًا على عرب فلسطين في خسة وغدر. ثم عرضت إنجلترا شأن فلسطين على هيئة الأمم فاقترحت إحدى لجانها في ٢٩ من نوفمبر سنة ١٩٤٧ تقسيم فلسطين إلى حكومتين مستقلتين إلا في الشئون الاقتصادية على أن يكون بيت المقدس تحت الوصاية الدولية وعارضت الحكومات العربية قرار التقسيم وقرر مجلس الأمن في أبريل سنة ١٩٤٨ إعادة قرار التقسيم إلى هيئة الأمم؛ لتنظره من جديد وأرادت إنجلترا أن تعجل بالنصر للصهيونية فجلت عن فلسطين في ١٥ من مايو ١٩٤٨ فأعلنت العصابات الصهيونية قيام إسرائيل وأسرعت أمريكا ملهوفة إلى الاعتراف بإسرائيل ولما تمض ساعة واحدة على إعلان ميلاد لخاطئة الخثون!!

واجتاحت الجيوش العربية عصابات الصهيونية فأسرعت الصليبية تطلب من مجلس الأمن الأمر بوقف القتال ورضخت الحكومات العربية لما فرضه مجلس الأمن من هدنة وجدت الصليبية الاستعمارية في إمداد العصابة الصهيونية بكل عون وراحت تنذر الحكومات العربية وتتوعدها؛ لتخنس عن تأديب العصابة الباغية، ثم دفع الاستعمار بالعصابة إلى نقض الهدنة وكانت مقاليد أكثر الجيوش العربية بيد حكام خونة وقادة مرتشين يعملون للهزيمة لا للنصر فكانت الكارثة وكان الأمر بفرض الهدنة الدائمة ومضت الصهيونية تزهو بوشي أحلامها وتسترق النظر إلى النيل والفرات ومشارف البحر الأبيض والمدينة المنورة بضراوة الذئب الغدور!!

تلك سطور من قصة الخيانة والغدر قصة الحقد الصليبي الذي أعان الصهيونية في عدوانها الباغي؛ للقضاء على الإسلام وأمته. إن تاريخ القرون التي حم فيها النضال بيننا وبين الغرب يؤكد أن الحقد حقد صليبي وأن الحرب

حرب صليبية ولولا الصليبية بحقدها وضغنها وسلاحها ما ظفرت الصهيونية بشبر واحد من فلسطين ولقد غلب هذا الحقد الصليبي «الماريشال اللنبي» على أمره فأرغمه على أن يعبر عنه يوم أن استولى على فلسطين في الحرب العالمية الأولى: «الآن وضعت الحرب الصليبية أوزارها». كما غلبت القائد الفرنسي الذي اقتحم دمشق فقال قوله الموتور: «لقد عدنا يا صلاح الدين».

أحقاد صليبية:

ومازال الاستعمار يحاربنا بصليبيته؛ ليحول بيننا وبين التوحد ولينكس العلم الذي ارتفع في عزة وكرامة. إنه يرى القلوب تتجاوب في حب مع روح البعث الجديد وتتنادى بصيحات الحرية الكاملة والوحدة الشاملة. إن الصليبية الاستعمارية تخشى أن تعود الروح الإسلامية عُلوية الإشراق قدسية الغايات تفيض الحياة التي يقومها صدق الإيمان وجلال الحق وجمال الخير وبر الأخوة المؤمنة. تلك الحياة استطاعت من قبل في عدة قرون أن تجعل من الدنيا للإنسانية ربيعًا نضرًا يزهو بأعراس النور، وأفراح الجنة وأرفع الأمجاد!! وينتشي بالأناشيد التي تنشدها مواكب النصر الأعظم على لعنة الشر ونذالة الأحقاد. إن ذنب الإسلام عند عدوه أنه هدى الإنسانية الحائرة إلى حقيقة الإيمان. والإيمان توحيد وعزة وحرية وشرف وبر وأخوة شاملة واستقامة وما يكره عدو الإسلام شيئًا كما يكره هذه القيم الرفيعة.

إن ذنب الإسلام أيضًا هو أن الله فرض على المسلمين أن يبروا النصارى واليهود ماداموا لا يرفعون في وجه الحق سيفًا ولا يدبرون له كيدًا!!

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]. وعدو الإسلام لا يحب هذا البر ولا هذا القسط مع الإنسان.

ومن الخير أن أنقل هذه الفقرة المنصفة التي كتبها «السير توماس أرنولد» في كتابه القيم «الدعوة إلى الإسلام» (ص٨١) وهو يتكلم عن الحروب الصليبية: «كان البون شاسعًا بين المعاملة الرحيمة التي لقيها الحجاج -يعني المسيحيين

الذاهبين إلى بيت المقدس- من المسلمين وبين ما عانوه من قسوة إخوانهم المسيحيين من الإغريق الذين فرضوا عليهم السخرة وضربوهم وابتزوا ما ترك لهم من متاع قليل حتى إن كثيرًا منهم دخلوا في دين منقذيهم بمحض إرادتهم».

البهائية صهيونية

البهائية قناع تحاول الصهيونية أن تكتم وراءه وجهها الكالح الدميم. ولقد اعتدنا أن نرى الصهيونية ماكرة الحذر ولكنها في البهائية مفتضحة تراها في كل سطر من تاريخ البهائية وكتبها. وصلة الصهيونية بالبهائية صلة قديمة بدأت مع غانية البابية «قرة العين» وإليك ما يقوله أكبر مؤرخ بهائي عن صلة اليهود بالبهائية: «أقبل فوج عظيم على هذا الأمر واعتنقوه ودخلوا في ظل البهائية.. وأصبحوا يشار إليهم بالبنان في جميع بلدان إيران وكان أول من بذر بذور تلك التطورات هناك «قرة العين». وهفا الصهيونيون يسخرون البهائية لمكائدهم ويستترون وراء القناع الجديد؛ فقد ثبت لهم أن أرباب البهائية عصابة مهدرة الأخلاق يبيعون الدين والشرف والوطن بثمن بخس نجس!!»

وإليك ما يقوله أبو الرذائل في فرحته الطاغية باليهود الذين سيطروا على مصير البهائية: «إن رؤساء الدين الإسلامي لم يتمكنوا من جلب أفراد من اليهود إلى الإسلام إلا بطريق الإجبار والاغتصاب ولكن أهل البهاء هدوا آلافًا منهم ببراهينهم الباهرة هداية تنورت بها أرواحهم حتى قاموا لهداية سائر الشعوب»[(١)].

ونترك «للسموأل بن يحيى» -وقد كان من أكبر أحبار اليهود- الرد على البهائي النجس: «ما من أمة من الأمم إلا طلب استئصالهم -يعني اليهود- وبالغ في إحراق بلادهم وإحراق كتبهم إلا المسلمين- وأشد على اليهود من جميع هذه الممالك ما نالهم من ملوكهم».

المسيح الموعود أو رب الجنود: يبهت اليهود عيسى -رسول الله وكلمته- بأنه: صنم ودجال كبير وأنه يعيش في غواش من جهنم بين النار والقار وأنه زنيم وابن خطيئة!!؛ ولهذا ينتظر اليهود مسيحًا آخر من آياته - كما ورد في التلمود- اشتعال حروب تدمر ثلثي العالم ويقضي اليهود بعدها سبع سنين في

(١) اقرأ النصين في ص١٩٧ جـ١ الكواكب الدرية ص١٣٠ الحجج.

إحراق ما غنموه من أسلحة وأن يملك كل يهودي ثلاثمائة ولاية وثمانمائة وألفين من العبيد وأن يسيطر اليهود على العالم كله. وتجمع لهم كنوز الأرض وتنص البهائية على هذا بقولها: «تنبأ موسى عن مدة كبيرة من النفي والاضطهاد لبني إسرائيل قبل ظهور رب الجنود الذي يجمعهم من بين كل الملل والأمم ويهلك الظالمين ويؤسس مملكته على الأرض»(١).

ولقبت الصهيونية عبدها الجديد الميرزا «حسين علي»: ببهاء الله وزعمت أنه المقصود بما ورد في أسفار اليهود عن «بهاء الله» كسفر أشعياء. «يدفع إليه مجد لبنان. بهاء كرمل وشارون (٢)، وهم يرون مجد الرب إلهنا بهاء إلهنا».

لقد اعتادت البهائية التعبير بالرموز والطلسمات عن أصول دينها ولكنها في التعبير عن صهيونيتها الخبيثة لا ترضى بغير الكلمات الواضحة والدلائل الجلية ويلوك الغم وجهها إن ظننت بها أنها ليست نجسًا صهيونيًا.

عبودية ذليلة لليهود: زعم اليهود أنهم سيملكون العالم كله يوم مجيء رب الجنود وأن الأمم ستدخل في دينهم أفواجًا وأن فلسطين ستبقى تحت أيديهم أبدًا وأنهم سيحكمون منها الدنيا كلها وأن الأمة التي لا تخدم اليهود سيبيدها الله.

وتؤكد البهائية أن هذا الزعم اليهودي حقيقة لا ريب فيها وأنه لتحقيقها قام دين البهائية وحلت روح الله في الميرزا «حسين علي»؛ لأنه هو رب الجنود موعود اليهود!! وقد ورد في سفر أشعياء عن «أورشليم» أي بيت المقدس: «يأتي بناتك على الأيدي .. ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم؛ لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد وخرابًا تخرب الأمم» والبهائية تؤكد أن هذا كله آت لا ريب فيه و«أورشليم» تحت يد اليهود وعاصمة مملكتهم الكبرى!!

ولكن عبودية البهائية للصهيونية كعبودية العبد الوضيع لسيده الطاغية فتراه يسرف فيما ينسب إلى سيده من أمجاد لا يجرؤ نفس السيد على أن ينسبها إلى نفسه؛ لأن واقعه دليل كذبه؛ فقد زعم «أبو الرذائل» أن الصهيونيين في عصره قد تحقق فيهم وعد الله المذكور في القرآن: ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَيِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾

---

(١) ص٥١ بهاء.

(٢) كرمل: سلسلة جبلية تبتدئ في الخليل من فلسطين وتنتهي جنوبي حيفا. وشارون: هو الساحل الموجود بين قيصرية ويافا.

[القصص:٥] وتحقق فيهم ما جاء في سفر زكريا: «يمسك عشرة رجال من جميع ألسنة الأمم بذيل رجل يهودي قائلين: نذهب معكم؛ لأننا سمعنا أن الله معكم» واليهود أنفسهم لا يزعمون هذا الزعم لأن الواقع يكذبهم!!

نصوص دامغة عن صهيونية البهائية: يقول أبو الرذائل عن بشائر أسفار اليهود إنها تقول: «إن سلطنة بني إسرائيل تزول إلى أن يأتي الرب المجيد ويجمع شتاتهم ويغرسهم في منابتهم الأصلية غرسًا لا يعتريه القلع والاستئصال» ثم يقول: إن هذا لم يتم في عهد المظاهر الإلهية السابقة -أي الرسل- ثم يقول: «لا يمكن -والحالة هذه- أن يحسب ظهورهم ظهور الرب الموعود ولا أيامهم أيام الرب المحمود» فمن الرب الموعود الذي بمجيئه يتحقق كل هذا المجد لليهود؟ تقول البهائية: إنه الميرزا «حسين علي». وإليك ما يقوله أبو الرذائل: «المراد من بشارات الكتب المقدسة هو ظهور بهاء الله الأبهي فإنه جل ذكره وهو وحده ادعى أن ظهورهم هو ظهور الله الموعود ووجهه وهو وجه الله المعبود ويومه هو يوم الله المعهود» ويقول بهائي كبير -لعله عبد البهاء نفسه- عن بشارات الأنبياء السابقين بيوم القيامة: «إن هذا الوعد المبارك لن يحصل إلا بعد مجيء الرب في آخر الأيام ... وتدل كتابات بهاء الله أنه هو موعود كل الأنبياء» إن الميرزا -إذن- هو رب الجنود الذي يعيد ملك سليمان إلى اليهود ويغرسهم في فلسطين غرسًا أبديًا؛ لأنه كما تزعم البهائية: «مظهر الأب الذي بشر به أشعياء، أما المسيح فابن الأب فقط» ويقول أبو الرذائل أيضًا عن بشارات أسفار اليهود: إنها تقول: «يظهر الرب القدير ويطلع من المشرق جماله المشرق المنير وينزل في الأرض المقدسة ويرتفع نداؤه من الجبل المقدس -جبل الكرمل- فيجمع شتيت بني إسرائيل ويجليهم من بين جميع الشعوب فيخرجون من الظلمة إلى النور ويتبدل حزنهم بالسرور وكفرهم بالإيمان وذلتهم بالعزة فيصيرون مبروكين بعدما كانوا ملعونين وغالبين بعدما كانوا مغلوبين ويرجع عز الأراضي المقدسة وتتبرك بترابها الملل المتباعدة ويغير اسمها فم الرب الموعود ويبني هيكلها الغصن المبارك المحمود فتسمى أرضًا مقصودة بعدما كانت مطرودة فترجع عزة الأرض المقدسة رجوعًا لا يزول ويغرس الشعب فيها غرسًا لا يتضعضع ولا يحول»[1] ويعني

---

(١) ص١١٢، ١١٣ الحجج وهو ينقل كلامه عن سفر أشعياء في حق أورشليم: "ترى =

بالمشرق: إيران حيث ولد الميرزا وإن هذا النص وحده من أكبر داعية بهائي يكفي في أن يستقر باليقين في قلب كل مسلم وكل عربي أن البهائية لعنة «صهيونية» وأنها لا تتورع عن اقتراف آلام الكيد وأنكى الجرائم؛ لتثبت أنها طفاسة الصهيونية وبغلتها الذلول!! فقول أبي الرذائل: «ويغير اسمها فم الرب الموعود» إشارة إلى ما حدث في عهد الحاكم الصهيوني لفلسطين «هربرت صامويل»؛ إذ اقترح تسمية فلسطين: «أرض إسرائيل» وقوله: «يبني هيكلها الغصن المبارك المحمود» يدلك على أن «عبد البهاء» -فهو الغصن المقصود- كان عبدًا للصهيونية يعمل معها في سبيل اغتصاب الأرض الطيبة. أما الرب المجيد الذي طلع من المشرق جماله المنير وجدد مملكة إسرائيل وبشرهم بالسيطرة على مقاليد العالم فهو -في زعم البهائية- معبودهم ميرزا «حسين علي» وإليك دليلاً آخر غير ما تقدم من أدلة. يقول أحد كبار دعاة البهائية في كتاب ألَّفه تحت إشراف عبد البهاء: «نذكر نبوءات عن مخلص إسرائيل بهاء الرب، فإنه يأتي إلى الأرض المقدسة من الشرق من مطلع الشمس. والآن ظهر بهاء الله من أفق إيران الذي هو شرق فلسطين في جهة مطلع الشمس وجاء إلى الأرض المقدسة». ويقول عن لقب «بهاء الله» «هذا اللقب في نبوات بني إسرائيل يدل على الموعود الذي يأتي في آخر الزمان» ثم يذكر إحدى النبوءات التي وردت في سفر أشعياء والتي تتحدث عن خلاص إسرائيل على يد رب الجنود ثم يقول: «بمجيء الباب وبهاء الله تم وعد البشارة على التمام».

كما زعمت البهائية أن أسفار اليهود بشرت بمجيء «عبد البهاء». وإليك قولهم: «وأعظم النبوءات في التوراة الخاصة بعبد البهاء هي في الفصل الحادي عشر من سفر أشعياء حيث يقول: ويخرج قضيب من جذع يسي[1]، وينبت

= الأمم برك وكل الملوك مجدك وتسمين باسم جديد يعينه فم الرب الموعود. لا يقال بعد لك: مهجورة. قولوا لابنة صهيون: هو ذا مخلصك آت أجرته معه وجراؤه أمامه. ويسمونهم -يعني اليهود- شعبًا مقدسًا مفديي الرب وأنت تسمين المطلوبة المدينة غير المهجورة" والتطابق تام بين كلام السفر وبين كلام أبي الرذائل. وانظر النصوص السابقة في الحجج من ص١١٥ إلى ١٢٠، ص٥١، ٢١٢ بهاء.

(١) انظر ص٢١٣ وما بعدها بهاء وص١٣، ١٧٥ الحجج. ويشار بالقضيب في المسيحية =

غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب. ولذته تكون في مخافة الله ... يحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ويرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم شتيتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض» يزعمون أن هذه النبوءة خاصة بعبد البهاء وأنها تؤكد أن روح الله تحل في «السير عباس أفندي ابن الميرزا النوري» الملقب بعبد البهاء!! وأن جميع الأمم تؤمن به وتلجأ إليه، ليحكم بينها بالعدل وأنه سيجمع اليهود جميعًا من شتى أقطار الأرض ويجعل منهم أمة واحدة تحكم العالم كله من فلسطين!! أعبد البهاء يرفع راية للأمم؛ وللسلام؟!!

لقد استطاعت البهائية أن تفتري أن الميرزا الطاغية المجنون هو رب القيامة فهل تعجز عن افتراء مثل تلك المفتريات التي تزعم بها أن عبد البهاء الشيطان نبي الرحمن؟!! إن عبد البهاء عاش يأكله الحقد والحسد والبغضاء لكل خير فكيف يحقق سلام العالم وهو لم يستطع أن يحقق سلام نفسه وسلام أسرته؟!!

ولهذه النبوءة التي زعموا أنها تتحدث عن عبد البهاء بقية تعمدت البهائية السكوت عنها حتى لا تكشف الستر كله عما تدبره ضد الأمة الإسلامية والشعوب العربية.

وإليك بقية هذه النبوءة المذكورة في سفر أشعياء وهي تتحدث عن اليهود: «ينهبون بني المشرق ويبيد الرب لسان بحر ... ويهز يده على النهر بقوة ريحه ويضربه إلى سبع سواق وتكون سكة لبقية شعبه» أرأيت جريمة البهائية؟! إنها تؤكد أنها -تحت إمرة الصهيونية- ستعمل في سبيل القضاء على العرب والمسلمين جميعًا وتدمير كل واد خصيب في الشرق العربي وحجز المياه عن كل نهر يجري فيه؛ ليصير يبسًا تزحف فوقه أحناش الصهيونية!! وقد تلقف «عبد البهاء» هذه النبوءة التي نفثها شيطان الحقد الصهيوني واندفع يكدح بكل ما يملك من جهد الخونة والعبيد في سبيل تحقيقها ويتخذ من خيانته الآثمة للشعب العربي المسلم دليلاً على أنه ابن رب الجنود فيقول بنفسه عن نفسه مؤكدًا أنه المقصود بتلك النبوءة: «من جملة الحوادث الجسيمة التي تقع في يوم ظهور الغصن

=

إلى المسيح وإسرائيل وداود أما البهائية فتقصد به "عبد البهاء" أما يسي فهو والد داود.

الممتاز -يعني نفسه- أن جميع الملل والقبائل يدخلون في ظل ذلك العلم الإلهي الذي هو نفس الغصن الرباني ويصيرون ملة واحدة وفي زمان ذلك الغصن الممتاز سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة والآن انظروا: إن هذه الحوادث لم تقع في زمان المسيح؛ لأن الأمم لم تدخل في ظل العلم الواحد الذي هو ذلك الغصن الممتاز الإلهي. وأما في دورة رب الجنود -يعني أباه- فإن كل الأمم سوف تدخل في ظل هذا العلم -أي في ظله هو عبد البهاء- وكذلك بنو إسرائيل المشتتون في جميع العالم لم يجتمعوا في الأرض المقدسة في الدورة المسيحية وأما في دورة الجمال المبارك -لقب من ألقاب أبيه- يتحقق ظهور هذا الوعد الإلهي الذي كان منصوصًا عليه في جميع الكتب» ثم يتنزى فخرًا وهو يشير إلى المأساة الرهيبة والخيانة الملعونة وهي تنشب مخالبها رويدًا رويدًا في فلسطين فيقول: «فانظروا الآن: تأتي طوائف من اليهود إلى الأرض المقدسة ويمتلكون الأراضي والقرى ويسكنون فيها ويزدادون تدريجيًا إلى أن تصير فلسطين جميعًا وطنًا لهم» فهل يمسنا ريب في أن هذا الشيطان المريد كان أجير السوء وعبده عند الصهيونية؟! ويعقب بهائي -لعله عباس نفسه- على هذا الكلام بقوله: «والآن قد خرجت فلسطين فعلاً من يد الأتراك بعد كتابة ما تقدم وأمضت الدول اتفاقًا على جعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود»[(١)].

لقد خدعت عبد البهاء أوهامه وشهواته عن حقيقته وحقيقة أتباعه وقد هلك والنبوءة لم يتحقق منها إلا برهان واحد قوي هو: أن عبد البهاء تاجر الكذب والخيانة وصهيوني نجس!!

المُسَحَاء الكذبة: ولست أدري -والبهائية تزعم أنها تؤمن بالأناجيل- لم أغفلت ما جاء في سفر «متى» منسوبًا إلى المسيح وهو: «سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة» ويقول الدكتور بوست في قاموسه: «ظهر بين اليهود أربعة وعشرون مسيحًا كاذبًا وأشهرهم «بركوكبة» الذي عاش في أول القرن الثاني وادعى ذلك الدجال بأنه رئيس الأمة اليهودية وملكهم فانحازوا إليه ضد المملكة الرومانية فمات منهم في الحرب التي أثيرت لهذا قرابة ستمائة ألف نسمة وآخر

---

(١) ص٢٦٦ بهاء الله.

المسحاء الكذبة الذين اشتهروا بكثرة تابعيهم مردخاي وهو رجل ألماني ظهر سنة ١٦٨٢م ولما اشتد الاضطهاد بسببه هرب فلم يعثر له على خبر» ويقص «السموأل بن يحيى» نبأ دجال آخر نشأ في سواد الموصل يقال له: «مناجيم بن سليمان»، ويعرف: بابن الروجي وقد زعم أنه القائم الذي يترقبه اليهود؛ لينتقم لهم من المسلمين وكان مصيره القتل. ثم يذكر السموأل أنه رأى جماعة من يهود الأعاجم في سلماس وتبريز ومراغة يقسمون باسمه الأعظم[1]. وقد اقتدى ميرزا حسين علي بهؤلاء والشبه قريب بين دعواه ودعوى «مناجيم»!!

جمع العالم على الديانة اليهودية: وكان من أحلام عبد البهاء -كما جاء في كتاب «عبد البهاء والبهائية»-أن يجمع المسلمين والنصارى واليهود على أصول الديانة اليهودية!!

حقد البهائية على عمر:

وتلطم البهائية وجهها المتقيح بالخطيئة حزنًا على ما أصاب اليهود -في زعمهم- على يد الفاروق عمر بن الخطاب، فيقول أبو الرذائل عن اليهود: «وزادهم ذلة وشقاء وتشتتا وبلاء فتح عمر خليفة الإسلام مدينة إيليا -بيت المقدس- وعاهد أسقف أورشليم -القدس- ألا يسكن يهودي فلسطين فأبطلت بهذا الحكم والعهد محرقتهم الدائمة»[2] وحقائق التاريخ تشهد بدناءة حقد الصهيوني الخبيث وكذبه؛ فالتاريخ يحدثنا أن الفرس استولوا على الشام في سنة ٦١٥م وأن اليهود اشتروا من الفرس تسعين ألفًا من أسرى المسيحيين وذبحوهم[3] ثم قاموا بإحراق كل كنائس القدس ثم انتصر هرقل فشكا إليه

---

(١) ص٦٠ وما بعدها، بذل المجهود.

(٢) ص١٤٤ الحجج. وقرابين المحرقات كانت تقدم في كل يوم وقودًا للرب تكفيرًا عن الخطايا. وكان وكلاء الشعب اليهودي يضعون أيديهم على رأس القربان والكاهن اليهودي يعترف بخطايا الشعب فتنتقل -كما يزعم اليهود- خطايا الشعب إلى القربان فيقدم حينئذ إلى المحرقة والكهنة يطلقون البخور والشعب ساجد في عرصات المذبح!

(٣) ورغم هذا يعطف الصليبيون على الصهيونية معتقدين -كما يقول المسيحي الكبير صاحب كتاب مرشد الطالبين -أن اليهود- "سوف يزول كفرهم ويأتون إلى كنيسة المسيح مع جمهور الأمم" ص٤٨٣ وهو نفس قول البهائية.

المسيحيون ما أنزله بهم اليهود فطردهم من القدس وحينما فتح عمر المدينة فعل ما كان يجب أن يفعل محافظة منه ﷺ على السلام ثم هو لم يدمر ليهودي بيتًا ولم يغصب له مالا ولم يمسس له بريبة ما عرضًا كما أجرمت الصهيونية والصليبية .. أما المحرقة فقد أنقذ بما أنزله بها شعب بني إسرائيل من شهوات الأحبار والكهان وبغيهم وأكلهم أموال الناس بالباطل وإليك ما يقوله «غوستاف لوبون» وهو يتحدث عن طبيعة فتوح العرب: «يثبت لنا سلوك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في مدينة القدس مقدار الرفق العظيم الذي كان يعامل به العرب الفاتحون الأمم المغلوبة فناقضه ما اقترفه الصليبيون في المقدس بعد بضعة قرون مناقضة تامة»[1]. ثم ما رأى البهائية فيمن يزعمون أن عمر العادل قد ظلمهم وفي ذبحهم تسعين ألفًا من الأسرى المسيحيين؟ وسفكهم ظلمًا دماء ألوف الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال في فلسطين وتشريدهم لمئات الألوف وتدميرهم المحاريب على الساجدين في الأسحار والملاجئ على اليتامى والمستشفيات على بائسي المرضى؟! ومازالوا يثيرون في كل يوم عدوانًا باغيًا على أشرف مقدسات القيم الدينية والخلقية والإنسانية!!

لقد جنت فرحة البهائيين لما اقترفته الصهيونية ضد العروبة والإسلام ويوم أن أعلن قيام إسرائيل ورأته برهانًا صادقا على أن الميرزا النوري هو مسيح الصهيونية الموعود ورب الجنود!!

ويعتذر أبو الرذائل عن كفر اليهود بعيسى عليه السلام فيقول: «رأوا رأي العين أن بشارات الكتب المقدسة. وخصوصًا المنبئة عن عواقب هذه الأمة لا توافق ولا تنطبق على ظهور سيدنا عيسى» فمن هو المقصود بهذه البشارات؟ إنه الميرزا الحقود! يقول أبو الرذائل: «قام بهاء الله الأبهى وظهر جمال الله الأعلى ونادى بنداء ملئت منه الآفاق: قد أتى الرب الموعود وظهر جمال الله المعبود وطلع يوم الله المعهود وأشرقت الأرض بأنوار وجه ربها الوهاب»[2]. وكثيرًا ما

---

(١) ص١٧٠ حضارة العرب.

(٢) ص١٢، ١٣ الحجج. والبهائي النجس يسطو على الكتاب المسيحي "مرشد الطالبين" فقد أخذ البشائر التي زعم الكتاب أنها تبشر بالمسيح. والنبوات التي زعم الكتاب أنها تؤكد غلبة الكنيسة في المستقبل ووضع اسم ميرزا حسين علي. والمرشد مطبوع سنة =

يزعم أبو الرذائل -كما زعم سادته اليهود- أن الله أعطى لليهود عهده باعتبار أنهم شعب الله المختار! وما كان اليهود شعبًا مختارًا وإنما كانوا غير ذلك؛ فالله يقول: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

تمجيد البهائية لليهودية:

وأبو الرذائل يمجد هؤلاء الذين كفروا. يمجد يهوديتهم بعبادتها للعجل، وبقتلها للأنبياء[(١)]. وبجحودها بعيسى ومحمد. وهنا أقول للبهائي: إننا بهذا نعترف بأن "ميرزا حسين علي" هو موعود هؤلاء!! موعود الجريمة؛ لتزداد فحشًا وموعود الصهيونية كجاسوس قذر!!

تعقيب: أعتقد أننا بعد هذه النصوص لا نحتاج إلى شيء آخر يؤكد لنا أن البهائية: هم الجريمة التي تبغي بها يد الصهيونية والكلمة النجسة التي ينطق بها لسانها هم خناجرها المسممة التي تأتمر لإغمادها في صدور العرب والمسلمين وجواسيسها الذين تبثهم في الشرق بعون كبير من أمريكا للقضاء على قيمه وقواه وآماله في العزة والكرامة!! وبعد هذا نسائل البهائية: هل ثمت أثارة من بشارة تساند ظنها في أن الميرزا «حسين علي» هو رب الجنود؟

=

١٨٦٩م في بيروت وأبو الرذائل انتهى من تأليف الحجج سنة ١٩٠٠م.

(١) من خطاب المسيح لليهود الذي ورد في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر متى: "أيها الحيات أولاد الأفاعي! كيف تهربون من دينونة جهنم! لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة؛ لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا" كما جاء في الإصحاح الأول من سفر أشعياء عن اليهود: "ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم، نسل فاعلي الشر أولاد مفسدين كيف صارت القرية الأمينة زانية. كان العدل يبيت فيها وأما الآن فالقاتلون ... رؤساؤك متمردون. كل واحد منهم يحب الرشوة لا يقضون لليتيم، ودعوى الأرملة لا تصل إليهم" هؤلاء هم اليهود الذين تمجدهم البهائية!

إن أسفار اليهود تؤكد أن تلك البشائر تتم كلها يوم ظهور الرب المجيد!! فلترني البهائية بشارة تمت وقد ظهر معبودهم ومر على هلاكه سبعون عامًا!! ولقد جاء في المزامير عن المسيح الموعود أنه «يملك من البحر إلى البحر ... أمامه تجثو البرية وأعداؤه يلحسون التراب ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له» فأين؟ أروني شطر ملكٍ سجد للميرزا وهو الذي كان يسجد لفساق الملوك وبغاتهم!!

لقد وصم أبو الرذائل آباء الكنيسة بالجهالة؛ لأنهم زعموا أن تلك البشائر انطبقت على المسيح ثم خاطبهم بقوله: «هل وقعت وتمت بشارات هذه الآيات؟ وهل آمن جميع بني إسرائيل؟» وإني أوجه للصهيوني البهائي النجس نفس سؤاله وأسأله سؤالاً آخر: هل سادت الديانة اليهودية كما تزعم البشائر الكاذبة؟ هل يكرز العالم كله بالإنجيل؟ هل جثت البرية تحت أقدام الميرزا؟ هل يملك كل يهودي في العالم ثمانمائة ولاية؟ هل يمسك كل عشرة بذيل يهودي؟

ما أظن أن البهائية تجرؤ على إثبات الجواب إلا إن قالت إن الولاية كناية عن الجريمة وإن كل عشرة بهائيين يمسكون بذيل يهودي!!

وليت البهائية يتدبرون؛ ليروا الميرزا المذكور -كما كان في واقعه وظاهره وباطنه- خسة في ميزان القيم ولعنة كفر وبهتان ضلالة وأجير السوء عند جرائم الصهيونية!!

رجاء إلى العرب والمسلمين

كل امرئ له بصر بكيد الصهيونية وضراوة أحقادها وكدها في سبيل تسعير الحروب؛ لتدمير الحضارات وللقضاء على ثلثي العالم؛ ليظهر رب الجنود الموعود، كل امرئ له بصر بهذا سيعلم علم اليقين أن البهائية إنما تحيا لهدف واحد!! هو أن تنفذ جريمة الصهيونية ولتزج بألوف الألوف من الضحايا الأبرياء في محرقات الصهيونية؛ ولتروي غليلها المحموم الغليل إلى الدم المظلوم وثمت تصيح بالفرحة الطاغية ودم الأيتام يشخب من أفواهها الدنسة: لقد تحقق وعد ربنا «الميرزا النوري»!!

تدبر فيما تنبأ به عبد البهاء لعكا وحيفا! إنه لا يتنبأ وإنما يفرض على كل بهائي أن يعمل؛ لتلتقم الصهيونية كل قيد أنملة في أرض فلسطين. إنه يزعم أن

حيفا ستصبح -بعد اتصالها بعكا- أعظم مدن العالم كله بل عاصمته الكبرى التي يحكم اليهود منها العالم والكعبة العظمى التي تحج إليها البشرية جمعاء وسيغرق جبل «الكرمل» في لجج من الضوء الغامر وسترتفع من كل جهة ضراعات القلوب مناجية الرب المجيد: «الميرزا حسين علي» المدفون فوق جبل الكرمل هاتفة: «يا بهاء الأبهى!! وفي الفجر ترتفع أصوات الموسيقا الساحرة مصحوبة- كما يقول عبد البهاء- بنغمات مطربة للروح نحو عرش الرب المجيد»[1].

أنا لا أرتاب أبدًا في أن كل ضمير حر سيدمغ البهائية بما يدمغ به كل آبق عن الشرف والكرامة والرجولة. وأنا لا أرتاب في أن البهائية ستلوذ بولولة الخاطئة الخئون التي كانت تختال كأنها أميرة قديسة مطيبة بروح الجنة وبغتة بصرت بها العيون وهي تقارف أدنأ خطيئة مع صعلوك دنس من أوشاب الليل المعربد في محراب مسجد في إشراقة الفجر في رمضان!! ولا أرتاب في أنها ستطلب احترام دعوتها إلى وحدة البشرية!! فهكذا تفعل كلما هتكت يد القناع عن وجهها الذي أكلته الثآليل!!

غير أني أقول للبهائية التي طالما تنزت على صحفنا براءة وعالمية أخوة: لا يجوز لك يا شمطاء الإثم والخيانة أن تفزعي إلى أحد برجاء فما وحدتك التي تنادين بها إلا وحدة القطيع المذعور تحت بغي الذئاب الشرهة الضارية!! وحدة العالم -في ذلته ومهانته- تحت وحشية الصهيونية!! فالصهيونية تحلم بإقامة مملكة يهودية تسيطر على مقاليد الوجود كله ويتعاقب على عرشها ملوك مستبدون يربون على يد حكماء صهيون والبهائية جارية الصهيونية الفاجرة!!

دناءة نفاق: إن عثرت ببهائي وجادلته فسيبدهك بأنه: مؤمن بالله وكتبه ورسله وسينطق بالشهادتين وسيقرأ القرآن وسيرافقك إلى المسجد ليصلي معك!! ولكننا رأينا البهائية في عقيدتها. رأيناها كفرًا بواحًا وفسوقًا مباحًا!! فمعبودها ليس هو رب العالمين وإنما هو معبود آخر تؤمن البهائية أن الذي أعطاه وجوده الحقيقي وقيوميته الكبرى هو جسد العتل: «ميرزا حسين علي».

---

(١) ٢٤٠ بهاء.

معبود صورته أساطير الغنوصية والصوفية والإسماعيلية والدرزية والصليبية والصهيونية فكان مسخًا مضحكًا ومرقعات تثير السخرية!!

أما الرب الذي دعا إليه الرسل ويعبد المسلمون فهو الله الذي خلق كل شيء بأمره وخلق آدم بيديه وعلمه الأسماء كلها وأسجد له الملائكة وكلم موسى تكليمًا ونزل هذا القرآن بألفاظه ومعانيه على عبده وخاتم أنبيائه ورسله: محمد ﷺ.

وله -جل جلاله- أسماؤه الحسنى وصفاته العليا. وإن لنا- نحن العبيد- من أحوالنا النفسية التي تنشأ عن واقع مرير أو تجربة مؤلمة أو خيبة رجاء في أحد. لنا من هذه الأحوال ما يدفع بنا إلى رغبة إما في سعة رزق وإما في غفران ذنب وإما في شفاء مرض وغير هذا مما تفزع إليه أحلام النفس وآمالها وثمت يجد المسلم في أسماء ربه التي يدعوه بها ما يشفي ويهدي. يجد الرحمة التي ترحم والقوة التي تنصر والهداية التي تهدي يجد ذلك من الله رب العالمين الرحمن الرحيم.

إن كلامنا تنتابه لحظات يشعر فيها أنه يتيم مضيع فإلى من نتوجه في مثل هذه اللحظات؟ ألِى الميرزا الذي كان المرض يختلب عقله ورشده وراحته وسكون ليله ويرمي به الذل على الأرض طريحًا يتلوى من الزحار «الدوسنتاريا» ويستدر نفحة راحة من المرض أو من باغ يسوطه؟!! ألِى بشر أكد واقعه الملطخ بالجريمة والعار أنه لم يستطع أن يرحم نفسه من شهواته؟! وإني لأرجو أن يتدبر البهائيون ضراعات معبودهم «الميرزا» إلى شاه العجم؛ ليروا أي تعس ذليل كان يلعق نعال هذا الملك الطاغية!!

إني أطنب في تذكيرك بمعتقدات البهائية؛ لعلك تلقى بهائيًا فيركع بين يديك في ذل زاعمًا أنه مؤمن مظلوم ويقسم على ذلك!! فيظن من لن يبتل البهائية أنها تنزع إلى خير أو سلام!!

إن الصهيونية تضع في عينها دمًا ثم تتراءى به بين يديك؛ لتظن أنها تبكي بدم مأساة ولما يجف على خنجرها الغدور دم يتيم اغتالته على ثدي أمه. والبهائية ربيبة الصهيونية!!

قلق من خيانة البهائية:

إني ليستبد بي القلق الرهيب حين تعبر بخيالي هذه الصور الرهيبة. صورة شبابنا -مثلا- في المدارس والمعاهد، وقد رزئوا بمدرس بهائي.

ترى أية مفتريات سيبهت بها الإسلام والعروبة في حذر ومكر؟! وما الذي سيحدثهم به عن محمد ﷺ وعن القرآن والبهائي مسعور الحقد ضد الإسلام وخاتم رسل الإسلام؟ إنه سيصور لهم محمدًا في صورة يتراءى بها أنه يقدس محمدًا فتسحر هذه الصورة الزائفة بعض الطلاب كأن يزعم -كما علمته الصوفية- أن محمدًا هو أصل الوجود الذي من نوره خلق كل شيء وهو النقطة المتعينة في كل موجود فإذا ما وقفوا بين يدي الله عرفوا أنهم كانوا يقتدون بشيطان ضلالة لا برسول أعظم رسالة!!

وأتساءل أيضًا: ما الذي سيحدثهم به هذا المدرس البهائي عن جهادنا ضد الصليبية والصهيونية وهو من عبيدهما؟ ولا يبغض كلمة كما يبغض كلمة الحرية ولا يسد سمعه عن شيء كما يسده عن دعوة الجهاد في سبيل الله. بل إنه ليقف في طريق هذه الدعوة ويحاربها!! فمعبوده الميرزا قد حرم الجهاد. ويقول عن الحرية في «الكتاب الأقدس»: «إننا نرى بعض الناس أرادوا الحرية ويفتخرون بها. أولئك في جهل مبين. إن الحرية تنتهي عواقبها إلى الفتنة التي لا تخمد نارها. إن الحرية تخرج الإنسان عن شئون الأدب والوقار وتجعله من الأرذلين».

إن أبناءنا لن يسمعوا من ذلك المدرس إلا كل ما ينال من ربنا ومن رسوله الخاتم ومن كتاب الله وسيحقر أمامهم من دماء شهدائنا وسيؤكد لهم أن الجهاد عبث مجانين وأن التضحية تصور مخابيل.

وما للبهائي عاصم من دين أو خلق يحول بينه وبين المكر الخبيث بأبنائنا وما له من سمة تصرف عنه سمع التلاميذ وقلوبهم؛ فاسمه إسلامي «كمحمد وحسين» وللاسم سحره وفتنته التي تخيل إلى هؤلاء الطلبة الأبرياء أنهم بين يدي مسلم ولاسيما وهو يتلو أمامهم من القرآن!! فهل يرتابون في دينه؟ وهل تحدثهم نفوسهم بالتمرد عليه وهو أستاذهم وفي يده طرف من مصائرهم الدراسية؟

والصورة التي ترهبني أيضًا صورة أسرار تتعلق بأمن الدولة وسلامتها وقد وضعت تحت يد وبصر موظف بهائي خدعنا اسمه.

ترى هل يروض هذا البهائي نفسه على كتمانها ودينه يفرض عليه أن يعين بها الصهيونية؛ ليحقق بشائر معبوده «النوري»؟!

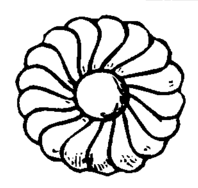
وصور أخرى أشد هولاً ورهبة!!

وإني لأحذر من هذه الفئة الباغية في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ نضالنا ضد الصهيونية والاستعمار وأرجو من كل حكومة إسلامية أو عربية أن تطردهم من المناصب المهمة ولاسيما من هذه الوزارات: «التربية والتعليم، الدفاع، الثقافة والإرشاد، الخارجية، مناصب الإعلام»؛ فالبهائية جواسيس الصهيونية المنبثون في الشرق تحت شف رقيق من الدعوة إلى الإخاء العالمي وإني لأرجو أن يدق هذا الرجاء باب القلوب في حنو وإشفاق وأن تنفتح له؛ فإني كلما أعتم خيالي بلك الصور الرهيبة الدامسة أشعر بضيق شديد فأفزع إلى كتاب الله فأستروح روح السكينة ... تدبر معي: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨، ٩] وإنا بوعد الله نؤمن.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨]. ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١].

عبد الرحمن الوكيل

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية



الفصل الثالث /
البابية والبهائية
بحوث للسادة العلماء

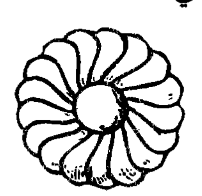
١- العلامة محمد الخضر حسين.

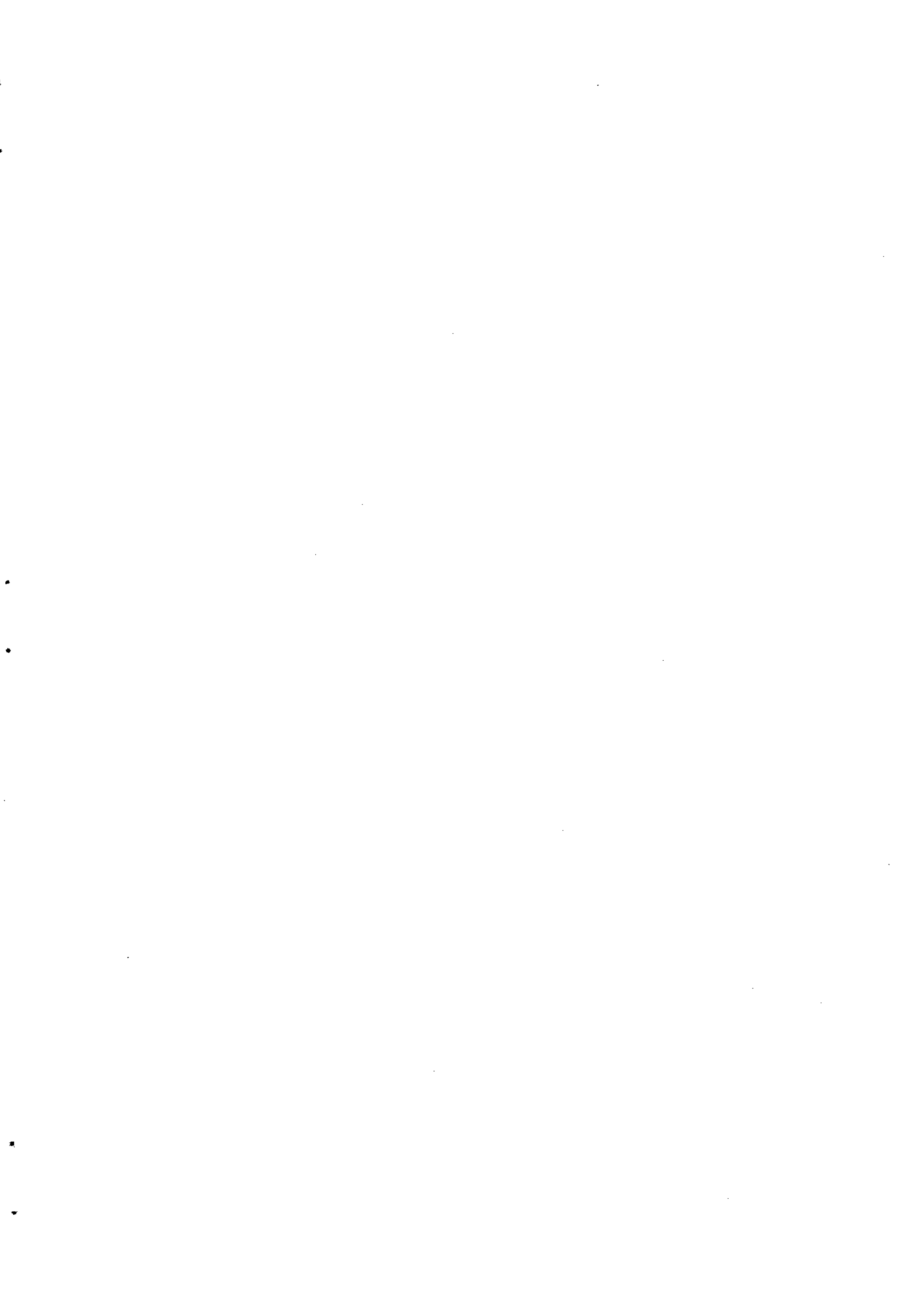
٢- الأستاذ مصطفى محمد الحديدي.

٣- الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي.

جاء ذلك في ملحق مجلة الأزهر

العدد شعبان ١٤٠٥هـ





السيد/ محمد الخضر حسين

١٢٩٣ - ١٣٧٧هـ

المولد والنشأة:

في عام ١٢٩٣ هـ ولد السيد/ محمد الخضر حسين في بلدة نفطة من بلاد الجريد بتونس وأبوه من أسرة شريفة أصلها من الجزائر.

وفي عام ١٣٠٥هـ رحلت الأسرة إلى تونس -العاصمة- وكان الشيخ في الثانية عشرة من عمره.

وقد تأدب قبل ذلك بأدب الإسلام وتلقى كتاب الله ومبادئ العلوم العربية والشرعية.

وهناك التحق بجامع الزيتونة وتنقل في مراحله المختلفة على أساتذة أجلاء أبرزهن العلامة الشيخ سالم أبو حاجب وما أن حصل على شهادة العالمية عام ١٣٢١هـ حتى أخذ يساهم في النهضة العلمية والأدبية بإصداره مجلة «السعادة العظمى».

وفي عام ١٣٢٤هـ تولى قضاء «بنزوت» ومنطقتها وكان الجمع بين ولاية القضاء وبين انطلاقه الفكري في بلد رزئ باحتلال لعين عائقًا في طريق طموحه ففارق القضاء إلى التدريس في المدرسة الصادقية الثانوية ثم في جامع الزيتونة.

وكان يوجه أنظار القائمين على جامع الزيتونة إلى ضرورة العناية بتدريس الإنشاء حتى يتخرج في هذا المعهد الإسلامي كتاب بارعون يؤدون مهمة الدعوة ويرودون الأمة إلى أهدافها.

بين تونس والأستانة ودمشق وبرلين:

ولأن الشيخ قد رضع لبان الحرية والتزم تعاليم الإسلام فقد اتهمته سلطات الحماية الفرنسية بعدائه للغرب.

فسافر إلى الأستانة عام ١٣٢٩هـ متذرعًا بزيارة خاله ولم يلبث أن عاد إلى تونس، التي برم بالإقامة فيها بعد حين فأزمع الهجرة نهائيًا واختار دمشق وطنًا ثانيًا له.

وكانت الحركة العربية في بدايتها تطالب حكومة آل عثمان بإيفاء اللغة العربية حقها من التعليم في المدارس الرسمية، فعين الشيخ مدرسًا للغة العربية في

المدرسة السلطانية بدمشق .. وزار المسجد النبوي عام ١٣٣١هـ.

وخلال إقامته بدمشق زار تونس ثم الأستانة ولقي أنور باشا وزير الحربية واختاره محررًا عربيًا في وزارته، وأوفد الشيخ في مهمة رسمية إلى برلين بألمانيا فقضى بها تسعة أشهر حاول خلالها تعلم اللغة الألمانية.

وعاد إلى الأستانة وقد أصيب بخيبة أمل لما كابده من أحوالها فضاقت به وضاق بها فيمم وجهه شطر دمشق واستقر بها وما لبث أن ناله شواظ من شرور السفاح أحمد جمال باشا فزج به في السجن في رمضان سنة ١٣٣٤هـ.

ويبدو أنه كان لأنور باشا يد في إنقاذ الشيخ من قبضة جمال باشا فما كاد يفرج عنه حتى سافر إلى الأستانة ثم إلى دمشق وتولى التدريس بالمدرسة السلطانية مرة أخرى في عامي ١٣٣٥هـ، ١٣٣٦هـ.

وهناك شرع في دراسة كتاب «مغنى اللبيب» لجمال الدين بن هشام .. وألف مقالات لتلاميذه عن حقيقة القياس وشروطه ومواقفه وأحكامه ومنها تألفت رسالة «القياس في اللغة العربية» التي نال بها عضوية جماعة كبار العلماء بالأزهر عام ١٢٧٠هـ.

وكثرت أسفار الشيخ بين الأستانة وبرلين ودمشق التي عاد إليها وقت تولى فيصل بن الحسين على سوريا ودخول الجيش إلى دمشق .. ووقع الاحتلال الفرنسي أثناء وجوده بها فبقي بها فترة .. ثم أذن له الله أن يرحل إلى مصر فيلقي بها عصاه، عام ١٣٣٩هـ.

الأستاذ الإمام في مصر:

توالت جهود الشيخ العلمية وهو في مصر فاشتغل بالكتابة والتحرير والدرس وألف رسالته «الخيال في الشعر العربي» عام ١٣٤٠هـ والتحق بالقسم الأدبي في دار الكتب المصرية عدة سنين، ثم تجنس بالجنسية المصرية وتقدم للامتحان في الأزهر، ذلك الامتحان الذي كشف عن آفاق علمه وكنوز فضله، فأصبح من أكمل أساتذة الأزهر العظيم في عصور الإسلام الطويلة.

وفي عام ١٣٤٢هـ أسس «جمعية تعاون جاليات شمال أفريقيا» وسن

قانونًا لها.

وما أن ظهر كتاب «الإسلام وأصول الحكم» وأهديت نسخة منه إليه حتى انبرى الشيخ لنقض الكتاب فقرة فقرة وصدر كتابه «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم» ونفدت طبعته في شهر واحد لشدة الإقبال عليها.

وكذلك فعل مع كتاب «في الشعر الجاهلي» الذي نقض كل ما فيه من باطل وأصدر كتابه «نقض كتاب في الشعر الجاهلي».

وكان الشيخ ركنا ركينًا في تأسيس المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين عام ١٣٤٦هـــ، ولما تم النجاح في هذا العمل تفرغ لتأسيس «جمعية الهداية الإسلامية» التي ضمت أهل الغيرة والنشاط من شباب الأزهر وشيوخه ومن نهج نهجهم، «قامت للجمعيتين فروع كثيرة في شتى الأقطار».

وعندما أسست «مجلة الأزهر» في المحرم ١٣٤٩هـــ وكان اسمها يومئذ «نور الإسلام» تولى الإمام رياسة تحريرها من يوم إنشائها حتى ربيع الأول سنة ١٣٥٢هـــ وواصل الإمام جهاده فتولى التدريس بكلية أصول الدين محققًا على طريقة الأقدمين راجعًا بقضايا العلم إلى أصولها. وهو بين كل ذلك محاضر قدير وأستاذ عظيم يلتقي بجماهير الشباب بدار جمعية الهداية داعيًا إلى تجديد حيوية الإسلام في النفوس بأساليب بليغة وإقناع مؤثر. وقد جمع الكثير من هذه المحاضرات في كتابه «رسائل الإصلاح».

وكعادته في السبق دائمًا كان من أقدم أعضاء «مجمع اللغة العربية» عند تأسيسه وله فيه بحوث وقصائد ودفاع عن الفصحى .. لغة القرآن.

وعندما أنشئت مجلة «لواء الإسلام» عام ١٣٦٦هـــ عهد إليه برياسة تحريرها وظل يواصلها ببحوثه حتى آخر حياته المباركة.

وفي يوم (٢١ من ذي الحجة ١٣٧٢هـــ، ١٦ سبتمبر ١٩٥٢).

توجه وفد من مجلس الوزراء إلى منزل الشيخ فعرض عليه مشيخة الأزهر باسم حكومة الثورة وجاء الشيخ إلى مشيخة الأزهر وللأزهر في ذهنه رسالة يتمنى لو اضطلع بها الأزهر ليتم له بها حمل أمانة الإسلام.

ولما أضعفته الشيخوخة عاد إلى منزله عاكفًا على كتبه وكتابته وفكره.

وفي اليوم الثالث عشر من رجب عام ١٣٧٧هـــ اختاره الله إلى جواره وهو لا يزال على عهده رجلاً عظيمًا وإمامًا كريمًا عاش في الله وجاهد في الله ثم مات في الله ورحل بإذن الله إلى الرفيق الأعلى ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النساء:٦٩].

التعريف بالبهائية

البهائية نسبة إلى: (بهاء الله) لقب يدعى به ميرزا حسين علي وهو الزعيم الثاني للمذهب الذي تتولاه الطائفة المسماة بالبهائية.

وتسمى هذه الطائفة البابية نسبة إلى «الباب» وهو لقب ميرزا علي محمد ذلك الذي ابتدع هذه النحلة وإليك ملخص القول في نشأتها.

أصل نشأة هذه النحلة أن ميرزا علي محمد الملقب بالباب نشأ في شيراز بجنوب إيران وأخذ شيئًا من مبادئ العلوم ثم اشتغل بالتجارة.

ولما بلغ من العمر الخامسة والعشرين ادعى أنه المهدي المنتظر وكان إعلانه بهذه الدعوة سنة ١٢٦٠هـــ فأخذها بالتسليم طائفة من الجاهلين.

وأرسل بعض هؤلاء إلى نواح مختلفة من إيران للإعلام بظهوره وبث شيء من مزاعمه.

وتنبه العلماء لهذه الدعاية فقاموا في وجهها وعقد بعض الولاة بينهم وبين ميرزا علي هذا مجالس للمناظرة فرأى بعضهم ما في أقواله من غواية وخروج عن الدين فأفتى بكفره.

ورأى آخرون ما فيها من لغو وسخافة فنسبه إلى الجنون واختلال الفكر.

واعتقل في شيراز ثم بأصفهان وساقته الحكومة الإيرانية في عهد الملك ناصر الدين شاه إلى تبريز وثارت بين أشياعه وبين المسلمين فتن وحروب سفكت فيها الدماء وكانت عاقبته أن أعدمته الحكومة في تبريز صلبًا عام ١٢٦٥هـــ.

وقعت بعد قتله فترة كان أتباعه فيها على اختلاف في شأن من ينوب عنه إلى أن دبروا اغتيال الملك ناصر الدين انتقامًا لزعيمهم فهجم عليه اثنان منهم فخاب سعيهم وأخذت الحكومة تتقصى أثر البابيين وتسوق زعماءهم إلى مجلس التحقيق وكان الميرزا حسين على الذي لقبوه بـــ (بهاء الله) من شيعة الباب

ودعاة نحلته فقبض عليه وسجن بطهران بضعة أشهر ثم أبعد إلى بغداد سنة ١٢٦٩هـــ.

لما أدركت الحكومة الإيرانية خطر هذه الفئة وما يبيتونه من فتن جعلت ترقبهم بحذر واحتراس فالتحق طوائف منهم ببغداد واجتمعوا حول ميرزا حسين الملقب ببهاء الله ثم حدث بينهم وبين الشيعة ببغداد شقاق كاد يفضي إلى قتال فقررت الحكومة العثمانية وقتئذ إبعاد البابيين من العراق فنقلتهم إلى الأستانة ونفتهم إلى أدرنة.

قام المسمى (بهاء الله) لهذا العهد يدعو إلى نفسه ويزعم أنه هو الموعود به الذي أخبر عنه[1] الباب وقبل دعوته أكثر البابيين وتسموا حينئذ بالبهائيين وممن رفض دعوته أخوه ميرزا يحيى الملقب (صبح أزل).

ثم إن الحكومة العثمانية أمرت بإبعاد الفريقين من أدرنة فنفت الميرزا يحيى وأتباعه[2] إلى قبرص ونفت البهاء واتباعه إلى «عكا» بفلسطين وبقي البهاء بعكة إلى أن هلك عام ١٣٠٩هـــ فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس الذي لقبوه بـــ (عبد البهاء) فأخذ يدعو إلى هذا المذهب ويتصرف فيه كما يشاء.

ولم يرض عن صنيعه هذا أصحاب البهاء فانشقوا عنه والتفوا حول أخيه الميرزا علي وألفوا كتبًا بالفارسية والعربية وطبعوها في الهند يطعنون بها في سيرة عباس ويصفونه بالمروق من دين البهاء.

اعتقادات البهائيين

ليست البهائية بالنحلة المحدثة التي لم يتقدم لها في النحل المارقة من الإسلام

---

(١) يزعم البهائية أن الباب كان يشير إلى شخص يظهر بعده وكانوا يعبرون عنه بلفظ "من يظهره الله".

(٢) يسمى هؤلاء البابية "الأزلية" إذ يزعمون أن يحيى هذا هو مصداق ما أشار إليه الباب في كتاب "البيان" باسم "من يظهره الله" وهؤلاء يكفرون بالبهاء ويتناولونه وأتباعه باللعن في السر والعلانية، وليحيى هذا كتاب أراد أن يحاكي به القرآن الكريم في ترتيب الآيات والسور، وحاول أن يحاذي به أسلوبه الحكيم فافتضح أمره وظهر سخفه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

ما يشابهها أو تتخذه أصلاً تنبني عليه مزاعمها وإنما هي وليدة من ولائد الباطنية تغذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية ثم اخترعت لنفسها صورًا من الباطل وخرجت تزعم أنها وحي سماوي ولولا أن في الناس طوائف يتعلقون بذيل كل ناعق لما وجدت داعيًا ولا مجيبًا لندائها -وها نحن أولاً نسوق إليك كلمة في مذهب الباطنية ونحدثك عن البابية أو البهائية حتى تعلم أنها سلالة من ذلك المذهب الأثيم.

تقوم دعوة الباطنية على إبطال الشريعة الإسلامية وأصل نشأة هذه الدعوة أن طائفة[1] من المجوس راموا عند شوكة الإسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم، وذلك أنهم اجتمعوا فتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك وقالوا: لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك، لكنا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا ونستدرج به الضعفاء منهم فإن ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم.

وقد رسموا لهذا المذهب خطة دبروها بنوع من المكر وهو أنهم جعلوا الدعوة مراتب:

(١) تفرس حال المدعو: أقابل هو للدعوة أم لا؟

(٢) استهواء كل أحد بما يميل إليه من زهد أو خلاعة.

(٣) التشكيك في أصول الدين.

(٤) أخذ الميثاق على الشخص بأن لا يفشي لهم سرًّا.

(٥) دعوى موافقة أكابر رجال الدين والدنيا لهم ليزداد الإقبال على مذهبهم.

(٦) تمهيد مقدمات يراعون فيها حال المدعو لتقع لديه موقع القبول.

(٧) الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية.

(٨) سلخ المدعو من العقائد الإسلامية ثم يأخذون بعد هذا في تأويل الشريعة على ما تشاء أهواؤهم.

---

(١) كتاب المواقف وشرحه للسيد الجرجاني.

اتخذ هذه الخطة وسيلة إلى محاربة الدين الإسلامي طوائف كانوا يتظاهرون بأنهم من شيعة آل البيت وهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء ولا بشيء من الكتب المنزلة ولا بيوم الجزاء ولا أن للعالم خالقًا وتراهم يستدلون بالقرآن والحديث ولكن يحرفونهما عما أراد الله ورسوله منهما.

ومن الباطنية المتظاهرين بالتشيع لآل البيت من ادعى النبوة لبعض آل البيت كفرقة الإسماعيلية قالوا بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر بل زعمت هذه الفرقة أنه لا يخلو زمان من نبوة نبي إلى يوم القيامة ولم يقفوا عند دعوى النبوة بل تجاوزوها إلى القول بإلهية جماعة من آل البيت وغيرهم فقالوا بإلهية علي عليه السلام وإلهية كثير من أولاده وأحفاده.

وكم أحدث هؤلاء الذي يدعون المهدية أو النبوة أو الإلهية من فتن وكم جروا على العالم الإسلامي من بلاء وكان أهل العلم يقاومون باطلهم ويهتكون أستارهم وممن تصدى للرد عليهم أبو حامد الغزالي فألف كتابه المسمى «حجة الحق[1]» وكتابه المسمى «فضائح الباطنية»[2] وذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه طالع الكتب المصنفة فيهم فوجدها مشحونة بفنين:

١- فن في تواريخ أخبارهم وأحوالهم في بدء أمرهم إلى ظهور ضلالهم وتسمية كل واحد من دعاتهم في كل قطر من الأقطار وبيان تفاصيل وقائعهم فيما انقرض من الأعصار.

٢- وفن في إبطال تفاصيل مذاهبهم وعقائد تلقوها في الثنوية والفلاسفة وحرفوها عن أوضاعها وغيروا ألفاظها قصدا للتغطية والتلبيس ثم بين أنه قصد في كتابه إلى الأعراب عن خصائص مذهبهم والتنبيه على مدارج حيلهم والكشف عن بطلان شبههم.

ولأبي بكر بن العربي مع بعض زعمائهم مناظرات ذكرها في كتاب «القواصم والعواصم» وتناول الشيخ ابن تيمية مذهب الباطنية ورد على بعض

---

(١) ألفه باللسان الفارسي.

(٢) ألفه باللغة العربية وطبع في لندن.

فرقهم في بعض مؤلفاته عرفنا تاريخ الباطنية وقرأنا بعض كتب البابية والبهائية فوجدنا روح الباطنية حلت في جسم ميرزا علي وميرزا حسين علي فخرجت باسم البابية والبهائية.

الباطنية يستدلون بكلام النبوة ويحرفون كلم القرآن والحديث عن مواضعه كما فسروا حج البيت العتيق بزيارة شيوخهم والبابية أو البهائية يستدلون بالقرآن والحديث ويذهبون في تأويلها إلى مثل هذا الهذيان نفسه ولميرزا علي المسمى بـــ(الباب) تفسير لسورة يوسف مشى فيه على هذا النمط فقال في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف:٤] المراد من يوسف حسين بن علي والمراد بالشمس فاطمة وبالقمر محمد وبالنجوم أئمة الحق فهم الذين يبكون على يوسف سجدًا.

وهذا أحد دعاتهم المسمى أبا الفضل الجرفادقاني قد أورد في كتابه المسمى «الدرر البهية» قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس:٣٩] وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٥٣] وقال: (ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرية ومفاهيمها اللغوية بل المراد المعاني الخفية التي أطلق عليها الألفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه والكناية) ثم قال بعد هذا (قرر الله تنزيل تلك الآيات على ألسنة الأنبياء وبيان معانيها وكشف الستر عن مقاصدها إلى روح الله حينما ينزل من السماء) وقال: (إنما بعثوا عليهم السلام لسوق الخلق إلى النقطة المقصودة واكتفوا منهم بالإيمان الإجمالي حتى يبلغ الكتاب أجله وينتهي سير الأفئدة إلى رتبة البلوغ فيظهر روح الله الموعود ويكشف لهم الحقائق المكنونة في اليوم المشهود) وقال: (وفي نفس الكتب السماوية تصريحات بأن تأويل آياتها إلى معانيها الأصلية المقصودة لا تظهر إلا في اليوم الآخر يعني يوم القيامة ومجيء مظهر أمر الله وإشراق آفاق الأرض ببهاء وجه الله) ثم قال: (ولذلك جاءت تفاسير العلماء من لدن نزول التوراة إلى نزول

البيان[1] تافهة باردة عقيمة جامدة بل مضلة مبعدة محرفة مفسدة).

كنا نود أن نصرف القلم عن نفس مثل هذا السخف ولكن دعاة هذا المذهب قد استهووا فريقًا من أبناء المسلمين وأصبحوا يدعون إلى مذهبهم في النوادي ويتحدثون عنه في الصحف وألفوا كتبًا تقع في أيدي بعض الشباب فذلك ما اضطرنا إلى أن نبسط القول في بيان نحلتهم وسرد أقوالهم حتى يكون المسلمون على بينة من أمرهم.

نهج البابية البهائية مقتفين أثر إخوانهم الباطنية بهذا النوع من التأويل ليدخلوا منه إلى العبث في تفسير القرآن والحديث وصرفهما عن ما يراد بهما من حكمة وهداية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين ودلنا على أن الرسول الأعظم ﷺ يقوم ببيان ما خفي على الناس علمه فقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]. وما زال السلف من الصحابة والراسخين في العلم من بعدهم يفسرون القرآن بما يروونه عن الرسول عليه الصلاة والسلام وبما يفهمونه منه على مقتضى استعمال لغتهم وأساليب بلاغتهم فجاءوا بعلم كثير وأدب غزير وتركوها حكمًا رائعة وشريعة سمحة باهرة وقوانين اجتماع طاهرة حتى قام جماعة من أوشاب الناس يزعمون أن هذا القرآن الذي أنزله الله بلسان العرب لم يوكل بيانه إلى من كان يقرؤه على الناس بكرة وعشيًا ولم يفهم المراد منه أولئك الذين يتهجدون به في الأسحار سجدًا لله وبكيًا، وإنما وكل بيانه إلى أمثال ميرزا علي محمد وميرزا حسين وعباس وأبي الفضل الجرفادقاني ليخوضوا فيه بلغو من القول ويعثوا في تأويله مفسدين.

وقال أبو بكر بن العربي في كتاب (القواصم والعواصم) يرد على إخوانهم الباطنية قولهم: إن خليفة الله هو الذي يبلغ عنه (الخليفة هو النبي الذي بين ثم استأثر الله به ولا معصوم بعده).

وفي كتاب «فضائح الباطنية» بسطة في رد ما يدعونه من ظهور الإمام

---

(١) هو الكتاب الذي وضعه ميرزا علي محمد الملقب بالباب.

المعصوم وحصر مدارك الحق في أقواله وقد عرفت أن الإمام المعصوم الذي يدعيه الباطنية هو ما يسميه البابية والبهائية بـــ (من يظهره الله) ويزعمون أنه هو الذي يعرف تأويل ما جاء به الرسل عليهم السلام ويصرح هذا الإيراني في كتابه هذا بأن قصص القرآن غير واقعة وقال (لا يمكن للمؤرخ أن يستمد في معارفه التاريخية من آيات القرآن) وقال (إن الأنبياء عليهم السلام تساهلوا مع الأمم في معارفهم التاريخية وأقاصيصهم القومية ومبادئهم العلمية فتكلموا بما عندهم وستروا الحقائق تحت أستار الإشارات وسدلوا عليها ستائر بليغ الاستعارات) دعوى أن في القرآن قصصًا غير واقعية بزعم أنها رمز إلى معان خفية ليس من داع سوى ما يضمره أصحابها من الكيد للقرآن الكريم وإدخال الريب في أنه تنزيل من لدن حكيم عليم.

لم يقم حتى الآن دليل تاريخي أو نظري يطعن في صحة قصة ساقها القرآن الحكيم ونحن نستند في صحتها إلى الآيات الدالة على أن المبعوث به لا ينطق عن الهوى، فالمؤرخ المسلم ومعلم التاريخ لأبناء المسلمين يستمد في معارفه التاريخية من آيات الذكر الحكيم وهي عندنا أصدق قيلاً وأقوى سندًا مما يقصه المؤرخ من حوادث تقع في عصره أو قريبًا منه وهذه الثقة بالطبيعة لا تحصل لمن ينكر أو يرتاب في أن القرآن حجة الله على العالمين فلا نطالب المجوسي أو البهائي بأن يدخل في مؤلفاته التاريخية ما جاء في القرآن من أنباء الأولين وهم لم يطمئنوا إلى أن محمدًا ﷺ رسول صادق أمين.

يزعم هذا الإيراني أن الرسول ينطق ببعض المبادئ العلمية مجاراة لقومه وهي في الواقع غير صحيحة، وهذه جهالة غبي وجراءة غوي.

والرسول عليه الصلاة والسلام وإن لم يبعث لتقرير المسائل العلمية التي تدركها عقول البشر بسهولة أو بعد جهد كالطبيعيات والرياضيات لا يتحدث عن شيء منها حديث من يصدق بها إلا أن تكون صوابا. ودعوى أن لها رموزًا إنما اخترعها الإيراني وأمثاله ليستروا بها وجه جحودهم والبرقع الشفاف لا يحجب ما وراءه.

ولم يكن تأويل البهائية وأسلافهم الباطنية لنصوص الشريعة على هذا الوجه الناقض لأصولها بشيء ابتدعوه من أنفسهم ابتداعًا وإنما هو صنع عملوا فيه على

شاكلة طائفة من فلسفة اليهود من قبل. فإنا نقرأ في ترجمة «فيلون» الفيلسوف اليهودي المولود ما بين عشرين وثلاثين قبل ميلاد المسيح أنه ألف كتابًا في تأويل التوراة ذاهبًا إلى أن كثير مما فيها رموز إلى أشياء غير ظاهرة . ويقول الكاتبون في تاريخ الفلسفة إن هذا التأويل الرمزي كان موجودًا معروفًا عند أدباء اليهود بالإسكندرية قبل زمن (فيلون) ويذكرون أمثلة تأويلهم: أنهم فسروا آدم بالعقل والجنة برياسة النفس وإبراهيم بالفضيلة الناتجة من العلم وإسحاق عندهم هو الفضيلة الغريزية ويعقوب هو الفضيلة الحاصلة من التمرين إلا الجاحدون المراءون ولا يقبله منهم إلا قوم هم عن مواقع الحكمة ودلائل الحق غافلون.

وأبو الفضل هذا من أبعد دعاة البهائية في الهذيان شأوا وأشدهم لعلماء الإسلام ضغينة وإذا أخذ في شتمهم لا يشفي غليله إلا أن يصب كل الجمل التي يعرفها في المعنى الذي أراد شتمهم به انظروا إلى قوله في صفحة (١٤٧) من ذلك الكتاب المسمى بالدرر البهية (فتمادوا في غيهم وأصروا على باطلهم وناهوا في ضلالتهم ومردوا في جهالاتهم وعموا في سكرتهم وانهمكوا في غوايتهم) فالرجل حفظ جملا التقطها من بعض الصحف السائرة أو من الكتب الغابرة وصار يلقيها فيما يكتب من غير وزن حاسبًا أن هذا الصنيع من تزويق القول ينقل الناس من الجد إلى الهزل ومن الحق إلى الضلال.

في الباطنية من يدعي أنه نبي أو يعتقد في آخر أنه نبي يوحى إليه وميرزا علي الملقب (بالباب) يدعي أنه رسول من الله ووضع كتابًا ادعى أن ما فيه شريعة منزلة وسماه «البيان» وقال في رسالة بعث بها إلى الشيخ الألوسي صاحب التفسير المشهور المسمى (روح المعاني) يدعوه فيها إلى مذهبه (إنني أنا عبد الله قد بعثني الله بالهدى من عنده) وسمى في هذه الرسالة مذهبه دين الله فقال (ومن لم يدخل في دين الله مثله كمثل الذين لم يدخلوا في الإسلام).

وكذلك يدعي زعيمهم المسمى (بهاء الله) ففي كتاب بهاء الله والعصر الجديد (وقرر بهاء الله أن رسالته هي لتأسيس السلام على الأرض).

وقال صاحب هذا الكتاب يتحدث عن الباب والبهاء (ومن المستحيل إيجاد أي تعبير لعظمهما إلا بالاعتراف بأنهما إنما عملا بوحي من الله).

يدعي الباب الرسالة ويزعم أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية فابتدع لأتباعه أحكامًا خالف بها أحكام الإسلام وقواعده فجعل الصوم تسعة عشر يومًا من شروق الشمس إلى غروبها وعين لهذه الأيام وقت الاعتدال الربيعي بحيث يكون عيد الفطر عندهم هو يوم النيروز على الدوام.

وفي كتابه البيان (أيام معدودات وقد جعلنا النيروز عيدًا لكم بعد إكمالها) وجعل ميرزا حسين الملقب ببهاء الله الصلاة تسع ركعات في اليوم والليلة.

وقبلة البهائيين في صلاتهم التوجه أين يكون ميرزا حسين المسمى بهاء الله فإنه يقول لهم «إذا أردتم الصلاة فولوا وجوهكم شطري الأقدس» وقال ابنه عباس «يلزمنا التوجه إلى مركز معلوم وهو مظهر الله» ومظهر الله في زعمهم هو هذا المسمى بهاء الله.

أما الحج فقد أبطله البهاء وأوصى بهدم بيت الله الحرام عن ظهور رجل مقتدر من أشياعه.

ومن الباطنية من منع العوام من مدارسة العلوم والخاص من النظر في الكتب المتقدمة حتى يبقوا في عماية وهو الحسن بن محمد الصباح ونجد ميرزا علي المسمى بالباب قد حرم في كتابه «البيان» التعلم وقراءة كتب غير كتبه فكان كل من يؤمن بالباب يحرق القرآن الكريم وما وقع في يده من كتب العلم ولكن الميرزا حسين المسمى بهاء الله أدرك ما في هذا التحجير من خطأ مكشوف وأنه مما يصرف عنهم ذوي العقول النابهة فأتى في كتابه الذي سماه «الأقدس» بما ينسخه فقال «قد عفا الله عنكم ما نزل في البيان من محو الكتب وأذناكم بأن تقرءوا من العلوم ما ينفعكم».

وفي الباطنية من يدعي حلول الإله في بعض الأشخاص كما قال القرامطة بإلهية محمد بن إسماعيل بن جعفر، وهذه الدعوى -أعني دعوى الحلول تظهر في بعض مقالات البهائية.

قال عباس الملقب: (عبد البهاء) «وقد أخبرنا بهاء الله بأن مجيء رب الجنود والأب الأزلي ومخلص العالم الذي لابد منه في آخر الزمان كما أنذر جميع الأنبياء عبارة عن تجليه في الهيكل البشري كما تجلى في هيكل عيسى الناصري إلا أن

تجليه في هذه المرة أتم وأكمل وأبهى فعيسى وغيره من الأنبياء هيأوا الأفئدة والقلوب لاستعداد هذا التجلي الأعظم».

يريد بهذا أن الله تجلى فيه بأعظم من تجليه في أجسام الأنبياء على ما يزعم وقال مهذارهم أبو الفضل الإيراني «فكل ما توصف به ذات الله ويضاعف ويستند إلى الله من العزة والعظمة والقدرة والعلم والحكمة والإرادة والمشيئة وغيرها من الأوصاف والنعوت إنما يرجع بالحقيقة إلى مظاهر أمره ومطالع نوره ومهابط وحيه ومواقع ظهوره».

ويظهر هذا من اللوح الذي كتبه المسمى (بهاء الله) في التنويه بشأن ابنه عباس فإنه قال «إن لسان القدم[1] يبشر أهل العالم بظهور الاسم الأعظم[2] الذي أخذ عهده بين الأمم أنه نفسي ومطلع ذاتي ومشرق أمري من توجه إليه فقد توجه إلى وجهي واستضاء من أنوار جمالي واعترف بوحدانيتي وأقر بفردانيتي .. إلخ».

وقلد البهائية الفلاسفة فيما يدعونه من قدم العالم ففي كتاب بهاء الله والعصر الجديد «علم بهاء الله أن الكون بلا مبدأ زمني فهو صادر أبدي من العلة الأولى وكان الخلق دائمًا مع خالقه وهو دائمًا معهم وقد تصدى أهل العلم الراسخ لتزييف ما تعلق به هؤلاء في الاستدلال على هذا الرأي وحققوا أن المعلول لابد أن يتأخر عن العلة في الوجود إذ معنى العلة ما أفاض على الشيء الوجود والمعلول ما قبل منه هذا الوجود ولا معنى لإفاضة الوجود على الممكن إلا إخراجه إلى الوجود بعد أن كان في عدم وذلك معنى الحدوث».

ومن عجيب أمر هذه الطائفة أنهم يدعون النبوة والرسالة وما فوق الرسالة وينكرون المعجزات بدعوى أنها غير معقولة تجدون هذا الإنكار في كتاب داعيتهم المسمى أبا الفضل فقد ذكر انفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر لموسى عليه السلام وإبراء عيسى عليه السلام للأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله ونبع الماء من بين أصابع محمد ﷺ وقال: وكثير من أهل الفضل وفرسان

---

(١) يفسره البهائية ببهاء الله.

(٢) يفسرونه بعباس عبد البهاء.

مضمار العلم اعتقدوا بأن جميع ما ورد في الكتب والأخبار من هذا القبيل كلها استعارات عن الأمور المعقولة والحقائق الممكنة مما يجوزه العقل المستقيم ثم أخذ يؤول ما ورد في تلك المعجزات من قرآن وحديث ويحمله على معان لا يقبلها منه إلا من فقد عقله قبل أن يفقد إيمانه وإنكارهم للمعجزات ينبئكم أن القوم يمشون مكبين على وجوههم وراء الفلسفة التي لا تؤمن بأن لهذا العالم خالقًا فعالاً لما يريد.

وملخص القول في البابية والبهائية أنه: مذهب مصنوع من ديانات ونحل وآراء فلسفية قال صاحب كتاب (مفتاح باب الأبواب) يصف البابيين «لهم دين خاص مزيج من أخلاط الديانات البوذية[١]، والبرهمية الوثنية[٢] والزرادشتية[٣]، واليهودية والمسيحية والإسلامية ومن اعتقادات الصوفية والباطنية».

ومازالت البهائية مذهبًا قائمًا على أطلال الباطنية يحمل في سريرته القصد إلى هدم الإسلام بمعول التأويل ودعوى الرسالة والوحي بشريعة ناسخة لأحكامه حتى جاء عباس عبد البهاء إلى هذا المذهب المصنوع وأراد أن يكسوه ثوبًا جديدًا فخلطه بآراء التقطها مما يتحدث به بعض الناس على أنها من مقتضيات المدنية أو مما كشفه العلم حديثًا نحو التساوي بين الرجال والنساء في التعليم ونزع السلاح واتفاق الأمم على لغة واحدة تدرس في العالم كله وتأسيس محكمة عمومية تحل مشاكل الأمم وإن الإنسان تدرج بالارتقاء من أبسط الأنواع حتى وصل شكله الحالي (نظرية دروين) ولهجوا بعد هذا بكلمة نشر السلام العام ونبذ التعصبات الدينية.

وقد تخيل عباس أنه بإدخال مثل هذه الآراء في مذهب البهائية يستدرج المولعين بالجديد من النابتة الحديثة ولهذا الطمع ترونه يقول: تحتوي تعاليم بهاء الله على جميع آمال ورغائب فرق العالم سواء كانت دينية أو سياسية أو أخلاقية

(١) دين الصينيين واليابانيين.

(٢) أصل ديانة الهنود.

(٣) ديانة قديمة تنسب إلى إبراهيم زرادشت الإيراني ولا يزال لأتباعها طائفة بالبلاد الهندية وأخرى بالبلاد الإيرانية.

وسواء كانت من الفرق القديمة أو الفرق الحديثة فالجميع يجدون فيها دينًا عموميًا في غاية الموافقة للعصر الحاضر(١) وأعظم سياسة للعالم الإنساني وصرح في مقال آخر بأنه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ويجمعهم على أصول نواميس موسى عليه السلام الذين يؤمنون به جميعًا(٢).

ولا أحسب عبد البهاء عباسًا يقصد من هذا الحديث إلا التزلف لليهود والتظاهر بموالاتهم ليجعلهم من أشياعه وإلا فكيف يقع في خاطر من عرف القرآن أن يعمل على صرف الناس عن شريعة الإسلام ويرجع بهم إلى شفا حفرة من النار بعد أن أنقذهم الله منها.

يذكر الشيخ ابن تيمية أن الباطنية: «هم دائمًا مع كل عدو للمسلمين» وقال: «إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك الإسلام إلا بمعاونتهم» وكذا نجد في البابية تحيزًا إلى أعداء المسلمين واضحًا وبخاصة اليهود!! فالبهائية شأنهم شأن الباطنية في بغض الإسلام وموالاة خصومه ولنا الأمل الوثيق في أن العرب وسائر المسلمين من ورائهم سيقفون في وجه الاستعمار الصهيوني والدعاية البهائية التي تظاهرها وتسندها حتى تبقى فلسطين وطنًا عربيًا إسلاميًا على الرغم من عبد البهاء والبهائيين.

قول البهائيين في البعث وما بعده

لا يؤمن البهائيون بالبعث ولا الجنة والنار ويفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة بمجيء ميرزا حسين الملقب ببهاء الله قال في كتاب بهاء الله والعصر الجديد: «وطبقًا للتفاسير البهائية يكون مجيء كل مظهر إلهي عبارة عن يوم الجزاء إلا أن مجيء المظهر الأعظم بهاء الله هو يوم الجزاء الأعظم للدورة الدنيوية التي نعيش فيها»، وقال: «ليس يوم القيامة أحد الأيام العادية بل هو يوم يبتدئ بظهور المظهر ويبقى ببقاء الدورة العالمية».

هذا ما يفسرون به يوم الجزاء ويوم القيامة ويفسرون الجنة بالحياة الروحانية

---

(١) كتاب عبد البهاء والبهائية ص٨٧ .

(٢) كتاب عبد البهاء والبهائية ص٩٣ .

والنار بالموت الروحاني قال في هذا الكتاب: «إن الجنة والنار في الكتب المقدسة حقائق مرموزة فعندهما (أي البهاء وابنه عباس) الجنة هي حالة الكمال والنار النقص فالجنة هي الحياة الروحانية والنار هي الموت الروحاني.»

هذا ما يقوله البهائية وكذلك ينقل لنا أبو حامد الغزالي أن الباطنية يقولون: «كل ما ورد من الظواهر في التكاليف والحشر والأمور الإلهية فكلها أمثلة ورموز إلى بواطن» وساق بعد هذا أمثلة من تأويلهم الفاسق عن قانون اللغة والعقل وقال: «هذا من هذيانهم في التأويلات حكيناها ليضحك منها. ونعوذ بالله من صرعة العاقل وكبوة الجاهل».

وقد قلدوا في إنكار البعث طائفة الدهريين وأخذتهم شبههم التي لا تستطيع أن تنهض أمام أدلة القرآن الحكيم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧- ٧٩].

موقف البهائيين من نبوة سيدنا محمد ﷺ:

مخالفة البهائيين لما جاء به رسول الله ﷺ من معتقدات وأحكام وتهجمهم على تأويل القرآن والحديث بمثل ما نقلنا عن زعمائهم شاهد على أن قلوبهم جاحدة لرسالته وإذا تحدثوا عنه في بعض كتبهم متظاهرين بتصديق نبوته فما هم إلا كسائر الأفراد أو الطوائف الذين يعملون لهدم الإسلام تحت ستار. ومن خيال زعيمهم الأول دعواه في تفسيره لسورة يوسف أنه أفضل من رسول الله ﷺ وعلل هذا الكلام بما لا يفهمه إلا من يفهم لغة المبرسمين إذ قال: «لأن مقام الباب» هو النقطة ومقام النبي ﷺ مقام الألف وقال: كما أن محمدًا أفضل من عيسى فكتابه «البيان» أفضل من القرآن وقال: «إن أمر الله في حقي أعجب من أمر محمد رسول الله من قبل لو أنتم فيه تتفكرون».

ولسنا في حاجة إلى الرد عليه في دعوى أنه أفضل من رسول الله ﷺ ولا في دعوى أن كتابه البيان أفضل من القرآن فعامة المسلمين كخاصتهم يعلمون أن هذه الدعوى من صنف الدعاوى التي تنادي على نفسها بالزور والهذيان وأولو

العقول من غير المسلمين يعرفون عظمة محمد بن عبد الله ﷺ وما بثه في العالم من إصلاح فمن يدعي أنه مثل محمد أو أنه أتى بكتاب يحاكي القرآن كان في حاجة إلى علاج يعيد عليه شيئًا من رشده ويجعله على بصيرة من نفسه.

البهائيون لا يعترفون بنبوة سيدنا محمد ﷺ ولهذا سهل على زعمائهم أن يدعوا النبوة من بعده قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠] ومعنى الآية الذي لا يذهب الفهم إلى خلافه أن النبي الذي انقطع به وصف النبوة فلا يتحقق في أحد من الخليقة بعده.

وورد هذا مبينًا في صريح السنة الصحيحة ففي صحيح الإمام البخاري وصحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارًا بناء فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**».

وقد انعقد إجماع المسلمين على هذا جيلاً بعد جيل وأصبح معلومًا من الدين بالضرورة فمن أنكره وادعى لنفسه أو لغيره النبوة بعد رسول الله فقد انسلخ من الإسلام وكان من الغاوين وإذا شهد لسانه بنبوة محمد ﷺ فهو من أولئك الذي يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فالبابيون لا يدخلون في المعترفين بنبوة رسول الله ﷺ في حال.

وقد ذكرهم العلامة الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فقال: «وقد ظهر في هذا العصر عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبابية لهم في هذا فصول يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم في سلك ذوي العقول وقد كاد عرفهم يتمكن في العراق لولا همة وإليه النجيب الذي وقع على همته وديانته الاتفاق حيث خذلهم. نصره الله تعالى وشتت شملهم وغضب عليهم ﷺ وأفسد عملهم فجزاه الله تعالى عن الإسلام خيرًا ودفع عنه في الدارين ضيمًا وضيرًا» .

أساليب الوقاية

لو كان التعليم الديني في الشعوب الإسلامية إلزاميًا ومقرًا في جميع مدارسهم لم يجد أشباه الباطنية إلى إزاغة قلب الفتى المسلم طريقًا وترك كثير من أبنائنا لا يعرفون من الإسلام إلا أسماء أو لا يلقنون إلا مبادئ مقطوعة عن حججها العقلية أو النقلية قد يسر لأمثال البهائية أن ينصبوا حبائلهم بين المسلمين ويصطادوا من النفوس الجاهلة قليلاً أو كثيرًا.

ولا ننسى أن الذي ساعد البهائية على أن تستهوي فريقًا من المسلمين تظاهرها بأنها فرقة إسلامية واحتجاجها بالقرآن والحديث وكتمها بعض معتقداتها المنكرة على البداهة وعدم انتشار كتبها فكثير من أهل العلم لم تصل إليهم كتب هذه الطائفة حتى يستنيروا منها حقيقة نحلتهم ويحذروا الناس من الوقوع في شراكهم.

أما اليوم فقد أخذهم الغرور وصاروا يذيعون شيئًا من أسرار نحلتهم على المنابر وعلى صفحات الجرائد ويتحدثون عنها في مؤلفات تطبع وتعرض على الناس في المكاتب فهي بما تعمله من مقالات ملفقة ودعاوى غير معقولة قد بحثت عن حتفها بظلفها فلا نخشى على من له نباهة أو فطرة سليمة أن يعتقد بنبوة (ميرزا حسين أو عباس عبد البهاء) ولا نخشى على من وصل إلى نفسه أثر من هداية الإسلام أن يتبدل بها مزاعم أبي الفضل الإيراني وإذا جاز أن يكون في طبقة العامة أو أشباههم من لا يتنبه لما في البهائية من كيد للإسلام وإغواء عن شريعته الغراء فإن العلماء والوعاظ أينما كانوا سيكشفون للناس عن بطانة هذا المذهب ليحترسوا من دعاته ويحذروا أن يمسهم شيء من نزعاته.

وقد علم طائفة من دعاة الإباحية والخروج على الدين ما ينطوي عليه هذا المذهب من مناوأة للدين الحق فقاموا يظاهرونه في النوادي والصحف ويزينونه في أعين الناس ظنًا منهم أن علماء الإسلام مازالوا عن سريرة هذا المذهب غافلين.

كلمة لجنة الفتوى بالأزهر
البهائيون
(مرتدون وخارجون عن دين الإسلام)

جاء إلى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف الاستفتاء الآتي:

١- ما رأيكم في النحلة البهائية ومعتنقيها من الإسلام؟

٢- هل يورث معتنق البهائية من المسلم؟

علي محمد الوقاد ١٢٩ شارع السد البراني - قسم السيدة زينب

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وعلى البيان المرافق الذي شرح به المستفتي مبادئ المذهب البهائي. ونفيد بأن مذهب البهائية مذهب باطل ليس من الإسلام في شيء بل إنه ليس من اليهودية ولا النصرانية ومن يعتنقه من المسلمين يكن مرتدًا خارجًا عن دين الإسلام.

فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام ويأباها كل الإباء منها: ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب والكفر هو مخالفته وأن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان إلى غير ذلك.

ومن المقرر شرعًا أن المرتد لا يرث المسلم ولا غيره. وعلى ذلك فمعتنق مذهب البهائية لا يرث غيره مطلقًا. وبهذا علم الجواب عن السؤال. والله أعلم.

البابية والبهائية في الميزان
للأستاذ مصطفى محمد الحديدي البطير

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد ففي سنة ١٩٦٣ كنت عميدًا لمعهد دمياط الأزهري فزارني الأخ الكريم اللواء م.ح مدير الأمن وقتئذ بمحافظة دمياط وأخبرني أن الحكومة أغلقت محفل طائفة البهائية وصادرت أموالها ووزعتها على جهات البر

ومرافق الخير بدلاً من إنفاق هذه الطائفة الباغية لهذه الأموال على الشر وهدم العقائد ومحاربة الدين وقدم لي خمسين جنيهًا من هذه الأموال استطاع الحصول عليها لصالح طلاب المدرسة القرآنية التابعة لمعهد دمياط فشكرته وكسونا بعض فقراء الطلاب من هذه الهدية وتفضل السيد مدير الأمن فقدم هذه الثياب إلى ذويها من الطلاب في حفلة أعدت لهذا الغرض.

وكان المظنون أن هذه الطائفة انكمشت وراجعت نفسها وثابت إلى رشدها ولكنها مع الأسف ظلت تعمل في خفاء وتتخذ من أساليب الإغراء والتخفي ما وصلت به إلى إضلال طائفة من أبناء هذا الوطن وبناته من كل دين حتى استعلن أمرها ووضعت يد العدالة يدها على دعاتها وعرفت الأغرار الذين تأثروا بهؤلاء الدعاة.

مهما كان الجزاء الذي سيلقاه هؤلاء فإنهم لن ينفكوا عن العبث بالعقائد والأديان بزخارف قد تستهوي الأغرار ومنها أن هذه النحلة تساير الأديان ولا تهدمها وأنهم استطاعوا أن يؤولوا الأديان التأويل الذي لم يستطعه أصحابها يقولون ظلمًا وزورا وما هم إلا جاهلون مزورون.

وقد رأينا أن نقدم عجالة للشباب المثقف نطلعه فيها على حقيقة هذه النحلة وأن رأس هذه النحلة كان من الباطنية وأنه زاول السحر وصناعة الطلاسم والتنجيم وأنه زاول الرياضة تحت أشعة الشمس المحرقة في إيران حتى أفسدت عقله وأنه كذب نفسه عدة مرات أمام علماء الإسلام وأنه ادعى النبوة دون معجزات ومهد لدعوته بإنكار معجزات الأنبياء وأن مدخله إلى قلوب الناس عن طريق اعترافه بالأديان السابقة ولا يلبث بعض الوقت حتى يمرق إلى هدم تلك الأديان بعد أن يكون قد وثق من امتلاك قلوب ضحاياه.

وسيرى القارئ العجب العجاب في نشأة مؤسس هذه الدعوة مما يقطع بكذبه وزوره وستشعر -وأنت تقرؤها- بكثير من الأسى على من خدع بأضاليله وسنعيش بعض الوقت في راحة نفسية لكشف الزور والبهتان في هذه العجالة وذلك ريثما أكتب رسالة إضافية في هدم أفكار هذا الشيطان وما الله بغافل عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار.

البابية والبهائية في الميزان

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

البابية: نحلة باطنية باطلة استحدثها رجل من الشيعة اسمه (علي محمد الشيرازي) لقب نفسه بباب الحق فنسبت إليه باعتبار هذا اللقب ثم ترك هذا اللقب وأطلق على نفسه (النقطة) ثم زاد غلوا في الكفر فأطلق على نفسه (خالق الحق) وزعم أنه (مشخص) لله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا وسيأتي بسط الحديث عن نحلة هذا الرجل وما يرمي إليه ومنشأ خيالاته ومزاعمه.

أما البهائية: فهي نحلة البابية مع زيادات أو نقص عما جاء به الباب وقد ابتدعها خليفته (حسين علي نوري) الذي لقب نفسه (بالبهاء) ونسبت إليه باعتبار هذا اللقب وقد يضاف إلى اسميهما كلمة (ميرزا) الفارسية ومعناها (السيد).

(نشأة الباب والبابية)

ولد علي محمد الشيرازي (الباب) بمدينة شيراز الفارسية أول المحرم سنة ١٢٢٥هـــ (٢/١٠/١٨١٩م) وتقول مصادر أخرى أنه ولد يوم (٩/١٠/١٨٢٠) ومات أبوه الميرزا رضي البزاز وهو وضيع فكفله خاله الميرزا سيد علي التاجر ولما ترعرع تعلم العربية والفارسية وكان حسن الخط سريع الكتابة إلى درجة فائقة ولما بلغ ضمه خاله إلى متجره فعاونه وأحسن فن التجارة ثم سافر معه إلى (بوشهر) الفارسية واشتغل فيها بالتجارة إلى سن العشرين وكان مع هذا مشتغلاً بالعبادة وتسخير الروحانيات ومراقبة الكواكب وعمل الطلاسم وكان يقضي النهار فوق سطح المنزل تحت أشعة الشمس المحرقة منهمكًا في الأذكار وعمل الطلاسم فاعتراه بسبب ذلك ذهول وحل به ضعف مستمر فأشخصه خاله إلى كربلاء خوفًا عليه ليشتفي بزيارة مشاهد آل البيت هناك وتغيير المناخ وهناك بدأ تحوله عما كان عليه فقد التقى هناك بكاظم الرشتي الجيلاني الذي جمع بين التصوف والفلسفة والشريعة ومزج بينها وجمع اعتقادات الشيعة الإمامية

والإسماعيلية والأصول الفلسفية على نحو جديد -وعقائد هؤلاء لا يقرها الإسلام كما سيأتي بيانه- وكان مما سمعه منه أن المهدي المنتظر ظهوره عند الشيعة هو الآن من سكان عالم روحاني فلازم الباب هذا الرجل وتأثر بكلامه وبنى عليه أحلامه وخيالاته ثم انقطع عنه فجأة ولازم الرياضة بمسجد الإمام (علي) مدة ثم ظهر فجأة بمشروع جديد هو حاصل تلك (الشطحات) السطوحية في (بوشهر) والشطحات الروحانية الطلسمية والكلام الفارغ الكاذب الذي سمعه من هذا الرشتي والرياضة في مسجد الإمام علي ﷺ إذ قال إنه (باب المهدي) المنتظر وأنه المراد من الأثر المشهور (أنا مدينة العلم وعلي بابها) وادعى أنه أرسلته العناية الإلهية لإصلاح ما أفسده علماء الدين الإسلامي بسوء فهمهم واستطاع بذكائه وسعة حيلته وطلاوة عباراته ورخامة صوته أن يستغل بعض الدهماء وضعفاء المثقفين وأن يجعلهم يصدقونه في دعواه أنه (باب المهدي) ولما لم يجد وقتئذ معارضة جادة من العلماء مضى إلى المرحلة الثانية من أحلامه وهي النبوة فزعم أن الوصول إلى الله لا يكون إلا من باب النبوة وأنه نبي وهو الباب الموصل إليه تعالى.

فآمن به من آمنوا من قبل بأنه المهدي واعتبروا هذه رتبة جديدة منحها الله له وأطلقوا عليه الباب بسبب هذا الزعم الذي قاله لهم وسموا أنفسهم البابيين.

ومع أنه كان يلازم الرشتي من قبل وأن عقيدة الرشتي مهتزة كما قلنا فإنه لما رآه جاوز أقصى حدود العته والخبال بادعائه النبوة حكم بكفره كما فعل العلماء وقتئذ ومع هذا فقد مضى ذلك الغوي المبين في خباله وادعى أن الله كلفه بتبليغ دين البابية وأنه سبحانه نسخ به شريعة الإسلام كما نسخ الإسلام الشريعة المسيحية.

وقد ألف هذا الدين مزيجًا من الإسلام والنصرانية واليهودية والبوذية والبرهمية والزرادشتية والوثنية والفلسفية؛ فقد كلف الرجل بدراسة هذه المعتقدات في خلواته ورياضاته فانفعل بها وتأثر بما جاء فيها ودفعه جنون الزعامة والغرور أن يرقى هذا المرتقى الذي ليس أهلاً له وأن يزعم لأفكاره سموا فوق الأديان ولنفسه نبوة ليس له فيها مكان فقد عري عن المؤهلات وانتهى بالإسلام

عهد النبوات.

ولما منح نفسه شرف النبوة التي لا تعرفه بل تلعنه لقب نفسه (بباب الدين) بعد أن كان لقبه (باب المهدي) ثم ترك هذا اللقب إلى لقب آخر هو (النقطة) وهي في نظره أرفع درجة من النبوة ثم تجاوزت مزاعمه محيط الخلق وجرى لاهثًا نحو الخالق جل وعلا فسمى نفسه (خالق الحق) وادعى أنه (مشخص) للمولى، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وبعد أن طار خياله إلى هذا الأفق تخبط ورجع القهقرى عائدًا إلى مزاعم الرشتي في المهدي فبعد أن دخل ساحة هذه المزاعم عند البداية بدعوى أنه باب المهدي ثم وصل إلى نهايتها بدعوى أنه خالق الحق عاد يقول: إنه المهدي نفسه وأن ذلك الجسم اللطيف الذي زعمه الرشتي للمهدي ظهر في جسمه هو، وتشخص فيه وأفسح بذلك المجال لتابعيه ليدعي بعضهم أن هذا المفترى هو الحسن بن علي رضي الله عنهما وبعضهم أنه الحسين وبعضهم أنه غيره من آل البيت.

وتلك المزاعم من بقايا عقائد الباطنية الذين تسلطوا في فارس مدة طويلة فقد كانوا يقولون برجوع بعض آل البيت وتقمصهم أجسام غيرهم فالرجعة عندهم من الأصول الثابتة في مذهبهم ومن فرقهم الإمامية والإسماعيلية والنصيرية.

ولهذا كان هذا المفتري (الباب) يقول: إن الإنسان إذا وجدت فيه صفات شخص وأخلاقه وأحواله على وجه تام فهو هو بعينه في أي زمان كان.

ولقرب هذه الاعتقادات من مذهب طائفة (الشيخية) من الشيعة أتباع الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي لبى دعوة الباب كثير من أهالي بلاد فارس الذين يدينون بهذا المذهب الجديد أعني مذهب (الشيخية).

وأول من أجاب دعوة هذا المزور وآمن به على هذا النحو الجديد رجل من شرويه (إقليم خراسان) يدعى الملا حسين فمنحه لقب (باب الباب) ولما بلغ تابعوه ثمانية عشر أطلق عليهم لفظ (حي) لأن مجموعها بحساب الجمل ثمانية عشر وزعم أن وحدة اللاهوت مؤلفة من تسعة عشر أقنومًا هي (الباب) رئيسهم وهؤلاء الثمانية عشر وحساب الجمل له عنده أهمية كبرى كما هو شأن السحرة

وأهل الطلاسم ثم أرسل هؤلاء الثمانية عشر دعاة لمذهبه ونحلته في بلاد الفرس.

(تخبط الباب)

لم يثبت الباب على شيء من مزاعمه فهو يغير ويبدل في وظائفه وعمله في كون الله كلما خطر بباله فكرة جديدة ولا يهمه تناقضه مع نفسه شأن كل مزور مستعينًا على ترويج أفكاره بحلاوة حديثه وما غرسه في نفوس من اغتروا به من قدسيته.

لم يكن هذا المفتري يرجع إلى فكرة المهدية، بالصورة التي حدثناك عنها حتى عدل إلى فكرة غريبة إذ ادعى أنه محمد رسول الله وأن الله أنزل عليه كتابًا اسمه البيان بدل القرآن وأن القرآن قد أشار إليه وإلى بيانه بقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن:١- ٤] فالإنسان هو محمد الذي تقمصه (الباب) -حاشاه- والبيان هو الكتاب الذي ادعى أنه أنزل عليه.

(لحن «وتخريف» واضطراب)

وهذا (البيان) الذي افتراه على الله مزيج من الكلام العربي الملحون والكلام الفارسي فلما سئل كيف يكون نازلاً من عند الله وفيه مثل هذه الأخطاء وهذا اللحن أجاب بهذا التخريف الآتي: (إن الحروف والكلمات كانت قد عصت واقترفت خطيئة في الزمن الأول فعوقبت على خطيئتها بأن قيدت بسلاسل الإعراب وبما أن بعثتنا جاءت رحمة للعالمين فقد حصل العفو عن جميع المذنبين والمخطئين حتى الحروف والكلمات فأطلقت من قيدها تذهب حيث شاءت من وجوه اللحن والغلط) هكذا قال فض الله فاه.

فهل سمعتم أيها البهائيون تخريف (نبيكم)، وهل هذا الكلام يعجبكم ويطمئنكم على أنه عاقل فضلاً عن أن يكون رسولاً نبيًا أم أنه سحركم فأصبحتم لا تدرون الهذيان ولا تفرقون بينه وبين الحكمة وفصل الخطاب؟!

هذا الكذاب المخرف لا يثبت على رأي لأنه مبتدع يقول ما حلا له فأنت تراه بعد أن ادعى تقمصه لشخصية النبي ﷺ تسلل إلى إفك آخر فزعم أنه أفضل من محمد وبيانه أفضل من القرآن وأن البشر لا يستطيعون الإتيان بمثله ثم تخبط فادعى أنه المراد من الذكر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ

لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] وهكذا نراه رجلاً متقلبًا مضطربًا لا يثبت على حال فهل سمعتم أو قرأتم أيها البابيون البهائيون صفات الباب المزور الدجال قبل أن تؤمنوا به؟!

(خال الباب كفر به)

حدث للباب حادثة تسبب عنها كفر خاله به وخلاصتها: أنه أراد التوجه إلى مكة ليحج وينشر دعوته من البيت الحرام لأنه قرأ أن المهدي تظهر دعوته من بين الركن والمقام فركب سفينة مع جماعة من تابعيه فأغرق الله السفينة فنجا هو وبعض تابعيه فآوى بهم إلى مدينة (بوشهر) حيث يوجد خاله فقابلهم بالصد والجفاء لما علم بحادثة الغرق وقال في نفسه لو كان هو المهدي الذي ينشر دعوته من مكة لما غرق واحتقرهم وطردهم من منزله وكفر بالباب وديانته ولكنه لصفاقته وغروره صمم على مدعاه واستأجر دارًا أمام خاله ونزل بها مع رجاله وبعث دعاته إلى شيراز وأصفهان.

(العلماء يشكونه إلى والي شيراز)

لما وصل دعاته إلى شيراز وكان كبير فقهائها ومتصوفيها الشيخ أبو تراب -فسلموه رسالة من الباب يدعوه فيها إلى الإيمان به فثار الشيخ وجمع العلماء فأجمعوا على مكاشفة الوالي بخطورة هذا المفتري وكان الوالي شديد الصرامة ومن الساسة البارعين فلما أخبروه بخبر الباب ودعاته أرسل يستدعي أولئك الدعاة.

فلما سألهم عن أمرهم صارحوه بما جاءوا من أجله في محفل غاص بالعلماء ودعوه إلى الإيمان بالباب دون خوف ولا تردد فثار العلماء وأفتوا بقتلهم لأنهم مرتدون فأمر بقطع العصب الكبرى من كعوبهم وألقاهم في السجن وأخبر حكومة طهران بما كان وأرسل في طلب الباب من (بوشهر) فجيء به مخفورًا إلى شيراز فأنزله بدار أبيه التي ولد فيها وتركه أيامًا حتى يهدأ روعه.

وفي ليلة طلب الوالي الباب دون أن يعلم أحد فلما دخل عليه ألان له الكلام وبالغ في إكرامه وجثا أمامه على ركبتيه وأبدى أسفه على ما حصل منه في حق دعاته ثم تباكى وسكب العبرات فدخلت حيلته على الباب وما كان الوالي

فيما فعل سوى ممثل بارع يظهر الندم وينوي الانتقام.

فسأله عن سبب هذا الندم بعد أن فعل ما فعله بدعاته فأخبره أنه كان يفكر في التمثيل به كما فعل بدعاته ولكنه رأى في منامه أنه يقول له: (يا حسين إني أرى نور الإيمان يلوح في وجهك) وكان اسم الوالي (حسينًا) ثم مضى في تمثيل الرواية فقال: (فاستيقظت من نومي وفي قلبي حلاوة الإيمان بك) ثم قال في آخر تمثيليته: (وهأنذا بين يديك فإن تعف فبفضلك وإن تقتص فبعدلك) فقال له الباب: (طوبى لك ثم طوبى لك ولقد رأيتني في اليقظة لا في المنام وأنا الذي كنت أخاطبك بنفسي) ثم جعل يمدحه ويثني على إيمانه وقال له: (إني أعدك وعدًا واقعًا أن أجعلك سلطان الروم يعني سلطان الدولة العثمانية) بعد (امتلاكي الدنيا بحذافيرها وإخضاعي الملوك) كذا قال ثم قال له الوالي كلامًا كثيرًا اطمأن به وأعد له دارًا فسيحة مفروشة بالأطالس والطنافس وأنزله فيها مع أصحابه بالتجلة والإعظام وتوسل إليه أن يكف دعاته خوفًا من ثورة الفقهاء وأهل شيراز حتى يتمكن من جمع الأتباع الكثيرين وإظهار أمره بقوة السلاح فاستحسن الباب ذلك.

(الوالي ومجلس العلماء والوجهاء)

ثم عقد الوالي مجلسًا من العلماء والوجهاء وأعلمهم بما كان منه مع الباب وطلب من العلماء امتحانه والحكم له أو عليه ثم أقنع الباب بأن الغرض من هذا الاجتماع هو إعلان دعوته ووعده أن من آمن منهم نجا ومن كفر قتل فجازت الحيلة عليه فخرج إلى المجلس بميثاق ثابت وحوله أصحابه ثم قال: (ألم يأن لكم أيها العلماء أن تنبذوا الهوى وتتبعوا الهدى) ثم قال: (إن نبيكم لم يترك لكم سوى القرآن فهاكم كتابي البيان فاقرءوه فهو أنصح من القرآن، وأحكامه ناسخة لأحكام القرآن) ثم قال هذرًا وكلامًا فارغًا من هذا القبيل وختم كلامه قائلاً: (فاسمعوا وأطيعوا أني لكم لمن الناصحين).

فسكت العلماء باتفاق سابق مع الحاكم فطلب الحاكم أن يكتب ما يريده في صحيفة يقرؤها عليهم وأفهمه أن ذلك أوقع في النفوس وأبلغ في إقامة الحجة فكتب الباب بيده ما أراد بطريقة المناجاة والدعاء وأعطاهم إياها فإذا هي كثيرة

الأغاليط عقيمة المطالب والمقاصد فاسدة المعاني والمباني ففضحه العلماء وبينوا له أغاليطه واحدة واحدة فقال: إنه لم يأخذ عن معلم وما هو إلا إلهام ودعاهم إلى النظر في المعاني دون العبارات فعلا ضجيج العلماء وأفتى بعضهم بكفره وقال آخر بخلل عقله وعتهه وأجاز تعزيره. فنظر إليه الحاكم باحتقار وقال كلامًا كثيرًا في تحقيره ومنه (أيها الجاهل المغرور ما هذه البدعة السيئة التي أحدثتها في الإسلام وكيف تدعي الرسالة أو المهدوية وتفضل نفسك على خاتم المرسلين وتدعي أن كلامك أبلغ وأفصح من القرآن مع أنك عاجز عن إظهار ما يكنه ضميرك بالعربية) ثم قال: (فوالله لولا شرف انتسابك إلى بيت النبوة لحكمت في عنقك سيف جدك فلأعزرنك ولأعذبنك حتى ترجع عن غيك وتهتدي إلى رشدك).

(التنكيل بالباب وتكذيبه نفسه)

لما افتضح الباب وكشفت أستاره وظهر ضلاله على حقيقته أمام هذا الملأ من العلماء والأشراف نفذ حاكم شيراز السياسي الداهية ما توعده به من التعزير والتعذيب إذ أمر به أعوانه فجروه من المجلس جرًّا مهينًا وفرشوا له جلود الشياه في فناء الدار التي حوكم فيها قبالة البهو الذي كان فيه المجلس وربطوا رجليه على خشبة وجعلوا يضربونه بالأعواد الصلبة وهو يستجير ولا يجار حتى كاد يغمى عليه فاستغفر مما جنى وتاب.

فأمر الحاكم بفك قيوده وكف تعذيبه وأن يركبوه على دابة شوهاء وأن يذهبوا به على هذه الحالة المهينة إلى المسجد الجديد مارين من السوق الكبير تشهيرًا به وتحقيرًا لشأنه وكان المسجد غاصًا بالعلماء والوجهاء فلما دخل (الباب) عليهم جعل يقبل يدي الشيخ أبي تراب كبير العلماء والمتصوفة ويكرر التوبة والندم على ما فرط منه فدعاه العلماء إلى أن يعلن توبته من فوق المنبر ويعترف بفساد مزاعمه وكذب دعواه وبطلانها ففعل ثم نزل من فوق المنبر يجلله الخزي والعار وجعل يقبل أيدي العلماء شيخًا فشيخًا ثم أمر به الحاكم إلى السجن وضيق عليه الخناق فلا يقابل أحدًا ولا يكتب حرفًا.

(فراره من السجن)

نزل وباء الكوليرا (الهيضة) بفارس وانتشر في شيراز فهجرها أهلها إلى

الجبال والنواحي النائية وخرج الحاكم ورجاله من المدينة وفقد الأمن وأهملت السجون فاغتنم حاكم أصفهان الفرصة وبعث بعدد من رجاله سرًا إلى شيراز وفتحوا سجن الباب وساعدوه على الفرار وكان ممن يؤمن به فاجتمع بأهل ضلاله ونشرهم في البلاد وعاد إلى غيه وفساده الذي تاب عنه وكذب نفسه فيه ولكن الناس لا يفقهون فقد استطاع هو ودعاته أن ينشروا في الأرض الفساد منتهزين فرصة اشتغال الحكومة بمرض الشاه محمد سلطان البلاد ولكن الحكومة تنبهت لخطورة دعوته ودعاته برغم مشغوليتها بمرض الشاه فنقلت الباب من أصفهان إلى آذربيجان وأودعته سجنها فلما قضى السلطان نحبه بويع ابنه الأكبر ناصر الدين شاه.

(امتحان وسقوط)

وقتما كان الشاه محمد مريضًا وابنه ناصر الدين وليًا للعهد اشتدت فتن البابيين وجنحوا إلى استعمال القوة والقهر وكان ولي العهد مقيمًا بتبريز عاصمة آذربيجان حيث الباب سجين في قلعتها فصدر إليه أمر حكومة طهران أن يعقد مجلسًا يناظر فيه العلماء الباب ويطلق له السراح في المجادلة والمناظرة ثم يستفتي العلماء ولا ينفذ الحكم له أو عليه إلا بعد عرضه على الشاه.

فعقد ولي العهد مجلسًا ضم كبار العلماء وجيء بالباب في حراسة شديدة فسأله (نظام العلماء والملا محمود) بعدما وضع أمامه الكتب والصحف التي افتراها (هل أنت الذي أصدرتها أم افتريت عليك؟) فلما تصفحها الباب قال: هذه من عند الله لأني باب العلم فجعل يسأله في علوم الدين وغيرها فعجز عجزًا تامًا عن الإجابة ثم قال النظام إنك تارة تدعي الرسالة والنبوة وتارة تدعي المهدوية وتارة تدعي الولاية فإن كنت رسولاً فأين معجزتك؟ وإن كنت المهدي أو وليًا فأين كرامتك حتى تقوم حجتك؟ فقال: أنا المهدي الذي تنتظرونه من ألف عام فذكر له أمارات المهدي وقال: إن شيئًا منها لا ينطبق عليك فعجز عن الجواب فسأله (الملا محمد المعاني) أنت تقول أول من آمن بك نور محمد وعلي؛ أي أن مقامك أرفع من مقامهما فاضطرب الباب ولم يجب ومازال العلماء يحرجونه بأسئلة في الصميم فلا يجد لها جوابًا وظهر عجزه الفاحش.

فقال ولي العهد: (ما هذا الضلال والإضلال وما هذه الخزعبلات والترهات أتحسب أنه لم يأتنا نبأ ارتياضك الشاق في بوشهر وهوسك الزائد بتسخير الشمس والكواكب وقيامك المدة الطويلة من الصباح إلى المساء حاسر الرأس تحت أشعة الشمس المحرقة حتى أفسدت حرارتها دماغك وأذابت مخك وأزالت عقلك فصرت إلا ما أنت فيه من الخبال والجنون وانتهيت إلى هذا الحد من الضلال والإضلال) ثم أخذ رأي المجلس فيه فقضى فريق بكفره ووجوب قتله وأفتى فريق آخر بجنونه ووجوب تعذيبه وحبسه، فأخذ ولي العهد بالرأي الأخير وقال للباب: لولا ثبوت جنونك وشرف انتسابك إلى بيت النبوة لأمرت بقتلك حتى يعلم الناس أن المهدي المنتظر لا يغلب على أمره ولا يأتي بما يخالف دين جده سيدنا محمد ﷺ الذي ارتضاه الله لعباده في قوله عز وجل: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ثم أمر به فطرح أرضًا وشدت رجلاه إلى خشبة وجعلوا يضربونه بالعصي والقضبان وهو يستغيث فلا يغاث ثم أعلن توبته عن مدعاه وأمر ولي العهد بكف الضرب عنه، بعد أن أوشك أن يموت وأمر بإرجاعه إلى قلعة (جهريق) بآذربيجان حيث كان وأن ترصد أحواله ويمنع الاتصال به وكان ذلك في سنة ١٢٦٣هـــ.

(إعدام الباب وظهور أكاذيبه)

لما مات الشاه محمد وولي السلطنة ابنه الأكبر ناصر الدين لاحظ أن أتباعه لا ينفكون عن الدعاية وإثارة الفتنة وأنهم دائمو الاتصال به في محبسه وأن البلاد تقترب من ثورة عارمة وأخبر وزيره ميرزا تقي خان بما يتوقعه من هؤلاء فأشار عليه الوزير بإعدامه ليقضي على هذه الفتنة اللعينة بموته، فإن بقاءه يجتذب إليه أنصارًا جددًا بسبب ما يبثه في أعوانه من النشاط وإقبال الناس على كل جديد وإتباع أعوانه خطة التلبيس على الناس بأنهم مسلمون يحسنون تأويل الإسلام وأن العلماء لا يحسنون فهم الإسلام والقرآن.

وفي سجن الباب أعدمت الحكومة سبعة من زعماء أنصاره في طهران. ثم نقل من قلعة (جهريق) إلى تبريز (في سنة ١٢٦٦هـــ-يوليو سنة ١٨٥٠م) حيث أعدم رميًا بالرصاص مع اثنين من مريديه هما: محمد علي اليزدي وأغاسيد حسين وألقي بجثته الممزقة في حفرة بالمدينة وضاع بذلك ما تنبأ به من ملك الدنيا وانضمام ملوكها تحت لوائه وما وعد به والى شيراز من سلطنة الدولة العثمانية ورفع بذلك الستار عن خداعه وأكاذيبه وغروره ولو كان نبيًا لما خابت له نبوءة وكيف يصح مدعاه والله تعالى يقول: ﴿ كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ثم كيف يصح مدعاه والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] ويقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥] الآية.

(تلخيص لعقيدة الباب)

تتلخص عقيدته فيما يلي:

١- يعتقد الباب أن (محمدًا ﷺ) رسول الله إلى الناس كافة ومن هنا كان مدخله إلى قلوب المسلمين ولكنه يحطم هذه العقيدة بزعمه أن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام تنتهي (سنة ١٢٦١هـــ - سنة ١٨٤٤م) زاعمًا أنه أرسل إلى الناس كافة في التاريخ المذكور ويلغي في شريعته طرق الصلاة والصوم والزواج والطلاق والميراث وغير ذلك مما جاء في الإسلام.

٢- يفسر ما جاء في القرآن والكتب السماوية من الموت والبعث والنشور والصراط والميزان والجنة والنار وغيرها تفسيرًا يخالف مفهومها اللغوي والديني حسب هواه الفاسد.

٣- يعتقد أن النبوة لم تنته بخاتم الأنبياء والمرسلين كما قال القرآن بل هي مستمرة ولكل نبي دورة زمنية وأن العالم الحقيقي هو عالم الروح أما الجسم فمظهر خارجي وأن الله يفني العالم في نهاية كل دورة نبوية وذلك موته ثم يعيده بكلمة من النبي التالي -وتسمى عنده الكلمة الخلاقة وذلك بعثه هكذا قال، والجنون فنون.

٤- سن لأتباعه أن لا يصلوا إلى الكعبة وأن يتجهوا في صلاتهم حيث يدفن وقد دفن بعكا حيث نقله (البهاء) سرًّا من حفرته التي ألقي فيها بعد قتله إلى قبر بناه له بعكا وجعل عليه مشهدًا كبيرًا وأصبح كعبة لهذه الطائفة يحجون إليه بدل البيت العتيق.

٥- أخبر أتباعه بأن نبيًّا سيأتي بعده وسماه تارة (الرجل الموعود) وتارة (من يظهره الله).

٦-أوجب أن تشد الرحال إلى الموعود الذي يظهره الله وأن لا تشد إلى غيره وقال في (ص١٦٦) من كتابه (البيان) (فلتهبوا من مقاعدكم عندما تسمعون ذكر اسم من يظهره الله) كذا قال وأوصاهم أن لا يحزنوا أمامه على مصاب حتى لا يحزنوه وأن لا تقع عيناه على شيء بخس.

٧- يعتقد عودة النبي محمد ﷺ وعودة أئمة آل البيت.

٨- يوجب على أتباعه أن لا يكون في حوزة أحدهم أكثر من ١٩ كتابا ولعدد (١٩) أهمية في حساب الجمل عند الباب وأتباعه من الناحية الروحية.

٩- أبطل التقويم المعروف وجعل الشهر (١٩) يومًا وجعل السنة (١٩) شهراً طبقًا لتقويم روحي يراه وسمى كل شهر بصفة من صفات الله وسمى الأخيرة شهر الأعلى وجعله شهر الصوم وكان يجد لذة في كتابة الهياكل الطلسمية.

١٠- قصر العقوبات على الغرامات المالية وتحريم الاتصال الجنسي بالزوجة وحرم القصاص فمن قتل نفسًا يعاقب بدفع (١٠,٠٠٠) مثقال ذهب وأن يمتنع عن مباشرة زوجته جنسيًا ١٩ عامًا -كذا قال- فهل المعاقب يمتنع عن زوجته فعلاً هذه المدة ولا رقيب عليه؟ وهكذا يرتكب ذلك المدعي الكذاب أخطاءه الفاحشة التي دفعه إليها الغرور.

١١- يعاقب من يضرب غيره أو يرفع صوته عليه بغرامات مالية.

١٢- سن لوائح مالية للضرائب على رأس المال والأرباح على نظام مخالف للإسلام.

١٣- وافق على إبقاء شريعة الطلاق.

١٤- سن للأرامل من الرجال أن يتزوجوا بعد (٩٠) يومًا وللأرامل من

النساء أن يتزوجن بعد (٩٥) يومًا.

١٥- ألغى وجوب اغتسال المرأة من الحيض أو النفاس وألغى وجوب اعتزال الرجال لهن أثناء النوم.

١٦- ألغى صلاة الجماعة فيما عدا صلاة الجنازة.

١٧- جعل مكان ولادته بشيراز والأماكن التي سجن فيها مقدسة وأوصى بالحج إليها.

١٨- لم يعترف بالمعجزات التي أظهرها الله على أيدي رسله وتأولها تأويلات مضحكة وسبب ذلك أنها ليست في مقدوره وقد أراد أن يدخل في زمرة النبيين بدون مسوغات ...!!

تلك خلاصة معتقداته وتشريعاته الشاذة التي لم تدع إليها ضرورة بل دعا إليها غروره وخباله فإن تشريعات الإسلام أثبتت صلاحيتها عبر الأجيال الغابرة لأنها شريعة الله الذي يعلم مصالح عباده ثم: ما هو الداعي لقصر الصيام عنده على فصل الربيع حتى يكون عيد الفطر يوم النيروز ولو كان يفهم لما جنح لذلك فإن المقصود من الصوم تعويد النفس على المشاق والصبر عليها في الحر والبرد والاعتدالين: الربيعي والخريفي، ولذلك أثره في حسن السلوك والمران على تقبل بأساء الحياة وضرائها ولكنه أراد أن يكون نبيًا له شرع فابتدع ما حلا له ونسي أن محمدًا الذي يعترف بنبوته وما نزل عليه من القرآن هو خاتم النبيين بنص القرآن والسنة أما القرآن ففي رأس هذا المقال وأما السنة فقوله ﷺ: **«لا نبي بعدي»**.

البهائية

البهائية: نحلة منسوبة إلى البهاء وهو لقب لرجل اسمه حسين علي بن الميرزا عباس المعروف ببزرك وهو من مواليد بلدة تسمى (نور) من إقليم (مازندران) فلما كبر كلف بالتصوف ثم غلب عليه حب الدنيا فانقلب على عقبيه يطلب المجد والظهور فدفعه حب ذلك إلى الإيمان بالباب ومناصرته. وكان له أخ شقيق اسمه (يحيى) حذا حذو أخيه فانضم إلى الباب طلبًا للشهرة وغالى في إظهار محبته له أكثر من أخيه ليسبقه في الحظوة عند الباب فجعله الباب خليفة له

من بعده، ويسمى (صبح أزل) كما يسمى أخوه البهاء .. وكانا من أنشط دعاة الباب.

وقد حبسا لاتهامهما بتدبير قتل الشاه ناصر الدين انتقامًا لقتله الباب ولكن الله حفظ الشاه من تدبيرهما وكانت الحكومة الفارسية عازمة على قتلهما ولكن شفع فيهما الصدر الأعظم التركي فأفرج عنهما ونفيا إلى بغداد ثم عمل البهاء على أن يكون له الشأن كله في النحلة البابية فاستغل فرصة كون الباب جعله وكيلاً لأخيه صبح وأنه أمره أن يخفيه عن العيون حتى لا يقتل فجعل يكاتب البابيين ويظهر أمامهم ونشط في جمعهم حوله وكان ينازعه في رياسة البابية غيره من كبار البابيين حتى كادوا يقتلونه ولكنه انتصر على منافسيه ولا يزال أمامه أخوه يحيى فكان يشير في كتبه وإرشاداته من طرف خفي إلى زعامة نفسه.

وكان البابيون يحتفلون أول المحرم بمولد الباب وفي سنة ١٢٧٩هـ جعلوا احتفالهم به في حديقة (باغ رضوان) ببغداد وبالغوا في غشيان الكبائر والمنكرات وإظهار الفرح مع أن شهر المحرم هو شهر الأحزان عند الشيعة لأن مقتل الإمام الحسين ﷺ كان فيه فكاد أهل بغداد يفتكون بهم فنفتهم الحكومة التركية إلى القسطنطينية ثم إلى أدرنة وهناك جهر البهاء بالدعوة إلى نفسه. ولقب نفسه بالذكر وزعم أنه المراد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] كما قدمنا ثم سمى نفسه (جمال القدم والحق والبهاء) وصار الأخير علمًا بالغلبة عليه.

فوقع الشقاق بين الأخوين وانقسم أتباعهما قسمين أحدهما تابع للبهاء والثاني تابع لصبح أزل ووصل الخلاف بينهما إلى أن كلا منهما دسّ السم للآخر في طعامه فنجا صبح أزل من السم وتأثر به البهاء وهكذا يكون الأنبياء والمرسلون الكذبة.

ثم زعم البهاء أنه هو المعني في كتب الباب (بمن يظهره الله) ونسي هذا المتنبئ أن الباب عهد إلى أخيه ولم يعهد له ثم اشتد غلوه في مزاعمه فادعى أنه هو المتكلم على لسان الباب وترقى درجة أكثر في العلو فزعم أنه هو الذي أرسل

الباب وأرسل نفسه من قبل في شخص زرادشت وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم، يقول هذا ويصدقه البابيون المساكين وكان يرسل كتبًا مسجوعة إلى الملوك والعظماء تشبه سجع مسيلمة الكذاب.

ولما اتسع الخلاف بين الأخوين نفت الحكومة التركية البهاء وأتباعه إلى عكا وصبح أزل وأتباعه إلى قبرص بعد أن ادعى كل منهما قبل نفيه أنه رسول مستقل وليس خليفة للباب وأنه أنزل عليه كتاب مستقل ناسخ لما قبله من الشرائع فصبح أزل كتابه، اسمه ألواح وقد نعت فيه أخاه بالعجل والبهاء كتابه الأقدس وقد نعت أخاه بالمشرك والكافر، وصدق الله إذ يقول: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

(طرف من شريعة البهاء)

لو قرأت كتابه وما فيه من الأسجاع الممجوجة، والتشريعات السخيفة لعجبت كيف آمن به أولئك الناس ولكنها الغفلة والخديعة والنشاط المحموم فمتى يفيق أولئك النيام وإليك طرفًا من سخافاته:

١- قال في الأقدس عن الصلاة: كتب عليكم الصلاة تسع ركعات لله منزل الآيات حين الزوال وفي البكور والآصال وعفونا عن عدة أخرى أمرًا في كتاب الله إنه لهو الآمر المختار، كذا قال.

٢- وقال في القبلة: وإذا أردتم الصلاة فولوا وجوهكم شطر المقام المقدس (عكاء) الذي جعله الله مصاف الملأ الأعلى ومقبل أهل مدائن البقاء ومصدر الأمر لمن في الأرضين والسموات، كذا قال.

٣- وقال في الصلاة على الميت: قد نزلت في صلاة الميت ست تكبيرات من الله ذي الآيات إلخ.

٤- سنترك سجعه الممل ونذكر الأحكام بعد أن أطلعناك على (عينة) من هرائه فنقول: إنه أسقط الصلاة عن المريض والهرم ورفع الحدود وقال: من لم يجد الماء لصلاته يقول خمس مرات: بسم الله الأطهر،ثم يشرع في صلاته هذا ما

حكم به مولى العالمين. كذا قال. وأبطل قراءة الآيات في الصلاة وأمرهم أن يقولوا: العظمة لله رب ما يرى وما لا يرى رب العالمين.

٥- أبطل صلاة الجماعة إلا على الميت.

٦- جعل الصداق في المدن تسعة عشر مثقالاً من الإبريز وللقرى من الفضة ومن أراد الزيادة حرم عليه تجاوز خمسة وتسعين مثقالاً ومن غاب عنها زوجها تسعة أشهر فلها الحق في الزواج بغيره.

٧- جعل عدة الشهور تسعة عشر شهرًا كل شهر تسعة عشر يومًا.

٨- وفي الصيام قال: قل يا ملأ الإنشاء قد كتبنا عليكم الصيام أيامًا معدودات وجعلنا النيروز عيدًا لكم بعد إكمالها كذلك أضاءت شمس البيان (أي بيان الباب) يعني: أنه لم ينسخ ما قاله الباب في الصيام.

٩- وحكم في الزاني والزانية بدية تعطى لبيت العدل (الحكومة) قدرها بتسعة مثاقيل من الذهب وإن عاد إلى الزنا تضاعف.

١٠- وجعل عقوبة السارق الحبس والنفي وفي المرة الثالثة تجعل له علامة في جبينه حتى لا تقبله مدن الله.

١١- ومن أحرق بيتًا متعمدًا يحرق ومن قتل نفسًا متعمدًا يقتل وبذلك خالف الباب الذي كان لا يقول بالعقوبات البدنية إلى غير ذلك من التوافه والغرائب.

(ادعاء البهاء الألوهية)

لم يقف البهاء (ميرزا حسين) عند حد ادعاء النبوة بل تجاوزها إلى حد ادعاء الألوهية كما ادعاها سلفه الباب من قبل وكما ادعاها الفاطمي المجنون الحاكم بأمر الله وكما ادعاها بعض غلاة الشيعة للإمام علي كما سيأتي بيانه عند الكلام على الباطنية.

إن هؤلاء المجانين يدعون أن الله تعالى (يتشخص) في البشر وكذلك فعل البهاء حسين فقد جاء ذلك صريحًا في كتابه (الأقدس) إذ قال- ملأ الله قبره سعيرًا: «يا ملأ الإنشاء. اسمعوا نداء مالك الأسماء إنه يناديكم من شطر سجنه الأعظم: أنه لا إله إلا أنا المقتدر المتكبر المسخر المتعالي العليم الحكيم» ثم يقول في هرائه وجنونه (إياكم أن تتوقفوا في هذا الأمر الذي خضع له الملأ الأعلى

وأهل مدائن الأسماء، اتقوا الله ولا تكونن من المحتجبين أحرقوا الحجبات بنار حبي والسابحات بهذا الاسم الذي به سخرنا العالمين) إلى غير ذلك من النصوص الوقحة التي لا تجوز إلا على قوم مجانين أو مسحورين فلا يميزون بين المعقول والمستحيل كيف تكون إلهًا أيها المفتون - وتنعت نفسك بأنك قادر مقتدر، خضعت لك عوالم الملأ الأعلى وأهل مدائن الأسماء، مع أنك لم تستطع أن تخلص نفسك من غيابة السجن الأعظم وكيف ادعى الألوهية سلفك (الباب) ولم يستطع إنقاذ نفسه من الشاه صدر الدين الذي أعدمه رميًا بالرصاص ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٢٦].

(عباس خليفة البهاء)

استخلف البهاء على هذه النحلة ولده (عباسًا) ولقبه بغصن الله الأعظم وقصد باستخلافه أن يحول دون وقوع خلاف بعد هلاكه على رياسة البهائية ثم هلك البهاء (حسين) سنة ١٣٠٩هـــ ودفن بعكا ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۞ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١].

قام عباس بالأمر بعد أبيه ولقب نفسه بعبد أبيه، فلقب نفسه بعبد البهاء وقدسه البهائيون وعبدوه كما فعلوا مع أبيه ثم غير وبدل في نحلة البهائية ومحا وأثبت ما شاء وادعى أن ذلك وحي من الله فخرج عليه أخوه محمد علي الملقب بغصن الله الأكبر ورماه بالكفر وانضم إليه عدد كبير من معتنقي البهائية.

وانقسم البهائيون فرقتين: الناقضين وهم أتباع محمد علي، والمارقين -وهم أتباع عباس- هكذا سمت كل فرقة منهما أختها واستطاع عباس بدهائه ومكره أن يكتسح أخاه وفرقته فكان يدخل نفسه في كل ملة فهو مسلم مع المسلمين ويهودي مع اليهود ونصراني مع النصارى وبوذي مع البوذيين، وبرهمي مع البرهميين ويوهم أهل كل دين بأنه منهم وأنه يريد الإصلاح وإزالة الضغائن بين أهل الأديان ونسي هذا الطاغوت أن الحق لا يتعدد.

وقد سلك أتباعه هذا المسلك الخادع في الشرق وإنك لترى الكثيرين منهم

يصلون الصلوات الخمس مع المسلمين جماعة ويظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة:٩].

ولكنك تراهم في أمريكا يجهرون بعقيدتهم لا يخشون حسابًا ولا نقدًا.

ولقد قدم عباس إلى الإسكندرية بحجة الاستشفاء وخدع الكثيريين هناك فزعم أنه مصلح إسلامي. وكان قدومه إليها في أوائل هذا القرن وممن آمن بدعوته في مصر قديمًا:

حسن الخراساني التاجر بالقاهرة، وأبو الفضل محمد بن محمد رضي الجرفادقاني الإيراني.

وأصبح كبير دعاتهم. وألف كتابًا في هذه النحلة اسمه (الفرائد والدر البهية) قرر فيه ربوبية البهاء - والعياذ بالله- ومنهم فرج الله زكي الكردي صاحب مطبعة كردستان بالحسينية وغير هؤلاء.

تحذير الرسول ﷺ من الأدعياء:

وقد حذر الرسول عليه الصلاة والسلام من أصحاب الدعاوى الكاذبة في أحاديث عديدة منها ما يأتي:

(١) روى أبو داود في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، لا نبي بعدي**».

(٢) وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم**».

(٣) وروى الشيخان عن حذيفة ﷺ قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير. فهل بعد هذا الخير من شر قال: **نعم وفيه دخن**، فقلت: وما دخنه؟ قال: **قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**، قلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: **نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها** فقلت يا رسول الله صفهم لنا، قال: **هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**، قلت يا رسول الله: فما تأمرني إن

أدركت ذلك؟ قال: **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: **فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»** .

(فتوى شيخ الإسلام بكفر عباس البهائي)

في أوائل هذا القرن كانت تصدر بالقاهرة جريدة تسمى (مصر الفتاة) ولما ظهرت البهائية بالديار المصرية أوفدت أحد محرريها (الشيخ محمد مصطفى الهيهاوي) إلى علامة زمانه الأستاذ الأكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر وقتئذ ليستفتيه في الميرزا عباس زعيم البهائيين ونشرت فتواه في العدد (٦٩٢ الصادر في ٢٥ من ذي الحجة سنة ١٣٢٨هـــ - ٢٧/١٢/١٩١٠م).

قال المحرر للشيخ الأكبر في مجمع من العلماء: ما رأي فضيلتكم في هذا الزعيم الديني الجديد، صاحب الديانة الجديدة.

قال الشيخ الأكبر –وقد أظهر شيئًا من الدهشة– إن هذا الرجل الضال كان معتقلاً في عكا فما الذي جاء به إلى هذه البلاد؟!

قال المحرر: إنه قد جاء يا مولانا وهو الآن نزيل ثغر الإسكندرية فما رأي فضيلتكم فيه؟ قال الشيخ الأكبر: (إنه كافر).

(فتوى لجنة الفتوى بالأزهر)

أرسل السيد/ علي محمد الوقاد (١٢٩) شارع السد البراني بقسم السيدة زينب– الاستفتاء الآتي إلى لجنة الفتوى بالأزهر:

١– ما رأيكم في النحلة البهائية ومعتنقيها من الإسلام؟

٢– هل يرث معتنق البهائية من المسلم.

فأجابت لجنة الفتوى بما يأتي:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال، وعلى البيان المرافق الذي شرح به المستفتي مبادئ المذهب البهائي.

وتفيد أن مذهب البهائية باطل: ليس من الإسلام في شيء. بل أنه ليس من

اليهودية ولا النصرانية ومن يعتنقه من المسلمين يكن مرتدًّا خارجًا عن دين الإسلام فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام ويأباها كل الإباء، منها ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب وادعاء الكفر لمن يخالفه وادعاء أن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان إلى غير ذلك.

ومن المقرر شرعًا أن المرتد لا يرث المسلم ولا غيره وعلى ذلك فمعتنق مذهب البهائية لا يرث غيره مطلقًا وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم.

(فتوى الإمام محمد عبده)

روى المرحوم الشيخ رشيد رضا أن الإمام محمد عبده حين سئل عن عباس البهائي أجاب: (إنه ضال مضل).

تلك بعض الفتاوى التي صدرت في البهائيين ذكرناها حتى لا ينخدع أحد بزخارفهم الكاذبة نسأل الله العصمة ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

(الباطنية أم للبابية والبهائية)

نشأ الميرزا محمد علي في إيران حيث توجد الشيعة بفرقها المختلفة ومن هذه الفرق غلاة تجاوزوا حدود الإسلام وانتهوا من العقائد إلى ما يكفرهم وقد رسبت عقائد أولئك الغلاة في نفسه وكان إنسانًا طموحًا ذا خيالات واسعة في كيفية كسب الزعامة لنفسه عن طريق الدين الذي اختار لبناته الأولى من عقائد منشئه وبيئته فسلك سبيله إلى مشروعه الذي أعده في أعماق نفسه وغذاه بدراسات في شتى الأديان المحيطة به كالبوذية والبرهمية والزرادشتية واليهودية والنصرانية وسلك سبيل عمل الطلاسم والأزياج.

(الباطنية والبابية)

الباطنية:

هم جماعات يقولون لكل كتاب ظاهر وباطن ولكل تنزيل تأويل فالنصوص يؤولونها بما يشتهون من الأفكار والعقائد ويخالفون بهذه التأويلات مدلولها اللغوي.

ومذهب الباطنية قديم يسبق الفرق الإسلامية التي أخذت بهذ المذهب

وتقول دائرة المعارف الإسلامية: إن هذا المذهب أخذت به اليهودية والمسيحية في الشروح الرمزية (لأوريجن).

وقد أخذ بهذا المذهب من غير الإسلاميين طائفة المزدكية وهي فرقة (مانوية) أسسها (مزدك) وظهرت في عهد الملك الساساني (قباذ بن فيروز).

وعندما فتح المسلمون فارس وأزالوا ملك الفرس من البلاد، وجدوا أنفسهم لا طاقة لهم بقتالهم فتظاهر كثير من باطنيتهم بالإسلام ليهدموه عن طريق التفرقة المذهبية يدسونها بين المسلمين.

(البابية ربيعة الباطنية)

بين البابية والباطنية ترابط وامتداد ونحن نجمل ذلك فيما يلي:

١- ادعت فرق الباطنية نبوة البشر وادعاها الباب ومن بعده لأنفسهم.

٢- ادعى الباطنية ألوهية البشر وادعاها هؤلاء لأنفسهم.

٣- اعتقد الباطنية العصمة لأئمتهم وادعاها هؤلاء لأنفسهم.

٤- أخفى الباطنية أئمتهم خوفًا عليهم وأوصى الباب بإمامة (صبح أزل) من بعده وجعل البهاء خليفة له وأوصاه بإخفاء أمر أخيه خوفًا عليه وبث الدعوة له.

٥- جعل الإسماعيلية مذاهبهم سرًا من الأسرار وكذلك فعل الباب ومن بعده فكان كل منهم يظهر للمسلم أنه مسلم ولليهودي أنه يهودي وللمسيحي أنه مثله. وهكذا ويبطن في نفسه مذهبه الخبيث.

٦- قالت الإسماعيلية وغيرها: إن النصوص لها ظاهر وباطن وإن الأئمة هم الذين يفسرون النصوص حسبما يريدون وكذلك فعل الباب فقد فسر القرآن كما يهوى وذكرنا نموذجًا مضحكًا لسورة يوسف فسره تفسيرًا باطنيًا فارجع إليه لترى إلى أي حد بلغ السفه بهؤلاء.

٧- يفسر الإسماعيلية الجنة بنعيم بالدنيا والنار بعذابها وينكرون الجنة والنار الأخروين يقول الميرزا حسين (البهاء) في كتابه (بهاء الله والعصر الجديد): إن الجنة هي حالة الكمال والنار حالة النقص فالجنة هي الحياة الروحانية والنار هي الموت الروحاني ويقول أولئك البابيون البهائيون: إن يوم الجزاء هو اليوم الذي يجيء فيه المظهر الأعظم بهاء الله.

٨- من تأويلاتهم الباطنية تأويل السموات السبع بالأديان. واختصام الملأ الأعلى باختصام أولاد البهاء. عباس وأخوته.

٩- يقدس البهائيون رقم (١٩) وجعلوا الصيام (١٩) يومًا من الربيع وجعلوا السنة (١٩) شهرًا كل شهر (١٩) يومًا.

١٠- يتقرب البهائيون إلى المسيحيين بالاعتراف بالصلب وألوهية المسيح وغير ذلك.

١١- لا يصومون رمضان بل يصومون (١٩) يومًا في مقدم الربيع وعيدهم يوم النيروز كما تقدم.

١٢- يقولون بتناسخ الأرواح وحلول الله في البشر.

إلى غير ذلك من وجوه الشبه التي تنطق بأن البابية مصنوعة من مذاهب غلاة الشيعة المعروفة بالباطنية قال صاحب كتاب (مفتاح الأبواب) في البابيين: «لهم دين خاص مزيج من أخلاط الديانات البوذية والبرهمية والوثنية والزرادشتية والمسيحية والإسلامية ومن اعتقادات الصوفية».

ولما جاء عباس بعد أبيه البهاء أراد أن يزخرف عقيدة الباب التي نقحها البهاء ببعض الأفكار الحديثة. كاتفاق الأمم على لغة واحدة وتأسيس محكمة دولية تحل مشكلات الأمم ونظرية النشوء والارتقاء كما قال (داروين) وغير ذلك مما استنبطه من آراء المحدثين فما أضيع العقول التي صدقت هذا المبتدع الكذاب؟!

لقد أنكر هؤلاء معجزات الأنبياء وأولوها كما حلا لهم من التأويلات المضحكة ليدخلوا في عدادهم بغير مؤهلات وزعموا كمال شرعتهم المصنوعة مع أنها محوطة بالنقص من جميع الجوانب وزعموا أن الإسلام نسخ بشريعتهم لأن عصره انتهى مع أنه دين الله البالغ الحيوية الصالح ببساطته ومرونته لكل جيل ونسوا أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمر:٨٥] ويقل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]. ويقول في رسوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]

وصدق الله إذا يقول: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦].

يرحمك الله يابن تيمية، فقد حكمت على الباطنية قبل هؤلاء بقولك: «إن الباطنية هم دائمًا مع كل عدو للإسلام». وقولك: «إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك الإسلام إلا بمعاونتهم».

ولو رأيت هؤلاء يابن تيمية لقلت: إنهم أخبث الفرق الباطنية وأعوان الاستعمار ومنافذ لسيطرة الصهاينة على بلاد المسلمين ولذلك يعيشون بينهم في عكا وفي أمريكا وغيرها على أتم وئام.

أيها الأخ المسلم كن على حذر من هؤلاء فهم مرتدون عن الإسلام ولا تغتر بادعائهم أنهم مسلمون فهم كالسم الخفي في الدسم وقد شرحنا لك أحوالهم.

ولعل مواطنينا المسيحيين يكونون على حذر بالغ من خديعتهم ودعواهم الإيمان بدينهم فهم منافقون كاذبون!! ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥].

ولعل حكومتنا الرشيدة تضرب على أيديهم بالحديد وتدم رقابهم فهم ماكرون خادعون ولعلي بذلك أكون قد رفعت مصباحًا فوق سارية على طريق العقيدة ليهتدي به المدلجون ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب: ٤].

مصطفى محمد الطير

البابية أو البهائية
للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

حركة البابية أو البهائية:

فالبابية: نسبة إلى الباب وهو لقب مؤسس الحركة الميرزا علي محمد الشيرازي (١٨٢٤).

والبهائية مذهب البابية أطلق عليه اسم البهائية نسبة إلى (بهاء الله) خليفة (البابي) مؤسس هذا المذهب الجديد وهو الذي نفي إلى عكا لما نكلت الدولة الفارسية بأتباعه.

بدأ الميرزا علي محمد الشيرازي يدعو لمذهبه وهو في التاسعة عشرة من عمره وذلك عام (١٨٤٣) مدعيًا أنه من سلالة البيت النبوي الشريف.

وقصد الميرزا علي محمد البلاد الحجازية للحج، ثم زار مسجد الكوفة وأخذ بعد ذلك يدعو إلى مذهبه أو ديانته الجديدة في بلاده وهو مذهب يخالف أصول الإسلام وفروعه وقد ألف كتابين:

الأول: في وصف رحلته.

والثاني: في تفسير سورة يوسف

وفي التفسير يذهب مذهبًا جديدًا في النظر واستنتج من آيات السورة أصولاً لم يستنتجها أحد قبله.

وألف كذلك كتابه «البيان» الذي ألفه باللغة العربية وأخذ يخالف العلماء والفكر الإسلامي بآرائه وانتشر اسمه بين الناس وأخذ يخطب في المساجد ويوجه اللوم والتقريع إلى زعماء الإسلام وقادته وأئمته وأحدث كلامه تأثيرًا سيئًا بين الجماهير المسلمة وتألبوا عليه للفتك به وأيده الاستعمار تأييدًا قويًا والتفَّ حوله جماعات من الانتهازيين والمنتفعين وطلاب الدنيا وسمى نفسه الباب مشيرًا بذلك إلى أنه الباب الوحيد الذي يدخل منه المسلم إلى حضرة الخالف عز وجل وأخذ يعلن عن نفسه أنه صاحب دين جديد وأطلق عليه أتباعه لقبًا جديدًا هو (حضرة العلي) .. وهكذا تمادى في أمره حتى تفاقم شره وازداد خطره على الإسلام والمسلمين .. ورفع الناس أمره إلى حكومة طهران لتكفه بالقوة عن نشر مذهبه.

وأعلن الباب أنه (النقطة) أي منبثق الحق وروح الله ومظهر قدرته وجلاله وتنازل عن لقب (الباب) لأحد أتباعه وهو «حسين بسرويه» من أهل خراسان وهو الذي طبع البابية بطابع علمي وقلبها إلى حزب سياسي شديد الخطر..

ونهض (حسين بسرويه) لنشر البابية في أنحاء فارس، واتخذ لها أشياعًا وأنصارًا في أصفهان وكاشان ثم نزل إلى طهران .. وبادرت الحكومة فأعلنته

بضرورة مغادرتها وعدم البقاء فيها فغادرها إلى خراسان حيث كان للبابية أشياع فيها ..

ومن أنصار البابية ظهر الحاج محمد علي بلفروسي وامرأة اسمها زرين تاج أو «قرة العين» وأخذا يطوفان البلاد لنشر الدعوة بين الناس.

وقصد (حسين بسرويه) إلى مازنداران أن ومعه جمهور غفير من الناس من أنصاره المسلحين ووصلوا إلى قرية (بدخت) وهناك عقدوا مؤتمرًا كبيرًا حضره خليفة الباب في رياسة المذهب وهو الميرزا يحيى وبنى (حسين بسرويه) له ولأتباعه حصنًا كبيرًا منيعًا في جبال مازنداران وغاباتها واجتمع حوله خلق كثير من أنصاره.

وأرسلت الحكومة في طهران إليهم حملة عسكرية باءت بالفشل وهزمت هزيمة منكرة. فأرسلت إليهم حملة ثانية بقيادة «البرنس مهدي كولي ميرزا» وهو من البيت الملكي في طهران وبعد قتال عنيف هزمت هذه الحملة هزيمة شديدة.. كما هزمت الحملة السابقة ..

وأرسلت طهران حملة ثالثة فلم تكن أسعد حظًا من الحملتين السابقتين وفيها مات (حسين بسرويه) واستمر البابيون يقاتلون بجلد وصبر شديدين.

وبعثت الحكومة حملة رابعة مثلت بالبابيين أشد تمثيل ونكلت بهم أسوأ تنكيل.

ولكن البابيين أصروا على التمادي في مقاومة الحكومة وقام في زندان (محمد علي زنجاني) بثورة ضد الحكومة فأرسلت الحكومة إليه حملة عسكرية هزمها.

وأعدمت الحكومة الباب هو وأحد أتباعه وتولى بعده زعامة الحركة (الميرزا يحيى) الذي لقبه أتباعه (بحضرة الأزل) والذي رأى أن يترك طهران ويفر منها إلى جهات متفرقة أخرى ليأمن على نفسه وعلى أتباعه ..

ودبر البابيون مؤامرة ضد الشاه لاغتياله وذلك عام ١٨٥٢م وتمكنوا من جرح الشاه فاشتدت الحكومة في تعقب البابيين والفتك بهم. وأعدمت (قرة العين) فأخذ البابيون يتحولون إلى مذهب سري وخلايا سرية تنتشر بين جماهير

المسلمين.

عقيدة البهائية وفلسفتها الحلولية:

يعتقد البابيون أن الله عز وجل «ذات» بأوسع معاني هذه الكلمة وله شخصية مستقلة عن الكون.

ولكنه ذات متوحد ليس له شريك يشاركه في القدرة، والخلق عندهم مظهر الله ذاته فهو يخلق لأنه لا يُدْرَك حيًّا مؤثرًا إلا بالخلق ويصرح الباب بأن مجموع الكائنات هو الله نفسه كما يقول الحق يا مخلوقاتي إنك أنا فإذا قامت القيامة رجع الخلق إلى الله وفنوا في وحدته التي صدروا عنها فيتلاشى إذ ذاك كل شيء إلا الطبيعة الإلهية ..

ومذهبهم كما رأينا هو مذهب وحدة الوجود نفسه ..

ومذهبهم في الله هو مذهب فلاسفة الكلدانيين والفلاسفة الإسكندرانيين وفلاسفة الشرق ..

ولله عندهم سبعة أحرف مقدسة تمثل صفاته الإلهية وهي:

«القوة .. القدرة .. الإرادة .. التأثير .. الكبرياء .. الوحي»[1].

ولله عندهم خصائص أخرى لا تتناهى وهي التي استخدمها في خلق الكون المرئي لنا فالتمثيل المزدوج لهذه الخصائص القول والكتابة هي التي منحتنا الخلقة المزدوجة من روح ومادة باعتبارها قولاً هي منبع الأشياء العقلية وباعتبارها أحرفًا.

هي مصر كل الأشياء المادية التي لولاها لم توجد المادة. فالعدد سبعة هو العدد المقدس عند البابية .. ولكن يوجد عدد آخر أكبر شأنًا عند البابية وهو العدد ١٩ وذلك أنه فوق العبارات الخالقة يجب وضع كلمة (حي) لأنه الحياة هي مصدر وثمرة السبع خصائص المتقدمة في آن واحد.

فإذا حسبنا كلمة (حي) بحساب الجمل وجدنا الحاء بثمانية والياء بعشر فالمجموع ١٨ فيضم إليها الألف لتكون الكلمة (أحي) ذات العدد ١٩ .

---

(١) كذا بالأصل ليس به ما يتمم – السبعة – مجلة الأزهر.

وهذا العدد قال عنه (الباب) أنه المظهر العدد لله ذاته فإن كلمة (واحد) التي يعبر الله عز وجل بها عن نفسه في القرآن لتدل على وحدانيته هي بحساب الجمل (١٩) أيضًا فالعدد ١٩ معناه (الواحد الذي يمنح الحياة). الله الواحد الخالق.

وللبابيين رأيهم في الخير والشر:

فالشر عندهم نتيجة الخليقة ذاتها أي ذلك النقص الضروري الناجم من انفصال الخلق عن الأصل الإلهي هذا الانفصال المؤقت والإنسان عندهم خير محض وعندهم أنه لما ظهر (الباب) دخل الوحي في دور جديد فزمن الوحي عندهم ممتد وناموس الارتقاء الديني ممدود على المستقبل قياسًا على الماضي ولم يجزم (الباب) بأن البابية هي آخر ما سيعطاه الإنسان من الوحي الإلهي ..

وعندهم أن الوحي يتألف بتسعة عشر رجلاً فالباب ليس جامعًا في حد ذاته كل أشخاص الوحي ولكنه (نقطة وحدة الوحي) التي هي المظهر للوحدة الإلهية.

ويدعى البابيون أن الصلاة يكتفى منها بمرة واحدة كل شهر كما ورد في (البيان) كتابهم الذي يقدسونه.

والبهائيون يذهبون إلى توحيد الأديان السماوية وقد أكد ذلك داعيتهم في مصر «أبو الفضل الجرفادقاني» في كتابه «الدرر البهية».

وهم يقولون: إن دين الله لم يتم إلا بظهور البهاء بعكا.

ومحاولة توحيد الأديان بتأويل رموزها يفتح لكلٍ متأول مذهبا فلا يقفون عند حد .

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه: (القاديانية) ثورة على النبوة المحمدية والإسلام (صفحة ١٢) نقلاً عن محمد إقبال شاعر الإسلام.

إن البهائية في إيران أنكرت عقيدة ختم النبوة ولكنها أعلنت بصراحة أنها طائفة مستقلة ليست مسلمة بمعنى الكلمة المصطلح عليه.

إن البهائية فرقة ضالة خارجة عن الإسلام كما جاءت تعاليمها في كتاب

«البيان» وكتاب «الدرر البهية».

ومذهبهم في توحيد الأديان وفي إنكار أن محمدًا رسول الله ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين وفي وحدة الوجود وفي اللجوء إلى التأويل. كل ذلك كفر صريح وإلحاد ما بعده إلحاد وهو الشرك العظيم والكفر الصريح..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..

نظرة في الديانة البهائية
للأستاذ/ محمد فريد وجدي

ظهر في نحو منتصف القرن التاسع عشر ببلاد الفرس مذهب جديد في الدين دعا إليه الميرزا على محمد هنالك ملقبًا نفسه بالباب، يريد الباب الموصل إلى الحقيقة وسمى مذهبه بالبابية.

ولما انتهى الأمر فيه إلى خليفته الملقب ببهاء الله نسخ اسمه الأول وسمى مذهبه بالبهائية.

وإنا لناظرون في أصول هذا المذهب نظرة نقد وتمحيص لما نراه من نشاط الدعوة إليه، إحقاقًا للحق وإزهاقًا للباطل فنقول:

للبهائية عقيدة في الله على طريقة الذين يقولون بأنه مجموع الكائنات كما ورد في كتابهم (البيان) مترجمًا عن الفرنسية من قوله: «الحق يا مخلوقاتي أنك أنا».

وعندهم أن الله تعالى أرسل رسله بالحقائق الكلية على طريقة الرمز لقصور عقول الناس عن إدراكها مدخرًا بيانها وكشف الأسرار عنها إلى (بهاء الله) مظهره الأكمل آخر الزمان.

والرسل عندهم مظاهر لله نفسه يتجلى بهم على الناس لهداية خلقه فالسابقون إلى بهاء الله إنما بعثوا لينبهوا الطبيعة الإنسانية النائمة فلما تم لها هذا التنبيه واستعدت لقبول الحقيقة سافرة، ظهر الله أولاً بمظهر (الباب) الملقب بحضرة العليّ ثم تم ظهوره وإشراقه أخيرًا في (بهاء الله) الذي كان منفيًا في عكا فهو في اعتقادهم المظهر الإلهي الأكمل تجلى على خلقه ليوحيَ إليهم الحقائق الخالدة التي توصلهم إلى حظيرته القدسية العليا.

قال داعيتهم الشيخ أبو الفضل الجرفادقاني في كتابه (الدرر البهية) في هذا الموضوع عن الأنبياء الأولين:

«وإنما بعثوا لسوق الخلق إلى النقطة المقصودة واكتفوا منهم بالإيمان الإجمالي حتى يبلغ الكتاب أجله وينتهي سير الأفئدة إلى رتبة البلوغ فيظهر (روح الله الموعود) يكشف لهم الحقائق المكنونة في «اليوم المشهود» يريد بروح الله الموعود خليفة الباب المسمى (بهاء الله).

وهم بعد أن قرروا هذه الأصول عمدوا إلى نصوص الكتب السماوية وأخذوا يؤولونها تأويلات غريبة وبعيدة أملاها عليهم تعمقهم في الخيال ليصلوا من ذلك إلى ما يؤيدون به أهواءهم ومزاعمهم الزائفة وضلالتهم السخيفة.

من التناقض الغريب أن يكون أساس الديانة التي تدعي كشف غوامض الأديان من الغموض والإبهام بحيث تستعصي على الأفهام ولا يقبلها العقل في أي زمان فإن القول بأن الله هو جميع الكائنات وأنه جل وعز قد يظهر في بعض الأفراد ليهدي الناس إلى سبيل الرشاد يرد عليه من النقض الداحض ما لا قبل لأحد على دفعه بالوسائل الكلامية. فإذا كان المذهب الذي يدعي بأنه كشف المشكلات وحل المعميات يجعل أساسه أغمض مسألة في تاريخ المعقولات الإنسانية كان ذلك خروجًا منه على أصله وعدوانًا صارخًا منه على أساسه.

وإذا نظرنا من ناحية فلسفية في تاريخ المسائل الدينية رأينا أن عاملين خطيرين قد فرقا بين الأديان، وجعلا أهلها شيعًا يضلل بعضهم بعضًا.

(أولهما): ما تجرأ عليه قادتها من التهافت على تصوير الخالق بصورة ذهنية.

و(ثانيهما): اعتمادهم على تأويل ما لم يحيطوا بعلمه ولم يكلفوا البحث فيه من الشئون العلوية. فبالعامل الأول اختلف أهل الملل في تحديد ذات الخالق، فأصبحوا بين معدد ومجسم ومشبه ومعطل، وجميعهم لا يصدرون عن علم مقرر ولا أصل محقق ولكن عن الخيال المحض. وقد تأدى أكثرهم إلى تألية أنبيائهم وقديسيهم.

فلما جاء الإسلام حسم مادة هذا العامل المفرق، فقرر أن الإنسان مهما

حلق في جو الخيال والتصوير وأبعد في مجال النظر والتفكير فلن يصل إلى إدراك ذات الخالق فأمر متبعيه بأن يقتنعوا بمحض الاعتقاد بوجوده مع تنزيهه الكامل عن كل ما يجول في خيال المشبهين وهو ما تدل عليه بداهة العقل. أما أي جهد يبذل فيما وراء ذلك ففضلاً عن أنه لا يأتي إلا بخيال لا حقيقة له يكون أثره المباشر اختلاف النحل إلى مذاهب لا عداد لها فلا تعود تجمعهم جامعة الدين الحق الموافق للفطرة البشرية، والمناسب لدرجة قواها المعنوية فقد قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، وقال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وإذا كان الإنسان لم يستطع أن يدرك إلى اليوم حقيقة المادة بين يديه، ولا حقيقة نفسه التي بين جنبيه ولا تركيب الوجود الذي يراه بعينيه فمن الفضول أن يتطاول إلى تصوير ذات الله بأي صورة تخطر بباله.

وأما العامل الثاني الذي مزق وحدة الأمم وجعلها شيعًا فهو صرف نصوص الكتب السماوية عن ظواهرها إلى ما يوافق أهواء البهائيين ويؤيد مزاعمهم التي يتشيعون لها.

جاء في الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام: «إني ذاهب إلى أبي وأبيكم ليبعث لكم الفارقليط الذي ينبئكم بالتأويل» وقوله: «إن الفارقليط الذي يرسله أبي باسمي» فذهب المسيحيون إلى أن المراد بـ «الفارقليط» روح القدس ولكن البهائية التي أولعت بصرف النصوص عن ظاهرها إلى ما يؤيد أهواءهم قالوا إن المراد بالفارقليط بهاء الله. (انظر كتاب الدرر البهية).

ومن هذا الشطط ما ذهبوا إليه في تأويل يوم الحسرة ويوم التلاق ويوم القيامة والساعة وأمثالها مما ورد في القرآن الكريم فقد أولوا كل ذلك بيوم نزول روح القدس وقيام مظهر أمر الله وهو البهاء في زعمهم. وليس يخفى على عاقل أنه سوغ البهائيون لأنفسهم مثل هذا التأويل الزائف فإنه يجوز لكل طائفة أن تتخذ ما تشاء من التأويلات التي لا يرضاها عقل ليؤيدوا بها أهواءهم مادام الأمر

جاريًا على قاعدة الترجيح بلا مرجح من أي ضرب كان.

ومن أغرب ما رأيناه من ضروب التأويل ما ذكره الشيخ الجرفادقاني في كتابه الدرر البهية في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤١، ٤٢].

فقال: «إن فيها تعيين حمل نزول الموعود وتصريحًا بأن نداء الرب تعالى يرتفع من الأرض المقدسة أقرب الأراضي إلى الأقطار العربية وهي الجزء الغربي من البلاد السورية» . يريد أن في هذه الآية إشارة إلى عكا حيث كان يقيم بهاء الله وأنه هو المنادى المذكور فيها وبداهة العقل تشهد بأن هذه الآية وردت في يوم القيامة كما هو ظاهر لا يحتاج إلى تأويل.

يتضح للقارئ مما مر أن الديانة البهائية قد تأسست على العاملين اللذين فرقا الأديان وجعلا أهلها شيعًا وهما الخوض في تناول ذات الله بالخيال وإطلاق العنان للتأويل بدون ضابط من العقل ولا ترجيح من العلم ولا مسوغ من اللغة.

طموح البهائية إلى أن تكون دينًا عامًّا للبشر:

إن طموح البهائية إلى أن تكون دينًا عامًّا يدخل فيه الناس على اختلاف جنسياتهم ونحلهم هو مما يقضي بالعجب لأنها ليست بدين سماوي وليس فيها من الأصول والمبادئ ما يلفت العقول إليها بعد أن بالغت في عرض نفسها على الأمم. فأين هي من الإسلام الذي بنى أممًا قوية ومدنيات فاضلة في خلال عصور متعاقبة ولا يزال على مثل حيويته الأولى حتى ليتوقع فلاسفة كثيرون ومنهم (برناردشو) الفيلسوف الإنجليزي المشهور. على أن مبادئ الإسلام يوشك أن تعم العالم أجمع. فهذه الحيوية القوية الدائمة في الديانة الإسلامية وصلاحيتها لأن تكون دينًا عامًّا للناس كافة إنما حصلتا لها بسبب قيامها على حقائق إلهية خالدة:

(أولاها) موافقتها للفطرة التي فطر الله الناس عليها.

(ثانيتها) اعتمادها على العقل والعلم.

فبموافقتها للفطرة الإنسانية ارتكنت على جملة الغرائز النفسية وينبوع قواها المعنوية. ولا يخفى أن هذه الفطرة واحدة في جميع أفراد النوع البشري وما ترمي

إليه من أغراض الوجود لا يتعدد إلا بعارض من التربية الفاسدة أو الوراثات الضالة ولكن الفطرة خلقت سليمة فلا تلبث حتى تستقيم على جادتها وتخلع كل ما صبغت به قهرًا من الصبغ الوقتية فمصيرها محتوم ومتعين وهو الوحدة العامة فلا مناص من أن الدين الذي يقوم على الفطرة الإلهية هو الذي سيكون له السيادة العامة حتمًا.

وباعتماد الديانة الإسلامية على العقل الكامل والعلم الصحيح قد ضمنت لنفسها العاقبة التي لا مفر للعالم منها وهي الإجماع البشري على أنها الدين الحق الذي لا معدل عنه.

فأنت ترى أن الإسلام قد استجمع جميع العوامل التي تضمن له التعميم والخلود وترد إليه الخلائق محفوزة بغرائزها الفطرية وبقوى الوجود التي تتولى الإنسانية.

فأين البهائية من هذا الموقف العلمي الحق، وهي تقوم على أصلين.

أحدهما: عتيق غامض قال به أفراد من محبي السبح في الخيالات في كل زمان ومكان ولم تصادف مذاهبهم إلا إعراضًا ونفورًا وهو تصوير ذات الله بصور المخلوقين. تعالى الله عما يقوله المبطلون علوًّا كبيرًا.

وثانيهما: وهو صرف الألفاظ عن ظواهرها مجال فسيح للظنون والأوهام والخبط قامت عليه فرق قبلها وجلت عن الأرض ولم تخلف أثرًا.

ليس العالم في حاجة إلى البهائية:

إن من يستقرئ أدوار التطورات العقلية والنظم الاجتماعية والديانات السماوية يجد أن كل تجديد في هذه المجالات نشأ عن حاجة ماسة إليه من الشعوب والأمم وأن كل نجاح يصيبه دين من الأديان أو نظام من النظم يكون مناسبًا للقدر الذي يحمله إلى الناس من الوفاء بتلك الحاجات فقد نشأت الفلسفات والمذاهب متعاقبة فكان كل متأخر منها يكمل نقصًا في سابقه وجرت النظم الاجتماعية على هذا السمت نفسه فكان منها سلسلة متتالية الحلقات تسد كل تالية منها خلة في سابقتها.

وعلى هذا التدرج الطبيعي المطرد تتابعت الديانات على الإنسانية فكانت كل واحدة منها تحمل للعالم نظامًا جديدًا دعت الحاجة إليه، واقتضته الضرورة ناسخة ما بطلت الحاجة إليه أو ما كانت ضرورته محلية وتزيد على ذلك بيان ما أخطأ البشر في فهمه من الوحي السابق عليها أو تصحيح ما تعمدوه من تحريفه.

فمن يتأمل في الأديان السماوية الثلاثة التي محص العلم تاريخها وهي اليهودية والنصرانية والإسلامية يجد هذه التجديدات المتعاقبة ماثلة فيها مثولاً محسوسًا. فموسى عليه السلام قضى على الوثنية في أمته وجاء بشريعة هادمة لها وكافح الضلالات التي كان يقول بها قومه كفاحًا شديدًا وبين أخطاءهم فيها بيانًا صريحًا. وعيسى عليه السلام أرسل لتعديل ما اعوج من أمر بني إسرائيل وتصحيح ما تحرف من أصولهم مقررًا أصولاً جديدة دعت إليها ضرورة الاجتماع على عهده.

ومحمد ﷺ خاتم المرسلين قضى على الوثنية التي كانت سائدة في بيئته وتصدى لليهودية والنصرانية فرد أصولهما إلى حقائقها وقوم نظر الآخذين بهما ونسخ ما بطلت الحاجة إليه منهما ودعا العالم كله إلى وحدة الدين ووحدة الوجهة والغاية مؤسسًا دعوته هذه على أصل لا يمكن أن يختلف فيه عاقلان، وهو: أن الله واحد ودينه لجميع خلقه واحد. فإن آنس ناقد أن الأديان متخالفة فإنما حدث ذلك من فعل قادتها والقائمين بشرحها وتأويلها، فطالب كل آخذ بها بالرجوع إلى أصلها، وأصلها هو الإسلام الذي أوحي إلى كل الرسل السابقين ثم إلى خاتمهم محمد على فترة منهم. وشفع هذا البيان الحاسم بنظام اجتماعي محكم أقامه على الفطرة والعقل والعلم والأعلام الكونية. وأودع ذلك كتابًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فهل العالم بعد هذا البيان في حاجة إلى البهائية؟

ما هي الأصول التي تسمح لها أن تطمح إلى قيادة العالم كله وأن تقر بها السلام العام في الأرض؟

هي ما تحلم به من أنها تفسر غوامض المسائل الدينية وتوفق بين نصوصها

الكتابية من طريق صرفها عن ظواهرها زاعمة أنها ترمي بذلك إلى ربط الأمم برابطة أخوية مجردة عن الخلافات المذهبية. وقد رأيت أثر هذا الأصل في إفساد كيان الأديان وصرفها عن حقائقها الأولية.

هل آتت البهائية العالم أصولاً جديدة؟

تدعي البهائية أنها آتت العالم بجديد من الأصول لم يدر في خلد المصلحين قبلها كاتحاد الأديان وترك التعصبات واتحاد الأجناس ومساواة المرأة بالرجل والسلام العام متذرعين بذلك إلى القول بأن القرآن ليس ختام الوحي السماوي وأن النبي ﷺ وإن كان آخر المرسلين إلا أنه ليس المظهر الأكمل لله تعالى وهي المنزلة التي حفظت في زعمهم لبهاء الله وحده وأن الإسلام ليس بالدين العام الأخير فهذا الوصف لا ينصرف في وهمهم إلا على البهائية دون سواها. كل هذا ليس بحق وليس عليه مسحة من علم ولا عبقة من عدل.

فأما ما سموه باتحاد الأديان فقد سبق إليه الإسلام وأسسه على أقوى الأصول وحاطه بأحكم الدلائل فقرر أن أصل الأديان كلها واحد وأن الخلافات التي بينها ما حدثت إلا بسبب ما أدخله قادتها عليها من الأضاليل والأوهام فقد قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٣-١٥].

وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ

وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣، ٨٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فالإسلام يفرض على أهله القول بوحدة الدين فرضًا، ويأمرهم بالاعتقاد بجميع الرسل من غير تفريق بينهم، جاعلاً القول بهذه الوحدة أساسًا للدين الحق، لا يقبل إيمان يقوم على أساس غيره، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فوحدة الدين كما ترى هي الأساس الذي يقوم عليه الإسلام والإيمان بجميع الرسل والكتب السماوية شرط أولي فيه مع فارق كبير بينه وبين البهائية، وهو أنه مع تأسسه على وحدة الدين، يبين الأسباب التي ولدت من هذه الوحدة تعددًا وهي ما دسه قادة الدين فيه من ضلالاتهم وخزعبلاتهم ثم يكر عليها بالنقض والتجريح على طريقة التمحيص العلمي الصحيح لا كما تفعل البهائية من تكلف تأويل كل هذه الضلالات التي ثبت علميًا أنها من مولدات الأوهام في عصور الطفولة البشرية.

أما ترك التعصبات فإن كان المراد منه التعصبات الجاهلية التي تحمل على اضطهاد المخالفين في الدين فهذا قد سبق إلى تقريره الإسلام وعمل به أهله مما أصبح مضرب الأمثال فقال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

ولكن ليس من التسامح في شيء أن تقول للناس وهم يختلفون في النظر ويتفاوتون في الفهم ويتباينون في التمحيص: إنكم كلكم على الحق وإن ما تتخالفون فيه له عندي وجوه من التأويل فاثبتوا على ما أنتم عليه منها فإنه يؤديكم جميعًا إلى غاية واحدة ولكن الإصلاح كل الإصلاح أن تبين الحق عند

أي فريق كان وتؤيده وأن تنقد الباطل وتدحضه وتحذر منه وأن تبتعد فيما أنت بسبيله عن تأويل الوساوس لتعيرها مظهرًا من الحق فإنها بذلك تصبح أفتك لأهلها وأضل لهم مما كانت عليه مجردة من الزخارف الكلامية.

هذا ما نفهمه وما فهمه الناس قديمًا وما يفهمه أهل البصر حديثًا وليس وراءه مذهب كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

أما اتحاد الأجناس فإن الإسلام سبق العالم كافة إلى الدعوة إليه وأيده بالدلائل العلمية التي لا تقبل الدحض، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

وقال النبي ﷺ: «**إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح كلكم من آدم وآدم من تراب**» .

وقد جرى العمل في العالم الإسلامي على هذا الأصل منذ صدره الأول إلى اليوم فالبهائية قد تأخرت فيه عن الإسلام نحو ثلاثة عشر قرنًا. أما مساواة المرأة بالرجل فإن كانت في الحقوق الطبيعية والمدنية والشرعية والعلمية فإن الإسلام قد بلغ من كل ذلك المدى الذي ليس بعده مطمح فاعتبر المرأة إنسانًا حرًّا لها أن تتصرف في ممتلكاتها وأموالها بدون توقف تنفيذ إرادتها على إرادة زوجها وهو ما لم تصل إليه المرأة الغربية بعد وأن تعامل أمام القضاء بما يعامل به الرجل على قدم المساواة وأن تطلب من العلم ما تطمح همتها إليه دون حجر ولا تحديد وأن تحضر الصلوات في المساجد وأن تشهد الأمور العامة للمسلمين وأن تبدي رأيها فيها وأن تعلم الناس إن بلغت مرتبة التعليم وأن تفتي في المعاضل. وزادت الشريعة الإسلامية في العناية بها ففرضت على أبيها ثم على زوجها أن يكفياها الكد لنيل العيش فإن لم يكن لها أب ولا زوج وجب على أقاربها القيام بذلك فإن تجردت من كل قرابة وجب على بيت المال أن يسد عنها هذه الخلة.

نعم؛ إن الإسلام جعل نصيبها من الميراث النصف مما للذكور ولكن لم

يكن منه ذلك احتقارًا لشأنها بل لأنه لم يكلفها السعي لتحصيل قوتها.

فإذا أريد بالمساواة أن يلقى حبلها على غاربها أو أن تتبرج تبرج الجاهلية طائفة الشوارع وغاشية الأسواق لفتنة الرجال فإن الإسلام لا يسمح لها بذلك ولا يعده من الإكبار لها بل إنه قد حرم ذلك على الرجال أيضًا. وأنت ترى أن أوروبا تجني اليوم الشر المستطير الناجم من هذه الإباحة وتعمل جاهدة على تلافي مضارها.

بقيت مسألة السلام العام بين الأمم وفيها نقول:

لا يجوز أن يتحدث متحدث عن السلام العام إلا بعد أن يدقق البحث في الحوائل التي تحول دونه ليعرف ما هو منها متأصل في طبائع البشر وما هو عارض من عوارض طبيعة العمران وما هو ناشئ من تأثير التربية وما هو صادر من التقاليد الوراثية للجماعات وما هو مبني على حاجات اقتصادية قاهرة، إلخ إلخ؛ ليعالج ما يقبل العلاج منها ويترك ما لا يقبله إلى التطورات المقبلة. هذا إذا أراد الداعي إلى السلام العام أن لا تكون دعوته كلمة جوفاء تجوب الخواء ولا تحدث أثرًا كما حصل في كل زمان ومكان.

وفي رأينا أنه لا يجوز الكلام في السلام العام قبل أن يتوطد السلام الخاص لكل أمة بين آحادها فإننا نرى حروبًا ومعارك تشب نيرانها بين طبقات الأمة الواحدة فيسفك بعضها دماء بعض تحت اسم ثورات أهلية أو انقلابات اجتماعية أو اغتصابات اقتصادية. بل نرى ما هو أخص من ذلك من العدوانات الفردية فيقتل الآحاد لأقل الأمور شأنًا أو لمجرد النهب والسلب وإشباعًا للشهوات البهيمية وتضطر الحكومات إزاء هذه الحالات أن تتخذ جنودًا مسلحين للضرب على أيدي المعتدين.

فإذا كانت الحرب تشب بين آحاد ذوي قومية واحدة ودين واحد رغمًا عن النظم التي تتذرع بها الحكومة لقيادتهم ورغمًا عن المواعظ التي تلقى عليهم والآداب التي لقنوها في طفولتهم فهل يطمع طامع أن يوجد سلامًا عامًا بين أمم من قوميات متخالفة وقوى متباينة وهي تحت تأثير عوامل وبواعث من كل

ضرب؟

فإذا كانت البهائية تكتفي من التحكك بمبدأ السلام العام بمجرد الدعوة إليه فلها ما أرادت ولكنها تكون منها على حد ما سبقها وما تلاها من الطوائف والجمعيات الكثيرة.

نظر الإسلام على عادته في كل شأن خطير إلى هذه المسألة من أخفى نواحيها وأتى بالقول الفصل فيها.

فقرر أولاً: الأصل الطبيعي الذي تقوم عليه الجماعات في وحداتها وفي مجموعها وهو الأصل الذي يكفل بقاءها ويضمن استمرارها وينفي العوامل المفسدة عن كيانها فقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١]، نعم: لفسدت الأرض ألا ترى أن الله يدفع بالحكومة عدوان العادين على نظمها المقررة وعلى الآحاد الوادعين منها؟ ولولا ذلك لحلت الفوضى وتغلب أقوياؤها على ضعفائها وسلبوهم ما بأيديهم فيفسد كيانها وتنحل ربطها وتجلو عن سطح الأرض.

ولولا أن الأمم قد ألهمت أن تستعد لرد المغيرين عليها ودفع الطامعين فيها لانحلت عراها وتفرق آحادها ولم يبق لها وجود بين الأمم.

فهل كان يراد من الإسلام أن يخالف في ذلك السنن الاجتماعية ليقضى عليه وليدًا في مهده قبل أن يؤدي للعالم الخدمة المنتظرة منه؟

ألا تعجب أن البهائية نفسها لجأت في آخر عهدها ببلادها إلى التحاكم إلى السيف فابتنى أشياعها حصنًا لهم في مازندران وأصلَوا جيوش الحكومة نارًا حامية ثم اعتراهم الوهن فأخذتهم الأسنة من كل مكان حتى لم تبق لهم دعوة علنية في عقر بلادهم.

فإذا كان الذين يفخرون بأنهم يدعون إلى السلام العام اضطروا إلى اللجوء إلى الحرب، أليس هذا دليلاً محسوسًا على أن هذه الوسيلة لا تزال من حاجيات الحياة الاجتماعية وأن الضرورة قد تدفع إليها فلا يكون بدٌّ منها وقد شرعت في الإسلام للدفاع عن الحوزة وحماية الدعوة: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ

ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

خاتمة:

يتبين مما مر أن البهائية لا تصلح أن تكون دينًا قائمًا بنفسه ولا إصلاحًا في دين سابق عليها، بله أن تكون دينًا عامًا للبشر كافة.

فأما وجه عدم صلاحيتها لأن تكون دينًا قائمًا بنفسه فقد سبق بيانه.

وأما وجه عدم صلاحيتها أن تكون إصلاحًا في دين سابق عليها كالبوذية في البرهمية وكالبروتستانتية في المسيحية فلأنها لم تتصد لدين واحد لتقويم نظر أهله فيه وتعديل عوجهم في فهمه ولكنها تناولت الأديان جملة محاولة التوحيد بينها على ما في غالبها من التحريفات الظاهرة والآراء الباطلة.

ولكن الإسلام بعد أن أسس بنيانه على الأصول الخالدة التي تذعن إليها الإنسانية قرر أن الله سبحانه وتعالى أوحى دين الفطرة هذا إلى رسله في خلال العصور، ولكن قادته من بعدهم أخرجوه عن صراطه وحرفوا أصوله على ما تصوره لهم أوهامهم. لهذا السبب اختلفت الأديان كل الاختلاف فأعاد الله وحي هذا الدين إلى خاتم رسله محمد ﷺ ليرد إليه الغالين والمقصرين وأمره بأن يبلغ ذلك إلى الأمم كافة ففعل.

فهذه الدعوة التي يذعن لها العقل ويؤيدها العلم والفلسفة والتاريخ من كل وجه تصلح أن تعمم بين البشر وهي مادة الإسلام وصبغته الإلهية التي واجه بها العالم كله.

فإذا كانت الفطرة الإنسانية قد ألهمت أن لابد لها من دين تسكن إليه فلا يمكن أن يكون ذلك الدين إلا موافقًا لتلك الفطرة ولا يجوز أن يكون مخالفًا للعقل الذي جعله الله مميزًا بين الحق والباطل ولا مناقضًا للعلم الذي كتب له أن يعم الناس كافة.

وقد نقد العقل والعلم كل ما ورد عن الأمم في دور طفولتها من التقاليد

والموروثات الضالة واعتبرها وساوس لا يصح أن تبقى في عهد الرشد الذي بلغته الإنسانية فألقيا بها بعيدًا عن مجال النظر. فإذا كان قد بقي في الناس من يأخذون بتلك الوساوس، فلن يطول عهدهم في هذه الطفولة ولا بد من أن يأتي عليهم حين من الدهر يخضعون فيه تحت تأثير التربية القويمة والثقافة العلمية لمقررات العلم فيجدوا الإسلام عنده. نحن نعلم أن الذي حدا البهائية إلى سلوك طريقة التأويل إنما هو تآلف عامة الشعوب لتسارع إلى الدخول فيها محفوزة بتقاليدها وموروثاتها وكان الأولى بها أن تتألف العقل والعلم فإنهما دائبان على القضاء على تلك البقايا الطفيلية من الأوهام الرثة وقد لا يمضي قرن أو قرنان حتى لا يبقى لهذه الأوهام أثر في عقلية الجماعات الإنسانية. فإلى أية حالة يؤول أمر البهائية يومئذ؟ لا شك في أنها تؤول إلى التلاشي الذي لا قيام لها بعده.

فالدين العام كما نرى هو الذي يكون بطبيعته وجوهره مشايعًا لأدوار رقي العقل السليم ومنتهيًا معها إلى حيث تنتهي من درجات الكمال المنتظر من إدراك الحق مجردًا من كل صبغة بشرية أو نزعة وهمية يوم لا تبقى إلا صبغة الله وحده، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة:١٣٨] وهذا الوصف ينطبق على الإسلام وحده كما رأيت سواء أكان من ناحية طريقته الإصلاحية في تطهير النفوس وإحياء القلوب أم من ناحية أسلوبه في مسايرة العلم والفلسفة إلى غاياتها.

فالمآل للإسلام حتمًا مقضيًا وقد أشار الله تعالى إلى ذلك فقال: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وقد اعتقد هذا المصير كثير من الأجانب عن الإسلام فقال المؤرخ الإنجليزي الكبير بوسورث سميث في كتابه (محمد والديانة المحمدية): «إنه سيأتي يوم تعترف فيه أدق فلسفة وأخلص مسيحية بأن محمدًا رسول الله حقًا».

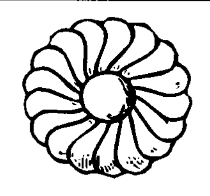
يستخلص مما مر كله أن البشرية ليست في حاجة إلى دين جديد بعد الإسلام فإنه استكمل جميع شرائط الدين العام وقام على نفس الدرب الذي

تسلكه العقول للوصول إلى الحقائق الخالدة. وقد أعلن كتابه أن آيات الله في الآفاق وفي الأنفس ستكشف للناس بالدلائل القاطعة أنه الحق فيجمعون على الأخذ به والانضواء تحت علمه فقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣].

محمد فريد وجدي

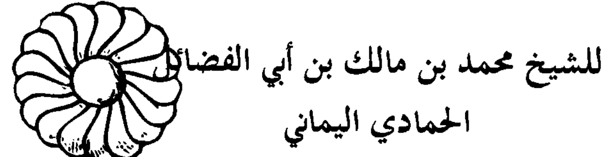
مجلة الأزهر

المجلد الخامس

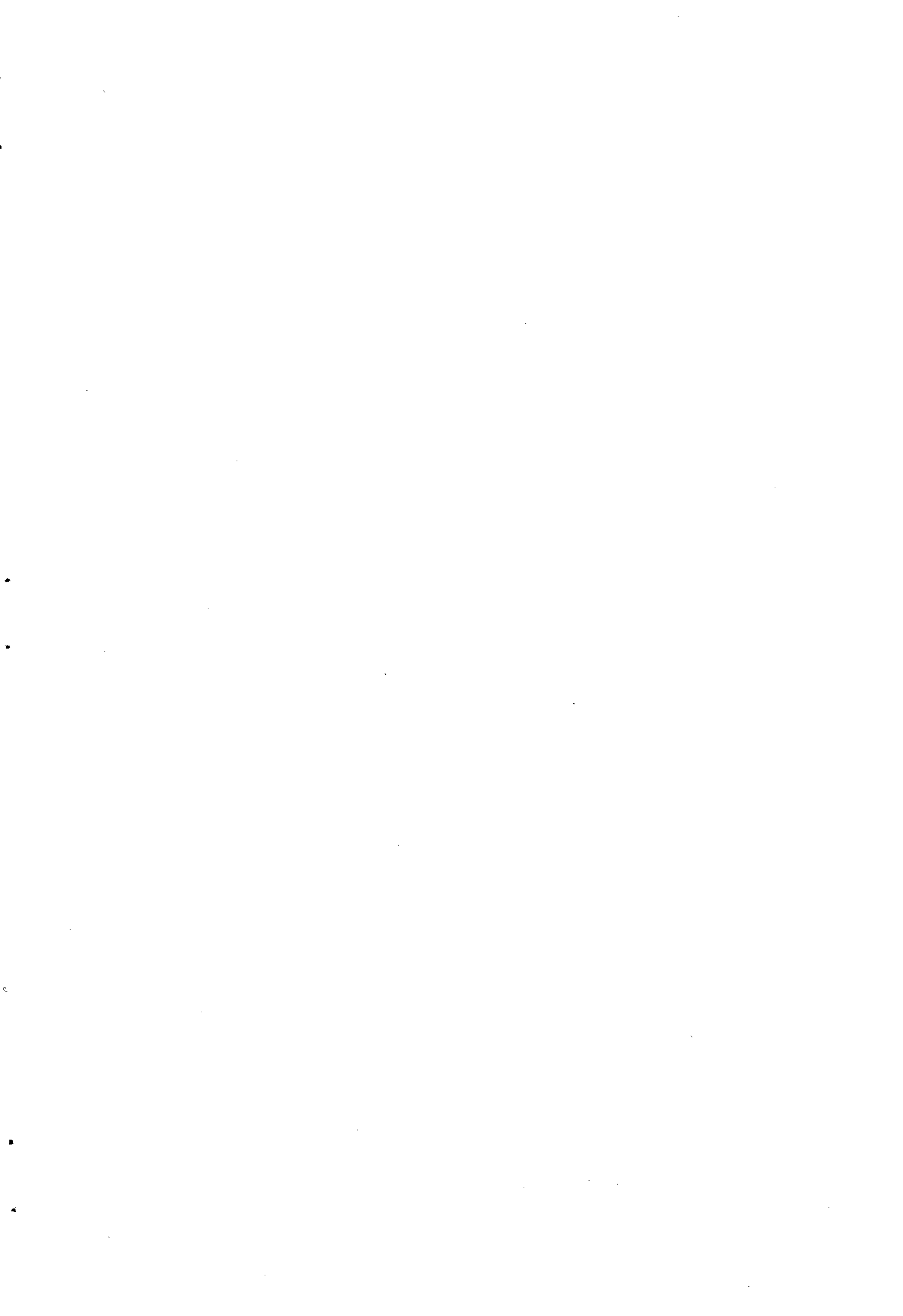


الفصل الرابع / كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة

وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم



للشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني



ترجمة المؤلف والكتاب

حياة المؤلف الفكرية:

مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي من أهل اليمن وقد عاش في أواسط القرن الخامس الهجري (نحو ٤٧٠هـ- نحو ١٠٧٧م).

وللأسف لم تسجل أي من المصادر التاريخية شيئًا عن حياته يتجاوز ما ذكره هو في كتابه «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة»، ولم يأتنا أي كتاب آخر له باستثناء هذا الكتاب.

وكما يتضح من سياق كلامه في الكتاب المذكور أنه كان معاصرًا للدولة الصليحية في اليمن وعاش حتى نحو عام ٤٧٠هـ، ففي نهاية الكتاب ما يدل على أنه مات بعد زواج الحرة «أروى بنت أحمد» بالمكرم الصليحي أحمد بن علي وليس فيه ما يشير إلى إدراكه وفاة علي بن محمد سنة ٤٧٣هـ، فقد عاصر عهد الإمام المستنصر من خلفاء الفاطميين بمصر بذليل أن آخر إمام ذكره من أئمة الفاطميين كان هو هذا الرجل.

وقد كان في بدء حياته الفكرية على طريقة أهل السنة والجماعة حتى نشأت الدولة الصليحية القرمطية فكان يسمع عن معتقدات مؤسسها أبي الحسن علي بن محمد الصليحي وأغلب ما كان يسمعه عنه كلامٌ سيئٌ ينتقد معتقداته بشدة بل ويكفره ويكفر ما يصدر عنه من أعمال وسلوكيات وبحكم ما كان يتحلى به محمد بن مالك -كما يبدو- من موضوعية لم يكن يصدق ما يسمعه أو يكذبه؛ لأن الذين كانوا يتحدثون لم يكن لديهم دليل يبرهنون به على صدق دعاويهم فقرر أن يدخل إلى مذهب الصليحي القرمطي حتى يتبين له حقيقة الأمر وبالفعل تظاهر باعتناق المذهب واطلع على كتبه اطلاع المتصفح وهنا ظهر له مخالفة ما رآه وسمعه وقرأه لعقيدة أهل السنة والجماعة مخالفة عميقة فعقد العزم على كتابة تجربته مع هذا التيار لكي يكشف النقاب عن الأسرار الخبيئة له؛ فيعرف المسلمون ماهيته وتعاليمه ومدى اتساقها أو تناقضها مع القرآن والسنة كما يفهمهما أهل السنة والجماعة.

مضمون الكتاب:

من المعلوم أن الباطنية فرق عديدة تتشابه فيما بينها في الكثير وتختلف في القليل والمؤلف لا يتناول كل هذه الفرق وإنما يتناول فرقة واحدة فقط هي فرقة القرامطة بل لا يتناول كل ما يتعلق بهذه الفرقة تاريخيًّا وعقائديًّا وإنما يعرض فقط لها كما ظهرت في اليمن وإن كان أحيانًا يعرج على بعض أخبارها في مناطق أخرى.

وهو يبتدئ كلامه في هذا المضمار ببيان تجربته مع القرامطة الصليحيين موضحًا أساليبهم وتكتيكاتهم في الدعوة إلى مذهبهم وكيفية تدرجهم بالمستجيب شيئًا فشيئًا في درجات ومراتب المذهب. ويكشف النقاب عن تعاليمهم وآرائهم وعقائدهم وسلوكياتهم.

ثم ينتقل إلى العرض التاريخي لأصل دعوة القرامطة وجذورها وتطورها فيتحدث عن ميمون القداح وعن ابنه ويذكر نشاطهما في تأسيس الدعوة ونشرها ثم ينتقل إلى الحديث عن أهم رجالاتها وناشريها في العالم الإسلامي مثل: أبو سعيد الجنابي والحسن بن مهران وزكرويه بن مهرويه وعلي بن فضل والمنصور الحسن بن زاذان ويركز على تاريخ هذين الرجلين الآخرين؛ لدورهما البارز في إدخال الدعوة القرمطية إلى اليمن وتأسيس دولة القرامطة فيها.

ويحرص أثناء العرض لتاريخ هؤلاء على إبراز تعاليم المذهب، ويكثف الحديث عند ذكر الصراعات والمناوشات بين كتائب الحركة والجيوش المضادة.

وقرب نهاية الكتاب يذكر أولاد المنصور واستخلاف عبد الله بن عباس الشاوري وولايته الدعوة وعلاقته بعبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا.

وآخر ما يسجله في كتابه: بيان ابتداء دولة الصليحيين وشيء من تاريخها ثم يختم بتحذير المسلمين من الوقوع في شباكهم ومن الانخداع بتعاليمهم.

منهج المؤلف في الكتاب:

عندما يستقرئ المرء الكتب المصنفة في مجال الفرق الباطنية يجد أن

مصنفيها لم يخرجوا عن ثلاثة مناهج في عرضهم لهذه الفرق هذه المناهج هي:

١- المنهج الاستردادي: الذي يحرص منتهجوه على رد أفكاره الباطنية ومعتقداتهم وكافة تعاليمهم إلى أصولها الفلسفية والدينية فيظهرون ما أخذه مفكرو الباطنية عن المذاهب القديمة مثل: الهرمسية والأفلاطونية المحدثة والأنوية اليهودية وما إلى ذلك من فلسفات وديانات. كما يحرصون على كشف وسائلهم التي يتبعونها في تحوير هذه الأفكار وتنميقها وتوظيفها بالشكل الذي يتلاءم مع أهدافهم.

٢- المنهج البنيوي الجدلي: الذي يقتصر متبعه على بيان سمات مذهبهم ومبادئ دعوتهم ونية عقائدهم ثم يعرج على محاجتهم والجدال معهم محاولاً تصديع أركان عقيدتهم وإثبات خطأ منهجهم.

٣- المنهج التأريخي: وهذا هو منهج المؤرخين الذين يوردون في مصنفاتهم أخبار وتواريخ الحركة وكيفية ظهورها وانتشارها. ويذكرون أهم رجالها ودور كل منهم ومدى نجاحه أو إخفاقه مع التركيز على بيان حروبهم وصراعهم مع الفرق المضادة.

هذه هي المناهج الثلاثة التي ينتهجها المصنفون في هذا المضمار. وإذا ما أردنا معرفة موقع كتاب محمد بن مالك «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» من هذه المناهج أو معرفة موقع هذه المناهج من كتابه فلاشك أنه ينتمي إلى أصحاب المنهج الثالث: المنهج التأريخي.. فهو يذكر أخبارهم وتواريخهم وحروبهم وهذا هو الأساس والجوهر في عمله وإن كان الأمر لا يخلو من التحويم حول جزء المنهج الثاني ولكن من بعيد جدًّا.

أسلوب الكتاب:

أسلوب المؤلف في هذا الكتاب هو أسلوب السرد الحكائي وهو بسيط خالٍ من التعقيد موجز بعيد عن الإسهاب يخلو من أساليب الجدال ويفتقد إلى الحوار البرهاني؛ ويقف عند حدود أسلوب الإقناع الخطابي، ولا أدل على ذلك من أن المؤلف عندما يريد أن يفند رأيًا من آرائهم أو ينقد فكرة من أفكارهم

فإنه يكتفي بإعلان السخط والدعاء بالعين والحكم بالتكفير دون أن يورد الحيثيات البرهانية ولك أن تقارن في هذا الصدد بينه وبين القاضي عبد الجبار أو الغزالي أو عبد القاهر البغدادي فيتبين لك البون الشاسع بينه وبينهم.

التصنيف في مذاهب الباطنية وتاريخهم قبل محمد بن مالك:

سبق مؤلفون عديدون -تاريخيًا- محمد بن مالك في تصنيف الكتب عن الباطنية بفرقها المختلفة والرد عليها:

فقد قام أبو عبد الله بن رزام بتأليف كتاب في الرد على الباطنية وذلك في نهاية القرن الثالث ومطلع الرابع الهجري.

ثم أرّخ لهم ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الحراني في تاريخه الكبير وقد بدأ ثابت تأريخه لهم ولغيرهم من عهد الخليفة المقتدر المتوفى سنة ٣٢٠هـ- ٩٣٢ م، ووصل بتاريخه حتى الأحداث التي وقعت قبل وفاته مباشرة سنة ٣٦٥هـ- ٩٧٥م.

ثم ألف محمد الملطي المتوفى بعسقلان سنة ٣٧٧هـ- ٩٨٧م، كتابه المشهور: «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع»، وتعرض في جزء منه لعقيدة القرامطة وفقههم وتعاليمهم.

ثم جاء سعد بن محمد أبو عثمان الغسّاني القيرواني في نهاية القرن الرابع الهجري فألّف كتابًا عن الفرق أفرد جزءًا منه في بيان معتقدات الباطنية والرد عليها.

كما صنف القاضي محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى ببغداد سنة ٤٠٣ هـ- ١٠١٣م كتابه المهم «كشف الأسرار في الرد على الباطنية»، (والذي أفاد منه ابن حزم -فيما بعد- في كتابه «الفصل»، والغزالي في كتابه «فضائح الباطنية»).

وقد كتب عنهم ورد عليهم القاضي عبد الجبار المتوفى بالري سنة ٤١٥هـ- ١٠٢٥م، وذلك في كتابه القيم «تثبيت دلائل النبوة».

ثم جاء إسماعيل بن علي بن أحمد البستي الذي كان تلميذًا مرموقًا للقاضي

عبد الجبار وتوفي سنة ٤٢٠هـــ- ١٠٢٩م تقريبًا وألف كتابه «كشف أسرار الباطنية» الذي استعار اسمه محمد بن مالك مؤلف الكتاب الذي بين أيدينا.

وفي نفس هذه الفترة تقريبًا صنف ابن سعيد الإصطخري مؤلفًا في بيان مذهب الباطنية والرد عليهم.

هذه -تقريبًا- أهم الكتابات قبل الشيخ محمد بن مالك في بيان فرق الباطنية والتأريخ لهم والرد عليهم، ومؤلفوها إما أنهم من أهل السنة أو من المعتزلة.

وهناك تراث ضخم ألّفه رجال الباطنية أنفسهم قبل مجيء محمد بن مالك ولكنا فضلنا الاقتصار على ذكر المصنفات في الرد عليهم؛ لأن دراسة محمد بن مالك تنتمي إلى هذا النوع من المصنفات.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أُنيب ...

محمد عثمان الخُشت

القاهرة في: ربيع ثان ١٤٠٦هـــ

ديسمبر ١٩٨٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن مالك -رحمة الله عليه-: اعلموا أيها الناس المسلمون عصمكم الله بالإسلام وجنبنا وإياكم طرق الآثام وأصلحكم وأرشدكم ووفقكم لمرضاته وسددكم- إني كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي[1] كما تسمعون، وما يتكلم به عليه من سيئ الإذاعة وقبح الشناعة. فإذا قال القائل:

«هو يفعل ويصنع».

قلت: أنت تشهد عليه غدًا.

فيقول: «ما شهدت ولا عاينت بل أقول كما يقول الناس»! فكنت أتعجب من هذا أولاً، ولا أكاد أصدق ولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس، ونطقت به الألسن.

فتارة أقول: هذا ما لا يفعله أحد من العرب والعجم ولا سمع به فيما تقدم في سالف الأمم، إنما هذه عداوة له من الناس للمآل الذي بلغه من غير أصل ولا أساس.

---

(١) الذي أسس الدولة الصليحية وأحد من ملكوا اليمن وحكموها بالحزم والقوة. اسمه كاملاً: علي بن محمد بن علي الصليحي أبو الحسن ولد سنة ٤٠٣هـ=١٠١٢م في مدينة "قتر" من أعمال حراز، وكان أبوه القاضي محمد حاكمًا في جبل مسار (من أعمال حراز باليمن) شافعي المذهب ونشأ "عليّ" في بيت علم وسيادة، فقيهًا تواقًا للرياسة. قرأ في صباه بمدينة "عدن لاعة" وكانت أول موضع ظهرت فيه الدعوة العلوية باليمن وهي غير "عدن أبين" الساحلية -كما في تاريخ اليمن لعمارة وصحب عامر بن عبد الله الرواحي أحد دعاة الفاطميين فمال إلى مذهبهم ويقول المقريزي: إنه صار إمامًا فيه، وجعل يحج دليلاً بالناس ويتألف منهم من يتوسم فيه الإقبال عليه. حتى كان له ستون نصيرًا من مختلف القبائل حالفوه بمكة في موسم سنة ٤٢٨هـ على الدعوة للمستنصر العبيدي صاحب مصر. ثم امتنع بهم في جبل مسار (سنة ٤٢٩هـ) وتكاثر جمعه فلم تكن سنة ٤٥٥هـ حتى ملك اليمن كله وكان مقدامًا جبارًا شاعرًا فصيحًا من دهاة الملوك وقد قتله سعيد الأحول وهو في طريقه إلى مكة سنة ٤٧٣هـ=١٠٨١م، أخذًا بثأر أبيه الذي كان قد قتله في جملة من قتل من ملوك اليمن. الأعلام (٣٢٨/٤)، وبلوغ المرام ٢٤ وفيه: "الصليحي نسبة إلى الأصلوح من بلاد حراز باليمن" والذهب المسبوك للمقريزي ٣٥ وفيه وصف الصليحي بأنه "أحد ثوار العالم".

وكنت كثيرًا ما أسمعه يقول: «حكم الله لنا على من يظلمنا ويرمينا بما ليس فينا».

فرأيت أن أدخل في مذهبه؛ لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه؛ ولأطلع على سرائره وكتبه فلما تصفحت جميع ما فيها وعرفت معانيها رأيت أن أبرهن على ذلك؛ ليعلم المسلمون عمدة مقالته، وأكشف لهم عن كفره وضلالته؛ نصيحة لله وللمسلمين، وتحذيرًا ممن يحاول بغض هذا الدين .. والله موهن كيد الكافرين.

فأول ما أشهد به وأشرحه وأبينه للمسلمين وأوضحه أن له نوابًا يسميهم: «الدعاة المأذونين»[١]، وآخرين يلقبهم: «المكلبين»؛ تشبيهًا لهم بكلاب الصيد؛ لأنهم ينصبون للناس الحبائل ويكيدونهم بالغوائل وينقبضون عن كل عاقل؛ ويلبسون[٢] على كل جاهل، بكلمة حق يراد بها الباطل يحضونه على شرائع الإسلام من الصلاة والصيام والزكاة كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه.

فيقيم أكثر من سنة يمعنون به وينظرون صبره ويتصفحون أمره ويخدعونه بروايات عن النبي ﷺ محرفة وأقوال مزخرفة ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ويحرفون الكلم عن مواضعه.

فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعلمونه والانقياد بما يأمرونه قالوا حينئذ: اكشف عن السرائر ولا ترض لنفسك ولا تقنع

---

(١) للدعاة في المذهب الباطني الإسماعيلي القرمطي مراتب عشرة، يسمونها مراتب الحدود المؤثرة في الأنفس ويحتل الداعي المأذون بنوعيه: المأذون المطلق والمأذون المحصور – المرتبتين: التاسعة والعاشرة، ووظيفة المأذون المطلق: أخذ العهد والميثاق وتعريف رسوم الدين وآدابه، أما المأذون المحصور فمهمته: المكاسرة والمجادلة والهداية إلى الدعوة والاعتصام بها. لمزيد من التفاصيل يراجع راحة العقل لحميد الدين الكرماني الذي يعتبر من أكبر أقطاب الكلام الباطني الإسماعيلي، ويمكن الرجوع أيضًا إلى كتابنا "حركة الحشاشين: تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي".

(٢) لبس عليه الأمر: خلطه عليه حتى لا يعرف حقيقته، وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾.

بما قد قنع به العوام من الظواهر وتدبر القرآن ورموزه واعرف مثله وممثوله[1]، واعرف معاني الصلاة والطهارة وما روي عن النبي ﷺ بالرموز والإشارة دون التصريح في ذلك في العبارة؛ فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة لممثولات محجوبة؛ فاعرف الصلاة وما فيها وقف على باطنها ومعانيها فإن العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه (فاسأل وابحث)[2].

فيقول: عم أسأل؟

فيقول: قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠] ومواضع أخرى من القرآن الكريم.

فالزكاة مفروضة في كل عام مرة وكذلك الصلاة: من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار وأيضًا فالصلاة والزكاة لهما باطن؛ لأن الصلاة صلاتان والزكاة زكاتان والصوم صومان والحج حجان وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن يدل على ذلك: ﴿ وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن؟ فالظاهر ما تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام وأما

---

(١) تتم معرفة المثل والممثول في القرآن عندهم حسب قانون المماثلة الذي يعتبر الميزان لمعرفة الحق من الباطل عندهم على غرار المنطق الذي هو ميزان الفلاسفة وغرار النحو ميزان أهل اللغة، وتتم المماثلة في عقيدتهم بين معانٍ وآراء جاهزة لديهم تشكل قوام مذهبهم وبين المعنى الظاهر الذي تعطيه النصوصُ القرآنية. ولتوضيح هذه العملية نعطي النموذج التالي من تفسيراتهم للقرآن، فعند قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ قالوا إن المقصود بـ "البحرين": علي وفاطمة، وبـ"البرزخ": محمد ﷺ، وبـ "اللؤلؤ والمرجان": الحسن والحسين، ففي هذا النموذج التفسيري عملية مماثلة بين مُثل وممثولات تتكون المثل من البحرين والبرزخ واللؤلؤ والمرجان والعلاقة التي تقوم بينها وتتكون الممثولات من: علي وفاطمة ومحمد ﷺ والحسن والحسين وعلاقة القرابة بينهم.

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل وأضفناه لأن السياق يقتضيه.

الباطن فقصر علم الناس عن العلم به؛ فلا يعرفه إلا القليل ومن ذلك قوله: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠]، وقوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: ٢٤]، وقوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]؛ فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم.

والصلاة والزكاة سبعة أحرف دليل على محمد وعلي صلى الله عليهما؛ لأنهما سبعة أحرف فالمعني بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي؛ فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة.

فيوهمون على من لا يعرف لزوم الشريعة والقرآن وسنن النبي ﷺ فيقع هذا من ذلك المخدوع بموقع الاتفاق والموافقة؛ لأنه مذهب الراحة والإباحة، يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله.

فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا قالوا له: قرب قربانًا يكون لك سلمًا ونجوى[1] ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة ويضع عنك في هذا الإصر[2]. فيدفع اثني عشر دينارًا فيقول ذلك الداعي: يا مولانا إن عبدك فلانًا قد عرف الصلاة ومعانيها فاطرح عنه الصلاة وضع عنه هذا الإصر وهذه نجواه اثنا عشر دينارًا. فيقول: اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة، ويقرأ له: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فعند ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة يهنئونه ويقولون: الحمد لله الذي وضع عنك وزرك الذي أنقض ظهرك.

ثم يقول له ذلك الداعي المعلون بعدة مدة: قد عرفت الصلاة وهي أول درجة وأنا أرجو أن يبلغك الله إلى أعلى الدرجات فاسأل وابحث.

فيقول: عم أسأل؟

---

(١) النجوى: إسرار الحديث. وفي القرآن الكريم: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [الأنبياء: ٣]، و﴿ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلة: ١٢].

(٢) الإصر: الثقل. وفي القرآن: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فيقول له: سل عن الخمر والميسر الذي نهى الله تعالى عنهما: أبو بكر، وعمر، لمخالفتهما على عليٍّ وأخذهما الخلافة دونه[1]. فأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام؛ لأنه مما أنبتت الأرض. ويتلو عليه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ إلى آخر الآية [الأعراف: ٣٢].

ويتلو عليه: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ إلى آخر الآية [المائدة: ٩٣].

والصوم: الكتمان، فيتلو عليه: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، يريد كتمان الأئمة في وقت استتارهم خوفًا من الظالمين. ويتلو عليه: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦]. فلو كان عني بالصيام ترك الطعام لقال: فلن أطعم اليوم شيئًا، فدل على أن الصيام الصمت[2].

فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغيانًا وكفرًا وينهمك إلى قول ذلك الداعي الملعون لأنه أتاه بما يوافق هواه والنفس أمارة بالسوء.

ثم يقول له: ادفع النجوى، تكن لك سُلَّمًا ووسيلة حتى نسأل مولانا يضع عنك الصوم.

فيدفع اثني عشر دينارًا فيمضي به إليه فيقول: يا مولانا، عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة فأبح له الأكل برمضان.

---

(١) النظر إلى أبي بكر وعمر باعتبارهما الخمر والميسر الذي نهي عنهما القرآن الكريم، هو من قبيل عملية المثل والممثول الذي سبق الإشارة إليها؛ فظاهر النص القرآني هو النهي عن الخمر والميسر وهذا هو المثل وباطنه أو ممثوله من وجهة نظرهم: أبو بكر وعمر.

(٢) الصيام هو في الأصل: هي الإمساك عن أي فعل أو قول كان، وفي الشرع: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية، ويأتي الصيام في القرآن بمعان متعددة، منها هذا المعنى السالف كما في قوله: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]كما يأتي الصيام بمعنى الصمت كقوله: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦]، ومن هنا تظهر مغالطة الداعي أعلاه الذي حاول إحلال معنى للصيام محل معنى آخر.

فيقول له: قد وثقته وأمنته على سرائرنا؟ فيقول له: نعم.

فيقول: قد وضعت عنه ذلك مدة.

فيأتيه ذلك الداعي الملعون فيقول له: قد عرفت ثلاث درجات فاعرف الطهارة ما هي؟ ومعنى الجنابة ما هي؟ في التأويل.

فيقول: فسر لي في ذلك.

فيقول له: اعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب وأن المؤمن طاهر بذاته والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره وأن الجنابة هي موالاة الأضداد أضداد الأنبياء والأئمة[1]، فأما المني فليس بنجس، منه خلق الله الأنبياء والأولياء وأهل طاعته وكيف يكون نجسًا وهو مبدأ خلق الإنسان، وعليه يكون أساس البنيان فلو كان التطهير منه من أمر الدين لكان الغسل من الغائط والبول أوجب؛ لأنهما نجسان، وإنما معنى ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ [المائدة: ٦]، معناه فإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذي هو حياة الأرواح كالماء الذي هو حياة الأبدان قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقوله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٥، ٦]. فلما سماه الله بهذا دل على طهارته.

ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة، ثم يأمره ذلك الداعي أن يدفع اثني عشر دينارًا ويقول: يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة وهذا قربانه إليك.

فيقول: اشهدوا أني قد حللت له ترك الغسل من الجنابة.

ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعي الملعون: قد عرفت أربع درجات وبقي عليك الخامسة فاكشف عنها فإنها منتهى أمرك وغاية سعادتك ويتلو عليه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧].

فيقول له: ألهمني إياها، ودلني عليها.

---

(١) أي أعداء الأنبياء والأئمة.

فيتلو عليه: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢].

ثم يقول له: أتحب أن تدخل الجنة في الحياة الدنيا؟

فيقول: وكيف لي بذلك؟

فيتلو عليه: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [الليل: ١٣].

ويتلو عليه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

والزينة ههنا ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لا يطلع عليها إلا المخصوصون بذلك وذلك قوله: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١][1]، والزينة مستورة غير مشهورة.

ثم يتلو عليه: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة: ٢٢، ٢٣]، فمن لم ينل الجنة في الدنيا لم ينلها في الآخرة؛ لأن الجنة مخصوص بها ذوو الألباب وأهل العقول دون الجهال؛ لأن المستجن من الأشياء ما خفي ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة وسميت الجن جنًا لاختفائهم عن الناس والمجنة المقبرة لأنها تستر من فيها والترس المجن لأنه يستتر به؛ فالجنة ها هنا ما استتر عن هذا الخلق المنكوس الذين لا علم لهم ولا عقول.

فحينئذ يزداد هذا المخدوع انهماكًا ويقول لذلك الداعي الملعون: تلطف في حالي وبلغني إلى ما شوقتني إليه فيقول: ادفع النجوى اثني عشر دينارًا تكون لك قربانًا وسُلمًا.

فيمضي به فيقول: يا مولانا إن عبدك فلانًا قد صحت سريرته وصفت خبرته وهو يريد أن تدخله الجنة وتبلغه حد الأحكام وتزوجه الحور العين.

فيقول له: قد وثقته وأمنته؟

---

(١) والبعولة جمع بعل: وهو الزوج. يقال: بعل -بعلاً وبعولة: تزوج، ويقال: بعل الرجل، وبعلت المرأة.

فيقول: يا مولانا قد وثقته وأمنته وخبرته فوجدته على الحق صابرًا ولأنعمك شاكرًا.

فيقول: علمنا صعب مستصعب لا يحمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان فإذا صح عندك حاله فاذهب به إلى زوجتك فاجمع بينه وبينها[١]!

فيقول: سمعًا وطاعة لله ولمولانا.

فيمضي به إلى بيته فيبيت مع زوجته حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب وقال: قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس. فيشكر ذلك المخدوع ويدعو له[٢]!

فيقول له: ليس هذا من فضلي هذا من فضل مولانا فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعي الملعون.

ثم يقول له: لابد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا فادفع قربانك.

فيدفع اثني عشر دينارًا ويصل به ويقول: يا مولانا إن عبدك فلانًا يريد أن يشهد المشهد الأعظم وهذا قربانه.

حتى إذا جن الليل[٣]، ودارت الكؤوس وحميت الرؤوس وطابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم فيدخلن عليهم من كل باب وأطفأوا السرج[٤] والشموع، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه في يده ثم يأمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون وجميع المستجيبين.

---

(١) تسمى هذه العملية بـــ "التشريق". انظر البيان المغرب (١/١٨٥).

(٢) يؤكد كثير من المؤرخين المعادين للقرامطة هذه الإباحية النسائية عندهم ولكن يؤكد بعض الباحثين المحدثين على أن مثل هذه الأمور من اختلاق أعدائهم وقد حققنا القول في هذه المسألة في كتابنا "أسرار القرامطة".

(٣) جنّ الليل: أظلم ويقال: جن الظلام: اشتد وجنَّ الشيء وعليه: ستره. وفي القرآن الكريم: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ [الأنعام: ٧٦].

(٤) السُرُجُ: جمع سراج وهو المصباح الزاهر.

فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له فيقول: ليس هذا من فضلي هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم أوزاركم وحط عنكم آصاركم ووضع عنكم أثقالكم وأحل لك بعض الذي حرم عليكم جهالكم: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥].

قال محمد بن مالك رحمه الله تعالى:هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم والله تعالى لهم بالمرصاد والله تعالى علي شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم والله يشهد عليّ بجميع ما ذكرته عالم به.

ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين وأخزى الله من كذب عليهم بباطل له جهنم وساءت مصيرًا.

ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته.

فأديت هذه النصيحة إلى المسلمين حسب ما أوجبه الله عليّ من حفظ هذه الشهادة فإن الله سبحانه أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩] والله أسأله أن يتوفانا مسلمين ولا ينزع عنا الإسلام بعد إذ آتانا الله بمنه ورحمته.

أصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها:

وقد رأيت أيها الناس -وفقنا الله وإياكم للصلوات، وجنبنا وإياكم طرق الكفر والارتياب- أن أذكر أحبال هذه الدعوة الملعونة؛ لئلا يميل إلى مذهبهم مائل ولا يصبو إلى مقالتهم لبيب عاقل ويكون في هذا القدر من الكلام في هذا الكتاب إنذارٌ لمن نظره وإنذارٌ لمن وقف عليه واعتبره.

باب: اعملوا يا أخواني في الإسلام: أن لكل شيء من أسباب الخير والشر والنفع والضر والداء والدواء أصولاً وللأصول فروعًا.

وأصل هذه الدعوة الملعونة التي استهوى بها الشيطان أهل الكفر الشقوة[(١)] ظهور «عبد الله بن ميمون القداح[(٢)]» في الكوفة وما كان له من الأخبار المعروفة والمنكرات المشهورة الموصوفة ودخوله في طريق الفلسفة واستعماله الكتب المزخرفة وتمشيته إياها على الطغام ومكيدته لأهلُ الإسلام.

وكان ظهوره في سنة ست وسبعين ومائتين من التاريخ للهجرة النبوية فنصب للمسلمين الحبائل وبغى لهم في الغوائل ولبس الحق بالباطل، ﴿وَمَكْرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠]، وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيرًا ولكل حديث عن رسول الله ﷺ تأويلاً وزخرف الأقوال وضرب الأمثال وجعل لآي القرآن شكلاً يوازيه ومثلاً يضاهيه.

وكان الملعون عارفًا بالنجوم معطلاً لجميع العلوم: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

فجعل أصل دعوته التي دعاها وأساس بنيته التي بناها: الدعاء إلى الله وإلى رسوله ويحتج بكتاب الله ومعرفة مثله وممثوله والاختصاص لعلي بن أبي طالب ﷺ بالتقديم والإمامة والطعن على جميع الصحابة بالسب والأذى وقد

---

(١) الشقوة: الشقاء، وفي القرآن: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾.

(٢) حسب المصادر التاريخية العديدة التي بين يدي يبدو أن المؤلف هنا يخلط بين ميمون القداح وابنه عبد الله فتاره يذكر عبد الله على أنه أصل هذه الدعوة وتارة يذكر أباه ميمونًا، وعلى كل الأحوال فالصواب أن مؤسس الدعوة المذكورة هو ميمون القدّاح الذي كان شخصيةً علمية بارزة وذا ثقافة واسعة وقد عمل عند جعفر الصادق وكان منحازًا لابنه إسماعيل الذي عهد إليه أبو جعفر بالإمامة في أول الأمر وعندما مات إسماعيل في حياة أبيه جعفر ساق ميمون وشيعته الإمامة إلى محمد بن إسماعيل في حين ساقها مجموعة أخرى بقيادة هشام بن الحكم المتوفى ١٩٥هـ إلى الابن الآخر لجعفر. موسى الكاظم، الذي عهد إليه أبوه بالإمامة بعدما مات إسماعيل، هذا وفق ما جاء في مصادر الشيعة، لكن يقول أعداؤهم إن إسماعيل لم يخلف ولدًا وأن ميمون القداح نسب ابنه عبد الله إلى إسماعيل وسماه محمدًا ... وهناك اختلافات شديدة التباين بين المؤرخين حول هذه المسألة يضيق الهامش عن ذكرها هنا.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لعن الله من سب أصحابي»[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[2].

وقال ﷺ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[3].

فأفسد بتمويهه قلوب الجهال وزين لهم الكفر والضلال وله شرح يطول فيه الخطاب غير أني أختصر وفيما أشرحه كفاية واعتبار لأولي الألباب والأبصار.

وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية، ويظهر الإسلام وهو من اليهود من ولد الشلعلع[4] من مدينة بالشام يقال لها سلمية[5].

وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر وعن ابن عباس؛ والبغوي وأبو نعيم في الحلية عن عطاء مرسلاً والخطيب في تاريخ بغداد عن أنس. انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٥١١١، والأحاديث الصحيحة ٢٣٤٠.

(٢) حديث ضعيف.

(٣) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس. انظر صحيح الجامع الصغير، برقم ٦٢٨٥، والأحاديث الصحيحة ٢٣٤٠ .

(٤) في نسب ميمون القدّاح اختلافات كبيرة واضطراب نتيجة للافتراءات وعدم الموضوعية التي يتميز بها كثير من المؤرخين فبينما يذكر ابن مالك أعلاه أن أصله يهودي فهناك من المؤرخين من يذكر أن أباه اسمه "ديصان" وأنه ينتمي إلى طائفة "الديصانية" النصرانية وهي التي قام بتأسيسها الحبر بارديصان في مدينة الرّها في القرن الثاني من الميلاد وهناك من مؤرخي الإسماعيلية من ينسبه إلى سلمان الفارسي، ويذكر القاضي أبو بكر الباقلاني أن القداح كان مجوسيًا وهو نفس ما يذكره البغدادي في الفرق بين الفرق بتحقيقنا فيقول: إنه كان مجوسيًا من سبي الأهواز وكما يرى القارئ فإن المسألة محض تعصب، فإذا كان المؤرخ شيعيًا فإنه يعمل على إثبات نسب نقي لميمون وإذا كان سنيًا يعمل على تشويه أصله ونظرًا لتباين الأدلة وغياب البراهين الحاسمة فإن كل الاحتمالات ممكنة.

(٥) سلمية بلدة من بلاد سورية، وهي قريبة من حمص وقريبة أيضًا من حماة التي تقع على بعد ٣٤ كيلو مترًا تقريبًا منها وبهذه المدينة ألف كتابيه "الميزان" و"الهداية" وتوفي بها.

وكان صائغًا[١] يخدم إسماعيل بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وكان حريصًا على هدم الشريعة المحمدية لما ركب الله في اليهود من عداوة للإسلام وأهله والبغضاء لرسول الله ﷺ فلم ير وجهًا يدخل به على الناس حتى يردهم عن الإسلام ألطف من دعوته إلى أهل بيت رسول الله ﷺ.

وكان قد خرج في أيام قرمط[٢] البقار، وكان اسمه أو لقبه؛ لأنه كان يقرمط في سيره إذا مشى[٣]، ولذلك نسب أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون إلى قرمط؛ لأنهما اجتمعا[٤] وعملا ناموسًا يدعوان إليه، وكانا يعرفان النجوم وأحكام الأزمان فدلهما الوقت على تأسيس ما عملاه.

فخرج ميمون إلى الكوفة وأقام بها مدة وله أخبار يطول شرحها مما كان منه ومن علي بن فضل والمنصور[٥] صاحب مسور[٦]، وأبي سعيد الجنابي[٧]. وأنا

---

(١) يذكر فريق آخر من المؤرخين أنه كان طبيبًا للعيون بينما يرى فريق ثالث أن مهنته كانت بري "القداح" وهي السهام.

(٢) مؤسس حركة القرامطة، وإليه نسبتها، اختلف في اسمه وأصله. قيل: اسمه "حمدان" أو "الفرج بن عثمان" أو "الفرج بن يحيى"، وقرمط لقبه، والنسابون يضبطونه بكسر القاف والميم بينهما راء ساكنة واللغويون يفتحون القاف والميم وعن هؤلاء أخذ الفرنج فسموه (Karmath)، وأصله من خوزستان، وعرف في سواد الكوفة (سنة ٢٥٨هـ) وأظهر بها دعوته، وقد تداخلت أخباره في كتب التاريخ بأخبار دعاته، والأرجح أنه هو الذي قبض عليه عامل "الرحبة" سنة ٢٩٣هـ - ٩٠٦م وقتله المكتفي بالله العباسي.

(٣) قرمط في خطوه: قارب ما بين قدميه وهو يمشي.

(٤) يجب تخريج لفظ "اجتمعا" هنا على أن معناه أن "مذهبيهما اتفقا في الدعوة والأهداف والتعاليم"، لا أن عبد الله بن ميمون اجتمع مع قرمط إذ أن عبد الله بن ميمون مات سنة ١٨٠هـ على الأرجح، ومات قرمط سنة ٢٩٣هـ؛ ولذا فليس من المعقول أن يكون أحدهما اجتمع بالآخر ولقيه.

(٥) ستأتي لهم ترجمة.

(٦) ستأتي لهم ترجمة.

(٧) ستأتي لهم ترجمة.

أشرح ذلك عند انتهائي إليه إن شاء الله تعالى.

وأما قرمط البقار، فإنه خرج إلى بغداد فقتل هناك لا رحمه الله.

ذكر ما كان من القداح وعقبه لعنه الله تعالى ومن تعلق بسببه ودخل في ضلالته ومذهبه

وكان أول أولاده عبيد[١] وهو المهدي ثم محمد وهو القائم، ثم إسماعيل المنصور، ثم المعز، ثم العزيز، ثم الحاكم، ثم الظاهر، ثم معد المستنصر[٢].

هؤلاء الذين ينسبون إليه إلى عصرنا هذا فانتسبوا إلى ولد الحسين بن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وانتحالهم إليه انتحال كاذب وليس لهم في ذلك برهان وأهل الشرف ينكرون ذلك[٣]؛ فإنهم لم يجدوا لهم في الشرف أصلاً مذكورًا ولا عرفوا لهم في كتاب الشجرة نسبًا مشهورًا بل الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب[٤]، إلا من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم فإنه

---

(١) هذا خطأ واضح من المؤلف؛ إذ لم يكن عبيد المهدي ابنًا مباشرًا لميمون على فرض أن نسبه يرجع إليه؛ فعبيد هذا كان مولده على التحقيق سنة (٢٥٩هـ- ٨٧٣م) إذن فلم يكن بأية حال من الأحوال ذا علاقة مباشرة بميمون لتباعد الوقت بين موت الأخير وميلاد الأول.

(٢) خلفاء الدولة الفاطمية حتى عصر المؤلف ووقوفه عند المستنصر دليل مباشر على أن هذا المصنف أنجز في عهد المستنصر.

(٣) ألمحنا من قبل إلى الاختلاف والاضطراب البالغين حول نسب خلفاء دولة الفاطميين فينقسم المؤرخون إلى معسكرين في هذه المسألة (أي صحة تسلسل الفاطميين من فاطمة الزهراء)، ويوجد عدد لا يقل عن ثماني سلاسل نسب مختلفة يلحقه بها أنصاره وخصومه، ويشتهر من بين أنصار صحة نسبهم المؤرخون: ابن الأثير وابن خلدون والمقريزي ومن بين الذين يتشككون في صحة نسبهم أو ينكرونها: ابن خلكان، وابن عذارى، والسيوطي، وابن تغرى بردي.

(٤) أظن أن القارئ بعدما قرأ الهامش السابق يتبين له عدم دقة المؤلف في قوله: ".. بل الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب إلا من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم فإنه يشهد لهم الزور.." فمن المعلوم أن ابن الأثير وابن خلدون والمقريزي قد أيدوا صحة نسب الفاطميين إلى فاطمة الزهراء ولم يكن هؤلاء المؤرخون الثلاثة من الشيعة بل كانوا من مؤرخي السنة إذن فحكاية الإجماع التي حكاها المؤلف عندما =

يشهد لهم الزور ويساعدهم في جميع الأمور.

وقد زعموا أنهم من ولد محمد إسماعيل بن جعفر الصادق، وحاشى لله ما كان لمحمد إسماعيل من ولد ولا عرف ذلك من الناس أحد، بل هم: ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

الدليل على ذلك وعلى بطلان ما ذكروه أنهم يقولون معدًا المستنصر ابن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وهو عبيد ابن ميمون ثم يقولون ابن الأئمة المستورين من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق فإذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين[1]، حادوا عن الجواب وكان للسائل لهم الارتياب وقالوا: هم أئمة قهروا فتستروا ولم يؤمروا بإظهارهم ولا ذكرهم لأحد.

وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ما ذكروه وانتسبوا إليه.

والدليل على أنهم من ولد اليهود: استعمالهم اليهود في الوزارة والرئاسة وتفويضهم إليهم تدبير السياسة مازالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد.

خروج ميمون القداح من سلمية إلى الكوفة

وقد ولد له عبيد وهو الذي يسمونه عبيد الله المهدي[2]، فأقاما بالكوفة

=

قال: ".. بل الكل يقصيهم .." خطأ كما أن قوله بأنه لم يؤيد صحة نسبهم إلا "من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم" خطأ كذلك.

(١) الأئمة المستورون -حسبما تشير المصادر الشيعية- هم: محمد بن إسماعيل، ثم ابنه عبد الله الملقب بالوفي ثم أحمد بن عبد الله الملقب بالتقي ثم الحسين بن أحمد الملقب بالرضى وتجدر الإشارة إلى أن الستر عند الإسماعيلية غير الغيبة عند الإثنى عشرية؛ فالإمام الغائب هو الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإثنى عشرية، والأئمة المستورون عند الإسماعيلية هم السابق ذكرهم.

(٢) سبق الإشارة إلى أن عبيد الله المهدي لم يكن ليدرك ميمون القداح لاتساع المسافة الزمنية بين موت الأخير نحو سنة ١٧٠هـــ، وميلاد الأول سنة ٢٥٩هـــ. وعبيد الله المهدي هذا هو مؤسس دولة العلويين في المغرب، وجدّ العبيديين الفاطميين خلفاء الدولة الفاطمية بمصر. أما ابن ميمون فاسمه "عبد الله" ويعرف بابن القداح، وفاته نحو ١٨٠هـــ، وهو من رجال الحديث، وثقة الشيعة، ووهنه -بطبيعة الحال- أهل السنة.

=

مدة طويلة حتى تهيأ لهم ما كانا يطلبان وإلى أن أجابهما إلى ذلك تسعة رهط، يفسدون في الأرض ولا يصلحون منهم: علي بن الفضل الجدني اليماني، وأبو القاسم بن زاذان الكوفي المسمى المنصور عند كونه في اليمن في مسور، وأبو سعيد الجنابي صاحب الأحساء والبحرين وأبو عبد الله الشيعي[١] صاحب كتامة[٢] في المغرب والحسن بن مهران المسمى بالمقنع الخارج فيما وراء النهر من خراسان ومحمد بن زكريا الخارج في الكوفة ولابد أن أذكر أصح خبر كل واحد منهم مختصرًا إن شاء الله تعالى.

ذكر أبي سعيد الجنابي لعنه الله تعالى

كان فيلسوفًا ملعونًا ملك البحرين واليمامة والأحساء وادعي فيها أنه المهدي القائم بدين الله فاستفتح...[٣] ودخل مكة وقتل الناس في المسجد الحرام

=

له مؤلفات، منها "مبعث النبي وأخباره" و"صفة الجنة والنار" و"إفادة البصير" وهذا الكتاب الأخير مازال موجودًا وهو مخطوط في مكتبة شستربتي برقم (٥١٤٤).

(١) ستأتي تراجمهم.

(٢) كتامة: بضم الكاف قبيلة مشهورة في المغرب.

(٣) سقط من الأصل بقية أخبار أبي سعيد الجنابي وأول أخبار ابنه أبي طاهر سليمان وعلى كل فمجمل سيرة أبي سعيد ومطلع سيرة ابنه سليمان كالآتي: اسمه الحسن بن بهرام وكان دقاقًا من أهل جنابة (بفارس) ونفي منها فأقام في البحرين تاجرًا وجعل يدعو العرب إلى نحلته فعظم أمره فحاربه الخليفة فظفر الحسن وصافاه المقتدر العباسي وكان أصحابه يسمونه "السيد" استولى على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين وكان شجاعًا داهية قتله خادم له صقلبي في الحمام بهجر سنة ٣٠١هـ = ٩١٤م وكان قد عهد بالأمر إلى كبير أبنائه "سعيد" فعجز هذا عن الأمر فغلبه أخوه الأصغر سليمان أبو طاهر وجاءه كتاب من المقتدر العباسي فيه رقة ورغبة بإطلاق من عنده من أسرى المسلمين فأطلق الأسرى وأكرم حاملي الكتاب وأعادهم بالجواب ولكنه وثب سنة ٣١١هـ على البصرة فنهبها وسبي نساءها وكتب إلى المقتدر يطلب ضمها إليه هي والأهواز فلم يجبه المقتدر فأغار على الكوفة سنة ٣١٢هـ فأقام ستة أيام حمل فيها ما استطاع رجاله أن يحملوه من أموال وثياب وغيرها وضج الناس خوفًا من شره فاهتم الخليفة لأمره فسير لقتاله جيشًا كبيرًا فشتته القرمطي واستولى على الرحبة وربض الرقة ودعا إلى "المهدي" ثم أغار على مكة وكان من شأنه ما ذكره المؤلف أعلاه.

ومنع الناس من الحج واقتلع الركن وراح به إلى الأحساء وقال في ذلك شعرًا:

ولــو كــان هــذا البــيت لله ربنا ... لــصب علينــا الــنار من فوقنا صبا

لأنــا حججــنا حجــة جاهلــية ... مجللــة لم نــبق شــرقًا ولا غــربًا

وإنــا تــركنا بــين زمــزم والصفا ... جنائــز لا تبغــي ســوى ربها ربًا[1]

وله -لعنه الله- أشعار بالقدر في ذلك تركتها اختصارًا وكان دخوله مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر ألفًا عليه[2] لعنة الله.

ذكر الحسن بن مهران المعروف بالمقنع

خرج فيما وراء النهر وله أخبار شنيعة وكان حكيمًا فيلسوفاً -ملعونًا- ذكروا أنه عمل قمرًا بالطلسم يطلع في السنة أربعين ليلة ولقد كنت أكذب ذلك حتى صححه لي جماعة من أهل خراسان وذكروا أنه بنى حصنًا وعمل فيه لوالب فكان المسلمون إذا أتوا لقتاله قذفوا بالحجارة ولا يدرون من أين يقذفون فمال إليه خلق كثير حتى بعث الله عليهم غلامًا حكيمًا فأمر المسلمين أن يحفروا حول الحصن فوقعوا على اللوالب فأخرجوها ودخلوا عليه فقتلوه وقيل: إنه أحرق نفسه قبل دخولهم عليه، فأمكن الله سبحانه وتعالى منه.

ذكر محمد بن زكريا لعنه الله تعالى

أحسب أن اسمه زكروية بن مهروية القرمطي وكان قد خرج بالكوفة فخرج إليه المكتفي أمير المؤمنين من بني العباس فقتله لعنه الله ولا رحمه[3].

---

(١) وكان يصيح أيضًا على الكعبة قائلاً: "أنا بالله، وبالله أنا! يخلق الخلق وأفنيهم أنا".

(٢) يذكر بعض المؤرخين أنه قد بلغ قتلاه في مكة ثلاثين ألفًا. وردم زمزم بالقتلى. ويجمع المؤرخون على أنه اقتلع الحجر الأسود وأرسله إلى هجر سنة ٣١٧هـ، ولم يعد الحجر إلى الكعبة إلا سنة ٣٣٩هـ، وقد مات سليمان كهلاً بالجدري في هجر سنة ٣٣٢هـ-٩٤٤م.

(٣) وكان المكتفى قد انتدب الجيوش لقتاله فأصيب في معركة بين القادسية وخفّان فمات بعد أيام وحملت جثته إلى بغداد فأحرقت وأرسل رأسه إلى خراسان لئلا ينقطع أهلها عن الحجّ؛ فقد كان سبق له الهجوم على نحو عشرين ألفًا من حجاج خراسان فأفنى أكثرهم، وكان مقتله سنة ٢٩٢هـ=٩٠٦م.

ذكر علي بن فضل الجدني لعنه الله تعالى

من ذرية ذي جدن والأجدون من سبأ صهيب[1]، وأصله من جيشان. وكان في أوله ينتحل الإثنى عشرية فخرج للحج ثم زار قبر النبي ﷺ ثم مضى إلى الكوفة لزيارة قبر الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما فلما وصل الكوفة وزار قبر الحسين رضي الله تعالى عنه بكى على القبر بكاءً شديدًا وجعل ينوح ويقول: بأبي أنت يابن الزهراء المضرج بالدماء الممنوع من شرب الماء.

وكان ميمون القداح على القبر وولده عبيد، فلما بصرا به سرهما وطمعا به وعلما أنه ممن يميل إليهما ويدخل في ناموسهما فقال ميمون: أيها الشاب ما كنت تفعل لو رأيت صاحب هذا القبر؟

قال: إذًا والله أضع له خدي وأجاهد بين يديه حتى أموت شهيدًا.

فقال له ميمون: أتظن أن الله قطع هذا الأمر؟

قال له علي بن فضل: لا ولكني لا أعلم ذلك فهل عندك منه خبر أيها الشيخ؟

فقال: أخبرك به إن شاء الله عند الإمكان.

ثم قام ميمون فتعلق به، فقال ميمون: تقف بهذا المسجد إلى غد.

فوقف أيامًا فلم يرد له خبرًا فودع أصحابه وقال لهم: أما أنا فلا أبرح ههنا حتى أتنجز وعدًا قد وعدته فأخذ له من المؤونه ما يكفيه فوق أربعين يومًا وميمون وولده يرمقانه من حيث لا يعلم بهما فلما رأى ميمون صبره أعجبه وعلم أنه لا يخالفه في شيء من دعوته والميل إلى كفره وضلالته.

فأتاه عبيد فوثب إليه فاعتنقه وقال: سبحان الله يا سيدي وعدني الشيخ وعدًا فأخلفني.

فقال: لم يخلفك وإنما قال أنا آتيك غدًا إن شاء الله وله في هذا مخرج على ضميره.

ثم جلسا وجرى بينهما الكلام وقال له: يا أخي اعلم أن ذلك الشيخ أبي

---

(١) وهو في كتاب العسجد المسبوك: "خنفري النسب، من ولد خنفر بن سبأ بن صيفي".

وقد سره ما رأى من صبرك وعلو همتك وهو يبلغك محبوبك إن شاء الله.

ثم أخذ بيده فأوصله إلى الشيخ فلما رآه قال: الحمد الله الذي رزقني رجلاً نحريرًا[1] مثلك أستعين به على أمري وأكشف له مكنون سري.

ثم كشف له أمر مذهبه -لعنهما الله- فأصغى إليه- واشرأب[2] قلبه وتلقى كلامه بالقبول.

وقال له علي: والله إن الفرصة ممكنة باليمن وإن الذي تدعو إليه جائز هنالك وناموسنا يمشي عليهم؛ وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الأحلام وتشتيت الرأي وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية.

فقال له ميمون: أنا موجهك والمنصور الحسن بن زاذان[3].

وكان[4] ينسب إلى ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب[5]، وكان أبوه ممن ينتحل مذهب الشيعة الإثنى عشرية وكان من أهل الضلال وكان من أهل الكوفة فلما دخل ميمون الكوفة ظفر بالحسن بن زاذان وعلم أنه مسعود وأنه ينال ملكًا وشرفًا وذلك من طريق معرفته بالنجوم والفلسفة[6]، فجعل ميمون يلطف به ويرفق فيكشف له مذاهب الفلاسفة ومقالهم فلم يزل به حتى قبل منه وركن إلى قوله ومازال به حتى مال إلى معتقده وصار من دعاته الذين يدعون إليه وإلى ولده.

فعند ذلك قال ميمون: يا أبا القاسم إن الدين يماني والحكمة يمانية وكل

---

(١) النحرير: العالم الحاذق في علمه والجمع: نحارير.

(٢) اشرأب: مال إليه.

(٣) سيأتي ذكره.

(٤) أي الحسن بن زاذان.

(٥) مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب: (... - ٦٠هـ=...=٦٨٠م) تابعي من ذوي العلم والرأي والشجاعة. قتله عبيد الله بن زياد (أمير الكوفة من قبل الأمويين). راجع الكامل لابن الأثير (٤/٨-١٥) والأخبار الطوال (٢٣٣).

(٦) هذا كلام غير دقيق؛فالمعرفة بالنجوم أو بالفلسفة لا تؤدي مطلقًا إلى معرفة الغيب فالغيب أمر مستقبلي لا يمكن لأحد من البشر معرفته وكل ما يقال عن وجود أناس يعلمون الغيب هراء ودجل من مخلفات عصور الجهل والتخلف.

أمر يكون مبدؤه من قبل اليمن فإنه يكون ثابتًا لثبوت ذلك النجم؛ وذلك أن إقليم اليمن أعلى أقاليم الدنيا ولابد من خروجك إلى هنالك أنت وأخوك علي ابن فضل اليماني فسيكون لكما شأن وملك وسلطان في اليمن فكونا على أهبة.

فقال له: الأمر إليك يا سيدي.

قال المنصور: فكنت أنا وعلي بن فضل وعبيد لا نزال نكثر المذاكرة في مجلس الشيخ وكان يقول: عند تمام الوقت ومضي ستة أدوار من الهجرة المحمدية أبعثكما إلى اليمن تدعوان إلى ولدي هذا فسيكون له ولذريته عز وسلطان، وأخذ علي[1] وعلى عليّ بن فضل العهود والمواثيق لولده.

فلما كان أوان خروجنا قال لنا ميمون: هذا هو الوقت الذي كنا ننتظر فأخرجنا في هذا الموسم ثم وجهنا إلى اليمن نتظاهر بالحج وعهد إلينا.

ثم خلا بي وأوصاني بالاستتار حتى أبلغ مرادي وقال لي: الله الله بصاحبك فاحفظه وأكرمه بجهدك ومره بحسن السيرة في أمره فإنه شاب لا آمن نبوته[2].

وخلا بعلي بن فضل، وقال: الله الله بصاحبك وقِّره واعرف له حقه ولا تخالفه فيما يراه لك؛ إنه أعرف منك وإنك إن خالفته لم ترشد.

قال المنصور: فلما صرت في بعض الطريق، لحقني كمد عظيم لحال الغربة، وإذا بحاد يحدو ويقول:

يـــا أيهـــا الحادي المليح الزجر   بـــشِّر مطايـــاك بـــضوء الفجـــر

تـــدرك ما أملتـــه من أمـــر

قال: فلما سمعت ذلك سررت به واستبشرت.

فوصلت مكة مع الحاج؛ وذلك في أيام محمد بن يعفر الحوالي[3]، ثم أقبلنا

---

(١) الكلام مازال للمنصور.

(٢) أي لا آمن إعراضه وجفوته نفرته.

(٣) محمد بن يُعْفِر بن عبد الرحيم الحوالي (من بني ذي حوال) الحميري: (٢٦٩هـ- ٨٨٢م) أمير صنعاء، من رجالات الأسرة "الحوالية" في اليمن وهي تعد من بقايا "التبابعة" ودار مملكتهم شبام. ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى بلوغ المرام للعرشي ص١٨.

نسأل عن أخبار اليمن فقيل لنا: إن الأمير محمد بن يعفر رد المظالم واعتزل عن الناس ورجع إلى التنسك والعبادة. فقلنا: ولم فعل ذلك؟

فقيل لنا: إنه قيل له إن في هذه السنة يخرج عليه خارجي فيكون زوال أمره على يديه.

ويقال: إنه رد في يوم واحد ألف دينار وقام في بني حوال رجل يقال له إبراهيم فقال:

يــاذا حــوال يــا مصابيح الأفق   تداركــوا عــزكم لا ينفــتق

فتطلــبون رتــق مــالا يــرتتق   فــأيكم قــام بهــا فقــد سـبق

فقام ولد محمد بن يعفر، قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله:

فلما خرج علي بن فضل مع الحاج هو والمنصور وصارا في غلافقة[1] افترقا، وقال كل واحد منهما لصاحبه: أعلمني بأمرك وما يكون منك.

فوصل المنصور إلى الجند[2]، وصاحب الأمر يومئذ جعفر بن إبراهيم المناخي وخرج علي بن فضل إلى ناحية جيشان.

فأما المنصور فإن ميمونًا كان قال له: لا يظهر أمرك إلا من موضع يقال له: «عدن لاعة»[3]؛ فإنه أقوى لأمرك وأمضى لناموسك.

وإنما دله على ذلك الفلاسفة وعرف ما سطره في كتبهم من تسمية الأقاليم والبلدان وتقويم الكواكب السبعة.

فلما صار المنصور إلى الجند سأل عن «عدن لاعة»، فقالوا: لا نعرف إلا «عدن أبين»[4]. فدخل «عدن أبين» بتجارة تصلح لعدن، كما يفعل التجار فأقام

---

(١) غلافقة: بلدة بساحل اليمن، كانت قديمًا من أشهر الموانى وهي موجودة إلى اليوم ولكن بتعديل طفيف في اسمها فتسمى "غليفقة".

(٢) الجند: بلدة في اليمن موقعها جنوب صنعاء وكانت المسافة تقدر بينهما قديمًا بستة أيام.

(٣) عدن لاعة: مدينة باليمن، موقعها في شمال غرب صنعاء.

(٤) عدن أبين: هي المعروفة في عصرنا باسم "عدن" عاصمة اليمن الجنوبي.

أيامًا فيها يسأل عن «عدن لاعة» مدة مقامه هنالك فبصر به شيخ من تجار عدن فأنكره فسأله عن حاله، فقال: أنا رجل من أهل العراق وكنت حاجًّا في هذه السنة.

قال: فهل عندك خبر؟

قال: لست صاحب أخبار وعمَّ تريد أن أخبرك عنه؟

قال له العدني: هل حدث في الشام حدث؟

قال: لا علم لي بشيء.

فلم يزل به حتى أعلمه ما في ضميره فعاهده المنصور على كتمان سره وسأله عن «عدن لاعة»، فقال: هي معروفة ولا يزال أهلها من التجار يصلون إلينا وأنا أعلمك بهم إذا وصلوا.

ويقال: إن هذا العدني جد بني الوزان فاسدي المذهب، وبنو الوزان إلى اليوم رفضة شيع.

فلما وصل التجار من «عدن لاعة»، ومن عيان[1]، فسألهم عن الموضع فأخبروه عنه، وأنه في ناحية بلادهم وهي قرية صغيرة.

قالوا: فمن أعلمك بها؟ قال: الناس يسمعون بذكر البلدان.

فلما عزموا على الرحيل تأهب للخروج معهم وقال: أنا رجل من أهل العلم وقد رغبت بالخروج معكم إلى بلدكم.

ففرحوا به وأكرموه، وقالوا: مرحبًا بك نحن أحوج إلى من يبصرنا في أمر ديننا ونحن نكفيك المؤونة ونحملك.

فأثنى عليهم وشكرهم وقال: لا حاجة لي عندكم وإنما أردت وجه الله تعالى. فارتحل معهم فكان يسامرهم ويروي لهم أحسن الأخبار فأحبوه وأصغوا إليه وإلى قوله فكانوا يحدقون به إكرامًا له وتبجيلاً حتى قدموا «لاعة» فادعى الفقه ومذهب السنة والجماعة فتسامع به الناس وأقبلوا إليه من كل ناحية وهو مستعمل للورع وحسن السيرة حتى مالت إليه مخاليف المغرب «لاعة»، و«أقيان»،

(١) عيان: مدينة يمنية على مقربة من عدن لاعة المذكورة آنفًا.

و«حجة»، و«عيان» و«بلدان البياض»[(١)].

فأمرهم بجمع زكاة أموالهم فاستعمل عليها منهم ثقات وعدولاً يقبضون أعشار أموالهم على ما يوجبه الفقه فأقام سنتين بعد قتل محمد بن يعفر[(٢)]، واختلاف بني حوال فيما بينهم.

فقال لهم: قد رأيت أن تبنوا موضعًا منيعًا يكون لبيت مال المسلمين.

فعزموا على ذلك ولم يخالفوه فيما أمرهم به، فأجمعوا على بناء موضع يقال له «عثر محرم» وهو جبل تحت مسور[(٣)]، وهو موضع بني العرجاء قوم من سلاطين المغرب همدان فلما بني الجبل، وحصنه وحمل إليه كل ما يحتاج إليه بعد أن ساعده إلى إرادته خمسمائة رجل وأخذ عليهم العهود والمواثيق.

ثم إنه بعد ذلك ارتكب الحصن هو وأصحابه ونقلوا حريمهم وأموالهم وذلك بعد أن أخرج الحوالي عسكرًا في جنح الليل إلى مواضع كانوا فيه يقال له: «الحيفة» في ناحية «لاعة» فقتل من أصحاب المنصور اثني عشر وارتكب «عثر محرم» بمعاملة لبني العرجاء، وأنكر الناس أمره، وأضرموا النيران لحربه، فكتب إليهم إني ما طلعت هذا الجبل إلا لأحصن به نفسي من السلطان فلم يقبلوا منه وجاءوا إليه فقاتلوه فهزمهم وقتل منهم بشرًا كثيرًا فعظم حينئذ شأنه وشاع إلى جميع العشائر ذكره وبلغ الأمير ذلك فكتب إلى جميع العشائر حوله يحرضهم على قتاله فقاتلوه مرارًا وهو ينتصر عليهم.

ثم استنجدوا عليه رجلاً من سلاطين شاور يقال له: أبو إسماعيل وبالحوالي صاحب صنعاء فأمدوهم بالعساكر الكثيرة فهزمهم وقتل منهم قتلاً كثيرًا.

فازداد بذلك ذكره، وعظم أمره، ودخل في طاعته من كان حوله طوعًا وكرهًا، واستعمل الطبول والرايات وأظهر مذهبه ودعا إلى عبيد بن ميمون!! وكان يقول: والله ما أخذت هذا الأمر بمالي ولا بكثرة رجالي وإنما أنا داعي

---

(١) مدن متقاربة في اليمن.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) في منطقة كوكبان باليمن.

المهدي الذي بشر به ﷺ[1].

فانهمك إليه عامة الناس ودخلوا في بيعته ومذهبه.

ثم سمت به همته إلى ارتكاب جبل مسور حصن يقال له: «فايز»، فيه خمسمائة رجل وأمور للحوالي فلم يزل الملعون يتلطف حتى عامل مع عشرين رجلاً منهم فارتكب الجبل بالليل، فأصبح في رأسه وقصد من كان في «بيت فايز»، وفتح له العشرون الذين عاملوه وقال: ادخلوها آمنين.

فقال المنصور: اخرجوا منها فإنا داخلون.

وسأله صاحب الحصن الأمان على نفسه ومن معه، فأمنهم فلما رأى المنصور صاحب الحصن مقبلاً نزل عن دابته ومشى إليه واعتنقه فزال عنه الرعب وقال له: إن معي مالاً للسلطان فمن يقبضه؟

فقال المنصور -لعنه الله-: لسنا ممن يرغب في مال السلطان، وما طلعت هذا الجبل لأخذ أموال الناس، وإنما طلعت لإصلاح الإسلام والمسلمين خذ مال صاحبك فأده إليه.

فذكروا أنه -لعنه الله- طلع جبل مسور في ثلاثة آلاف رجل ومعه ثلاثون طبلاً فكانت طبوله إذا ضربت سمعت إلى المواضع البعيدة من المغرب.

ثم إنه حصّن الحصن ودربه وبنى فيه دار الإمرة وهو بيت ريبة وهو أول من أسسه وجعل فيه من يثق به من أهل مذهبه، ثم بنى بيت ريبة ودرب الجبل من كل ناحية، وجعل له بابين، وبنى في بيت ريب قصرًا وسماه دار التحية.

فعند ذلك أحل ما حرم الله وكان يجمع أصحابه في ذلك القصر ونساءهم يرتكبون الفواحش.

وأقام يحارب من حوله من القبائل ويبعث إليهم بالعساكر فأبادهم وأخذ أموالهم وقتل رجالهم حتى دخلوا في طاعته كارهين ذلك واستولى على جميع مخاليف المغرب قهرًا.

واستعمل عليهم رجلاً من أهل مذهبه يقال له أبو الملاحف فأقام بناحية

---

(١) أظهر دعوته للمهدي المنتظر سنة ٢٩٠هـــ.

جبل «تيس» واليًا للمنصور وخرج بنفسه وعساكره إلى بلاد «شاور» فاستفتحها وحاصر صاحبها أبا إسماعيل الشاوري سبعة أشهر حتى استنزله من حصنه ورجع إلى مسور ثم خرج إلى ناحية «شبام حمير[1]» فأقام يحاربهم مدة طويلة وخرجت عساكره إلى ناحية المصانع من بلد حمير فأقام هناك في مراكز لحمير فتحموا عليه وقتلوا جماعة من عسكره فانهزموا إلى مسور فغفل عنهم أيامًا يسيرة وعامل رجلاً يقال له: الحسين بن جراح وكان في الضلع «ضلع شبام» واليًا على أن يعضده على شبام ويكون أمرها إليه فعاقده على ذلك وخرج بنفسه وعساكره وقام الحسين بن جراح ففتح «شبام الأهجر»، فأخرج منها بني حوال وحمل إلى مسور جميع ما غنمه من ممالك بني حوال وأموالهم وأقام هناك شهرًا.

وندم ابن جراح على ما كان منه من معاملته وخاف على نفسه وحالف رجلاً يقال له: ابن كيالة من قواد بني حوال، كان واليًا على صنعاء فجاش ابن كيالة بقبائل حمير وهمدان وخالف ابن جراح القرمطي فصار في وجهه وابن كيالة يقابله على درب شبام؛ فضاق حال الملعون القرمطي وخرج منهزمًا بالليل هو وأصحابه إلى مسور فذكروا أنه ما خرج إلا بنفسه وترك خيله وأقاما في شبام حتى رجع لهما القرمطي ثانية وذلك عند دخول علي بن فضل صنعاء وأنا أذكر ما كان منهما لعنهما الله.

وقد كان المنصور كتب قبل أن يختلف هو وعلي بن فضل إلى ميمون وولده يخبره بما فتح من البلاد ووجه إليهما بهدايا وطرف من طرف اليمن وكان ذلك في سنة تسعين ومائتين فلما وصلت هديته إلى القداح وولده سرهما ذلك وقال لولده: هذه دولتك قد أقبلت.

ثم إن المنصور أقام في مسور إلى أن جرى بينه وبين علي بن فضل الجدني اختلاف ومحاربة وأنا أشرح ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وكان موت المنصور -لعنه الله- سنة اثنين وثلاثمائة وولي الأمر من بعده

---

(١) شبام حمير: بلدة شمال غرب صنعاء، شرق جبل كوكبان الذي فيه الحصن المنيع المعروف باسمه وهي غير بلدة شبام حضرموت وغير شبام الأهجر.

عبد الله بن عباس الشاوري.

ذكر علي بن فضل بن أحمد الجدني لعنه الله تعالى

وكان من خبره أنه لما افترق هو والمنصور بغلافقة خرج إلى اليمن أيضًا وفيها جعفر بن إبراهيم المناخي، وخرج إلى جعفر من «أبين»، وفيها رجل من الأصابح يقال له: محمد بن أبي العلاء، فخرج القرمطي إلى جيشان ثم خرج إلى سرويافع[1]، فتفرسهم، فعلم أنهم أسرع الناس إلى إجابته.

فطلع رأس جبل وبنى فيه مسجدًا وأخذ بالنسك والعبادة فكان نهاره صائمًا وليله قائمًا فأنسوا إليه وأحبوه وافتتنوا به.

ثم إنهم قلدوه أمرهم وجعلوا حكمهم إليه فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن بينهم فقال: لا أفعل هذا ولست أسكن بين قوم جهال ضلال إلا أن تعطوني العهود والمواثيق أن لا تشربوا الخمر. ففعلوا له ذلك وأنهم ينكرون المنكر وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم.

فلم يزل يخدعهم بعبادته حتى بلغ إلى إرادته وأمرهم ببناء حصن في ناحية «سرويافع»، فأطاعوه وسمعوا لأمره.

ثم إنه أنهبهم أطراف بلدان ابن أبي العلاء وأراهم أن ذلك جهاد لأهل المعاصي حتى يدخلوا في دين الله طوعًا وكرهًا وأمرهم أن يتخطفوا بلاد ابن أبي العلاء فاشتد بأسهم وكانوا لا يلقون جمعًا إلا هزموه وظفروا عليهم وذلك لما سبق من علم الله من فتنة المسلمين على يديه لعنه الله.

فلما شاع ذكره وسمع به جعفر بن إبراهيم كاتبه وفرح به؛ وذلك لشحناء[2] كانت بينه وبين ابن أبي العلاء لقرب القرمطي إليه فكاتبه جعفر على مطابقته[3] على حرب ابن أبي العلاء ووجه من عنده عسكرًا إلى القرمطي وتعاقدًا أن يكون جميع ما يفتح من بلدان ابن أبي العلاء بينهما نصفين.

---

(١) سرويافع: منطقة جبلية على مقربة من جيشان.

(٢) الشحناء: الحقد والعداوة والبغضاء. يقال: شحن عليه شحنًا: حقد.

(٣) المطابقة: الموافقة والمعارفة. يقال: طابق فلان فلانًا: وافقه. وعاونه. وعلى الأمر: مالأه وساعده.

فخرج القرمطي لحرب ابن أبي العلاء بقبائل يافع وعسكر جعفر، فهزمهم ابن أبي العلاء وقتل منهم قتلاً كثيرًا وانهزم القرمطي إلى سبأ صهيب[(١)].

فلما كان الليل جمع أصحابه وقال: إني أرى رأيًا صائبًا؛ إن القوم قد أمنوا منا وقد علمتم ما فعلوا بنا وأرى أن نهجم عليهم؛ فإنّا نظفر بهم.

فأجابوه إلى ذلك وهجم عليهم إلى خنفر[(٢)]، فقتل ابن أبي العلاء وعسكره واستباح ما كان له وأخذ من خزائنه تسعين ملحمًا[(٣)] في كل واحد عشرة آلاف.

فلما رجع إلى بلاد يافع عظم شأنه وشاع ذكره وأجابته قبائل مذحج بأسرها وزبيد وما لا يحصى عدده فلما بلغ ذلك جعفرًا اغتم غمًا شديدًا وسفر إليه[(٤)] ينظر ما عنده فسأله أن يقسم ما أخذ من خنفر فجمع القرمطي القبائل والعساكر ولقي السفير في أعظم زي من العدة والعدد فلما عرف بما جاء به السفير جمع العساكر وقال: إن جعفرًا أرسل إليّ لما بيني وبينه من العهد بقسمة ما غنمت وقد أحضرتكم شهودًا على تسليمه إليه؛ لأني لا رغبة لي في المال، إنما قمت لنصرة الإسلام؟!

فشكروه على ذلك، ثم أحضر المال، فقسمه شطرين، وسلم إلى السفير، وقال: انصرف إلى صاحبك ليلتك، وقل له يستعد لحربي. وكتب معه كتابًا إليه، يذكر فيه: إنه بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين، وأخذ أموال الناس، وأنا قمت لأميت المظالم، وأرد الحق إلى أهله، فإن أردت تمام ما بيني وبينك فرد الظلامات إلى أهلها، وادفع لأهل دلال دية ما قطعت من أيديهم، وذلك أن جعفرًا قطع أيدي ثمانمائة رجل من أهل دلال على حجر المذيخرة[(٥)]، يقال: إن أثر الدم على الحجر إلى اليوم.

---

(١) سبقت الإشارة إليها.

(٢) خنفر: منطقة كانت تقع في قلب وادي أبين.

(٣) المُلْحَمُ: جنس من الثياب يختلف نوعُ سَدَاه ونوعُ لُحمته، كالصوف والقطن، أو الحرير والقطن.

(٤) أي بعث إليه سفيرًا.

(٥) المذيخرة: موضع بجهة قضاء العدين من أعمال صنعاء.

فلما بلغه كتابه علم أنه منابذه[١] الحرب، فقطع مكاتبته.

فلما كان العام المقبل خرج القرمطي بالجمع الكثير، فدخل المعافر، فأمر جعفر بلزوم نقيل بردان عند التَعْكر[٢]، وخرج في لقائه أكثر من ألف فارس، فانهزم القرمطي موليًا إلى بلاد يافع، فجمع جموعًا كثيرة، ورجع فهزم جموع جعفر إلى المذيخرة، فتبعه القرمطي فدخل المذيخرة، وانهزم جعفر إلى تهامة، فأقام القرمطي في مذيخرة، فاستنجد جعفر بصاحب تهامة، فأنجده بعسكر عظيم، فطلع حتى صار في موضع يقال له: الرواهد بناحية (نخلة)، فلما سمع به القرمطي خرج إليه في جنح الليل، فظفر به، وقتل جعفرًا في الجوالة بنخلة.

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله تعالى: وكان هذا جعفر بن إبراهيم ظلومًا، غشومًا سفّاكًا للدماء، وأنه قال في شعر له طويل قدر مائتي بيت في حرب كانت بينه وبين أبي جعفر الحوالي، وظفر جعفر على الحوالي، في شيء من شعره:

إذا ما تجعظروا بطشنا بقدرة ... ونفعل ما شئنا وما نتجعظر

فما قبلنا قبل ولا بعد بعدنا ... لمفتخر فخرًا إذا عد مفخر

سوى الطيبين الطاهرين الذين هم ... من الرجس والعاهات والسوء طهر

سلالة إسماعيل ذي الوعد والوفا ... ودعوة إبراهيم والبيت يعمر

محمد الهادي النبي وصنوه ... عليّ وسبطاه شبير وشبر[٣]

ونسلهم الهادين بالحق والتقى ... بطاعتهم رب السموات يأمر

ومولاتي الزهراء التي عدل مريم ... وصهر رسول الله مولاي حيدر

رويدك عني بالملامة إنني ... بها وبهم أزهو وأعلو وأفخر

---

(١) نَابَذَهُ الحرب: جاهره بها.

(٢) التَعْكر: حصن يمني معروف على مقربة من بلدة الجنَد التي سبقت الإشارة إليها.

(٣) الصنو: النظير والمثل، والأخ الشقيق، والسبط: ولد الابن والابنة، وشبير وشبر: لقبان من ألقاب الحسن والحسين، وهما في الأصل اسمان لابني هارون.

ألا كــل مجــد مــا خلا مجد أحمد وعتــرته من دون مجدي يقصر[١]
وكــل امــرئ والى سوى آل أحمد فذاك الذي الدنيا مع الدين يخسر
بهــم زادني الــرحمن عــزًا ومفخرًا فأحمــده حمــدًا كــثيرًا وأشكر
أنــا ابــن أبي إسحاق منصور حمير وفارســها والشعــشعان المظفــر
فلــولاي لم يخلــق ســرير ممهــد ولــولاي لم ينصب على الأرض منبر
أنــا قمــر الدنــيا وعمــي سراجها وجــدي الذي كانت به الأرض تعمر
هــم أنــزلوني مــنزل العز حيث لا يــراني إلا دوني الطــرف يحــسر
أصــول ولا يعــدى علــيّ وأعتدي وأخمــد نــيران الحروب وأسعر
وطعمــي للأعــداء مــر وعلقــم وطعمــي لأهل السلم شرب معنبر
ألم تــر أن البغــي مهلــك أهلــه وأن الــذي يبغــى عليه سينصر

رجع الحديث إلى عليّ بن فضل القرمطي -لعنه الله- أنه لما قتل جعفرًا، أظهر كفره، وادعى النبوة، وأحل البنات والأخوات[٢]، وفي ذلك يقول شاعرهم[٣] على منبر الجامع في الجند:

خــذي الــدف يــا هــذه والعبي وغــني هــزاريك ثم اطــربي

---

(١) العِتْرَةُ: نسل الرجل، ورهطه، وعشيرته.

(٢) استدل القرامطة في إحلالهم للزواج من البنت والأخت، فقالوا: (وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل، ثم يكون له أخت أو بنت حسناء، وليست له زوجة في حسنها، فيحرمها على نفسه، وينكحها من أجنبي، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي، وما وجه ذلك إلا أن صاحبهم -يقصد النبي- حرم عليهم الطيبات). من رسالة القيرواني إلى سليمان بن الحسن كما أوردها البغدادي في الفرق بين الفرق، بتحقيقنا، وإصدار مكتبة ابن سينا بمصر.

(٣) ينص صاحب نزهة الجليس (٢/٣٠٨) على أن الأبيات العشرة التالية هي من شعر علي ابن الفضل، ومطلعها عنده: (خذي الدف يا هذه واضربي). وهذه الأبيات تمثل المعري ببعضها في رسالة الغفران، طبعة المعارف ٣٧٣.

تـولى نـبي بـني هاشـم وهـذا نـبي بـني يعـرب[١]
لكـل نـبي مـضى شـرعة وهـذي شـرائع هـذا الـنبي
فقـد حـط عـنا فروض الصلاة وحـط الـصيام ولم يـتعب
إذا الـناس صـلوا فـلا تنهضي وإن صـاموا فكلـي واشـربي
ولا تطلـبي الـسعي عـند الصفا ولا زورة القـبر في يثـرب
ولا تمنعـي نفـسك المعرسـين مـن أقـربي ومـن أجـنبي
فكـيف تحلـي لهـذا الغـريب وصـرت محـرمة لـلأب
ألـيس الغـراس لمـن ربـه وسـقاه في الـزمن المجـدب
ومـا الخمـر إلا كمـاء الـسماء حـلالاً فقدسـت مـن مذهب

والشعر طويل، وكله تحليل محرمات الشريعة والاستهانة بها.

ثم خرج يريد الحوالي، وخرج قبل ذلك إلى بلاد يحصب، فدخل منكث فأحرقها.

ثم خرج يريد الحوالي صاحب صنعاء، فلما بلغ بلد عنس، وكان للحوالي مأمور في هران، فأرسل إليه القرمطي ليدخل فيما هم عليه، فأجابه إلى ذلك، فنزل إليه، ودخل في ملته وقرمطته[٢]، وكان معه خمسمائة فارس رجع منهم إلى صنعاء إلى الحوالي مائة وخمسون.

وخرج القرمطي يريد صنعاء، فلما سمع به الحوالي وبالجموع التي معه وعلم أنه لا طاقة له به خرج من صنعاء هاربًا إلى الجوف، فدخل القرمطي صنعاء فأقام فيها، وأظهر فيها الفحشاء، وأمر الناس بحلق رءوسهم، ثم التقى هو وصاحب

---

(١) أي عليّ بن الفضل، وقد كان المؤذن يؤذن في مجلسه فيقول: (وأشهد أن عليّ بن الفضل رسول الله). بل قد زعم بعض المؤرخين أنه تجاوز ادعاء النبوة إلى ادعاء الألوهية فيقولون: إنه كان يكتب إلى عماله: (من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل، إلى عبده فلان).

(٢) أي زندقته، فالقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة. انظر: الحور العين ١٩٩.

مسور الحسن بن منصور إلى شبام فأقاما هنالك أيامًا، وعلي بن فضل يكبر المنصور، ويقول: إنما أنا سيف من أسيافك، والمنصور يهابه ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته وإقدامه.

فعزم على الخروج إلى مخاليف البياض[١]، فنهاه المنصور وقال له: قد ملكنا اليمن بأسره، ولم يبق إلا الأقل، فعليك بالتأني والوقوف في صنعاء سنة، وأنا في شبام، فيصلح كل واحد ما استفتح ثم بعد ذلك يكون لنا نظر فإنك إن خرجت من صنعاء خالف أهلها، وفسد علينا ما ملكناه.

فلم يقبل منه، وقال: لابد من الخروج.

واستفتح تهامة، فخرج إلى مخاليف البياض، وهي بلاد وعرة، فلما توسط بينهم ومعه قدر ثلاثين ألفًا أحاطوا به، وقطعوا عليه الطرق، ولم يقدر على التخلص، فلما سمع المنصور خاف عليه، وأغار عليه واستنقذه، فرجع إلى شبام، وعاد إلى صنعاء، وخرج إلى جبال حضور، ثم إلى حراز، ثم إلى ملحان، ونزل المهجم، وقتل صاحبها، وهو إبراهيم بن علي رجل من عك. واستفتح الكدراء، ورجع إلى ملحان، وسرى بالليل إلى زبيد، وفيها المظفر بن حاج، ومعه ستمائة فارس، وهجم عليهم في أربعين ألفًا، فأحاط بعسكره، فقتل المظفر بن حاج، وكان المظفر مأمورًا لصاحب بغداد[٢].

وسبي القرمطي من زبيد أربعة آلاف عذراء، ثم خرج منها إلى الملاحيط، وأمر صائحه عسكره: يا جند الله. فلما اجتمعوا إليه قال: قد علمتم إنا مجاهدون، وقد أخذتم من نساء الحصيب ما قد علمتم، وإن نساء الحصيب تفتن الرجال، فيشغلنكم عن الجهاد؛ فليذبح كل رجل منكم من في يده!

---

(١) البياض: منطقة وعرة تقع بالقرب من صنعاء اليمن.

(٢) يقصد بصاحب بغداد الخليفة العباسي علي (المكتفي بالله) ابن أحمد بن الموفق ابن المتوكل، مولده ووفاته (٢٦٣-٢٩٥هـ، ٨٧٦-٩٠٨م)، قال ابن دحية: أنفق الأموال العظيمة في حروب القرامطة الخارجين على الحجيج، حتى أبادهم واستأصلهم. وفي أيامه فتحت أنطاكية، وكان الروم قد استولوا عليها. وتوفي شابًا ببغداد.

فسميت الملاحيط المشاحيط[١] لذلك.

ثم رجع إلى مذيخرة دار مملكته، وأمر بقطع الحج، وقال: حجوا إلى الحرف، واعتمروا إلى الثاني، موضعان معروفان هنالك.

فلما أصبحت اليمن بيده، وقتل الأضداد مثل: المناخي، وجعفر بن الكرندي، والرؤساء، وطرد بني زياد وكانوا رؤساء مخلاف جعفر، ولم يبق له ضد يناوئه[٢]،عطل المنصور، وخلع عبيد بن ميمون[٣] الذي كان يدعو إليه.

فكتب إليه المنصور يعاتبه، ويذكر ما كان من إحسان القداح، وقيامه بأمرهما، وما أخذ عليهما من العهد لابنه، فلم يلتفت إلى قوله.

وكتب إليه إنما هذه الدنيا شاة من ظفر بها افترسها، ولي بأبي سعيد الجنابي أسوة؛ لأنه خلع ميمونًا وابنه، ودعا إلى نفسه، وأنا أدعو إلى نفسي، فإما نزلت على حكمي ودخلت في طاعتي وإلا خرجت إليك. وقد كان سعيد الجنابي[٤] دخل مكة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفًا، وقطع الركن يوم النحر، وهو القائل لعنه الله:

فلو كان هذا البيت لله ربنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا

لأنا حججنا حجة جاهلية ... مجللة لم تبق شرقًا ولا غربًا

وإنا تركنا بين زمزم والصفا ... كتائب لا تبغي سوى ربها ربا

ولكن رب العرش جل جلاله ... ولم يتخذ بيتًا ولم يتخذ حجبا

---

(١) شَحَطَ القتيلُ في الدم: اضطرب. وشَحَّطَهُ في دمه، وبدمه: جعله يضطرب ويتخبط فيه.

(٢) أي لم يبق له عدو يعارضه.

(٣) يريد عبيد الله المهدي، وقد سبق التنبيه على عدم دقة المؤلف في اعتباره عبيدًا ابنًا لميمون.

(٤) هذا خطأ من المؤلف؛ فلم يكن سعيد الجنابي هو الذي فعل ذلك، وإنما هو أخوه سليمان بن الحسن الجنابي أبو طاهر. انظر الكامل لابن الأثير (٢٧/٨، ٤٥، ٤٩، ٥٣، ٥٦، ٦٥). وفوات الوفيات (١٧٥/١)، والنجوم الزاهرة (٢٢٥/٣)، وسير النبلاء: الطبقة التاسعة عشرة، وفيه: (ووهم السمناني فقال في تاريخه: إن الذي نزع الحجر أبو سعيد الجنابي. وإنما هو ابنه أبو طاهر هذا).

في شعر طويل. وقد كان الخليفة ببغداد[1] كتب إليه يذكر له ما فعل ويتوعده على ما استحل فأجابه أبو سعيد القرمطي[2]:

(بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين.

من أبي الحسن الجنابي[3]، الداعي إلى تقوى الله القائم بأمر الله، الآخذ بآثار رسول الله ﷺ، إلى قائد الأرجاس المسمى بولد أما بعد: عرفك الله مرشد الأمور، وجنبك التمسك بحبل الغرور، فإنه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك، وذكرك ما وضعته من نظم كلامك، وقمت به من فخامة إعظامك، من التعلق بالأباطيل، والإصغاء إلى فحش الأقاويل من الذين يصدون عن السبيل، فبشرهم بعذاب أليم على حين زوال دولتك، ونفاذ منتهى طلبتك، وتمكن أولياء الله من رقبتك، وهجومهم على معاقل أوطانك ظفرًا، وسبيهم حرمك قسرًا، وقتل جموعك صبرًا، أولئك حزب الله: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وجند الله هم الغالبون.

هذا وقد خرج عليك الإمام المنتظر كالأسد الغضنفر في سرابيل الظفر، متقلدًا سيف الغضب، مستغنيًا عن نصر العرب، لا يأخذه في الله لومة لائم، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقد اكتنفه العز من حواليه،

---

(١) هو الخليفة العباسي المقتدر جعفر بن أحمد (٢٨٢ -٣٢٠ هـ، ٨٩٥ -٩٣٢م) وقد كان خليفة ضعيفًا مبذرًا استولى على الملك في عهده خدمه ونساؤه وخاصته، والبون شاسع بينه وبين أبيه المعتضد. ذاك جدد شأن الدولة، وهذا ذهب برونقها وهوى بها. وفي أيامه قتل الحلاج، وقوي أبو طاهر القرمطي فقلع الحجر الأسود، قال ابن دحية: (قتل القرمطي الخلق العظيم بالعراق والجزيرة والشام إلى أن عاد إلى الأحساء وملكها، ووزراء الخليفة، في ذلك كله يتنافسون في صيد الدراج وينثرون على راميها بالمال الجزل ويدخلون في الشريعة اللعب والهزل. وأم المقتدر تطوي عن ابنها الأخبار من الرزايا والفجائع، وتقول: إظهارها يؤلم قلبه! فأدى ذلك إلى غاية الفساد). انظر: النبراس لابن دحية ٩٥- ١١٣.

(٢) الصواب أبو طاهر سليمان بن الحسن -كما أشرنا أعلاه.

(٣) انظر الهامش السابق.

وسارت الهيبة بين يديه، وضربت الدولة عليه سرادقها[١]، وألقت عنه قناع بوائقها[٢]، وانقشعت طخاء[٣] الظلمة، ودجنة[٤] الضلالة، وغاضت[٥] بحار الجهالة؛ ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

تالله غرتك نفسك، وأطمعتك فيما لست نائله، وسولت لك ما لست واصله، فكتبت لي بما أجمعت عليه أذهان كتابك، ذكرتني بالعيوب الشنيعة، وقذفتني بالمثالب السمجة، ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦].

فأما ما ذكرت من قتل الحجيج، وإخراب الأمصار، وإحراق المساجد، فوالله ما فعلت ذلك إلا بعد وضوح الحجة كإيضاح الشمس، وادعاء طوائف منهم أنهم أبرار، ومعاينتي منهم أخلاق الفجار؛ فحكمت عليهم بحكم الله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

خبرني أيها المحتج لهم، والمناظر عنهم، في أي آية من كتاب الله، أو أي خبر عن رسول الله ﷺ إباحة شرب الخمور، وضرب الطنبور[٦]، وعزف القيان[٧]، ومعانقة الغلمان، وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام، واحتووها من وجوه الحرام.

وأما ما ذكرت من إحراق مساجد الأبرار، فأي مساجد أحق بالخراب من مساجد إذا توسطتها، سمعت فيها الكذب على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ بأسانيد عن مشايخ فجرة، بما أجمعوا عليه من الضلالة وابتدعوا من الجهالة.

وأما تخويفك لي بالله، وأمرك بمراقبته، فالعجب من بهتك، وصلابة

---

(١) السرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب.

(٢) البوائق: جمع بائقة، وهي الداهية والشر.

(٣) الطَّخَاء: الغشاء يغطي غيره.

(٤) الدُّجْنَةُ: السواد والظلمة.

(٥) غَاضَ الماءُ: نزل في الأرض وغاب فيها. ويقال: غيض الماءُ، فهو مغيض. وفي القرآن الكريم: ﴿وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: ٤٤].

(٦) الطنبور: آلة من آلات اللعب واللهو والطرب، ذات عنق وأوتار.

(٧) القيان: جمع قينة وهي الأَمَةُ صانعة أو غير صانعة، وغلب على المغنية.

حدقتك، أترى أني أجهل بالله منك، وصرفك أموال المسلمين للخصيان والضراطين، ومنعها عن مستحقيها، يدعى على المنابر للصبيان ويخطب للخصيان ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

وأما ما ذكرت أني تسميت بسمة عدوان، فليس بأعظم من تسميك بالمقتدر بالله أمير المؤمنين، أي جيش صدمك، فاقتدرت عليه؟! أم أي عدو سرقك فابتدرت إليه؟! لأنت أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين، وإنك لتقلد بعض خدمك شيئًا من أمرك، فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى، فأي الأمرين أقرب للتقوى؟ أو ما علمت أنه من انقاد له من نفر من عشيرته، وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم.

وبعد: فمالك وللوعيد والإبراق والتهديد، اعزم على ما أنت عليه عازم وأقدم على ما أنت عليه قادم، والله من ورائي ظهير، وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله وصلى الله على خير بريته وآله وعترته).

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله تعالى: يرجع الحديث إلى قصة صاحب مسور، وعلي بن فضل لعنهما الله تعالى. وذلك أن صاحب مسور لما علم أن علي بن فضل غير تاركه، كما ذكر في كتابه، عمد إلى جبل مسور فحصنه، وأعد فيه جميع ما يحتاج إليه للحصار، وقال لأصحابه: إني لأخاف هذا الطاغية، ولقد تبين لي في وجهه الشر حين واجهته في شبام.

فلم يلبث علي بن فضل أن خرج لحرب المنصور، واختار لحربه عشرة آلاف مقاتل من يافع ومذحج وزبيد وعنس وقبائل العرب، فدخل قرية شبام، وأخرج المنصور للقائه ألف مقاتل إلى موضع يقال له: المصانع من بلد حمير، فضبطوا ذلك الجبل، فزحف إليه، فاقتتلوا من أول النهار إلى الليل، فخرج علي ابن فضل على طريق العضد، ودخل لاعة مصعدًا إلى جبل الجمجمة مقاتلاً للمنصور، فضرب فيها ورجع إلى أصحابه حضور المصانع، فلزموا بيت ريب، وضبطوا الجبل، فأقسم أن لا يبرح حتى يستنزل المنصور، فحاصره ثمانية أشهر.

وقيل: إن المنصور حمل من سرق طمام خمسمائة حمل ملح قبل وصول

علي بن فضل، وعق[١] له في الجبل عقًا واسعًا في موضع كثير التراب، وأوقدوا فوقه الحطب أيامًا حتى استملح الجبل، فصار ملحًا كله، ثم نقله إلى الخزائن.

ثم إن علي بن فضل ملَّ المقام، فلما علم منه المنصور ذلك، دس عليه في أمر الصلح، فقال: لست أبرح وقد علم أهل اليمن قصدي لمحاصرته إلا أن يرسل إليّ بعض ولده، فيكون ذلك لي مخرجًا عند الناس، ويعلمون أنه قد دخل في طاعتي.

فأرسل إليه ولده ودفعه بالتي هي أحسن، فرجع إلى مذيخرة فأقام عنده ولد المنصور سنة، ثم رده إلى أبيه وبره وطوقه بطوق من ذهب.

ثم أقام بمذيخرة يحل المحرمات، ويرتكب الفواحش، وأمر الناس باستحلال البنات والأخوات، وكان يجمع أهل مذهبه في دار واسعة يجمع فيها الرجال والنساء بالليل، ويأمر بإطفاء السرج، وأخذ كل واحد من وقعت يده عليها.

وروي أن عجوزًا محدودبة الظهر، وقعت مع رجل منهم فلما تبنى بها[٢] خلاها[٣]، فتعلقت بثيابه، وقالت: (دو بد من ذي حكم الأمير)[٤] فَجَرَت مثلاً.

ويقال: إن أيامه -لعنه الله- كانت سبع عشرة سنة، ومات مسمومًا سنة ثلاث وثلاثمائة.

وكان سبب موته لعنه الله أن رجلاً من أهل بغداد يقال: إنه من شريف وصل إلى الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي، وكان في ذلك الوقت هاربًا من القرمطي في الجوف من بلد همدان مستجيرًا ببني الدُعام، وأن ذلك البغدادي وهب نفسه لله وللإسلام، وقال الأمير: تعاهدني وأعاهدك أني إذا قتلت هذا القرمطي كنت معك شريكًا فيما يصل إليك.

---

(١) عق: حفر في الجبل حُفرًا مستطيلة.

(٢) أي: فلما شرع في مجامعتها.

(٣) أي: تركها.

(٤) المراد بـ (دو) في لغة من لغات اليمن القديمة: لا، و(ذي): الذي. وعلى هذا يكون معنى المثل: لا مفر من تنفيذ الحكم الذي حكم به الأمير من وجوب مجامعة الرجل للمرأة التي تكون من نصيبه في الظلام.

فعاهده على ذلك، وكان طبيبًا حاذقًا، فخرج إلى مذيخرة، فكان مع كبار أهل دولة القرمطي، يفتح لهم العروق، ويسقيهم الدواء، ويعطيهم المعجونات، حتى وصفوه للقرمطي بالحذق بالطب، وفتح العروق، وقالوا: إن مثلك لا يستغني أن يكون في حضرته مثله.

ثم إنه احتاج إلى إخراج الدم، فأمره أن يفصده[1]، فعمده إلى السم، فجعله على شعر رأسه، فدخل على القرمطي، فسلم عليه، فأمره أن ينزع ثيابه، ويلبس غيرها، ثم أخرج المبضع، ثم مصه، وعلي بن فضل ينظر إليه، ثم مسحه برأسه، فتعلق به من السم حاجته، ثم فصده وخرج من ساعته، فركب دابته، وخرج هاربًا، فلما أحس عدو الله بالموت أمر بقتل الطبيب، فلم يوجد فلحقوا به دون نقيل صيد بإزاء قينان، فقتلوه هنالك رحمه الله تعالى، ومات القرمطي لا رحمه الله.

وولي الأمر من بعده ولده الفأفاء، وشاع موته في الناس، ووصل إلى الحوالي[2] جماعة من رؤساء الناس: بنو المحابي والأنبوع وغيرهم، وزحف بالعسكر الغليظ لحرب القرامطة، فدخل التعكر، ثم تقدم إلى جبل التومان، فحاصر القرامطة، وسلط الله سبحانه وتعالى عليهم سيف النقمة، لا يخرج لهم جمع إلا هزموا، أو قتلوا، وأيد الله سبحانه وتعالى المسلمين بنصره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢، ١٧٣] فأقام يحاصر القرامطة سنة، ويقال: إن من شدة عزمه وحزمه وتقصيه أنه ما حل عدته ولا سلاحه بل يصلي وعليه عدته وسلاحه، حتى فتح الله عليه، وقتل القرامطة،

---

(١) أي أمره أن يخرج مقدارًا من دم وريده بقصد العلاج.

(٢) هو أسعد بن إبراهيم بن أبي يَعْفُر الحوالي: (٣٣٢هـ- ٩٤٤م) زعيم يماني، من الأمراء. كان قد قاتل القرامطة أيام استيلائهم على اليمن. وانتزع منهم صنعاء، ثم استولوا عليها، فقاتلهم في ذمار، وصالحه علي بن الفضل القرمطي فولاه صنعاء، فخطب لعلي بن الفضل وهو مضطغن عليه، ولبس البياض -وكان شعار القرامطة باليمن- وقطع ذكر بني العباس، حتى مات علي بن الفضل، وكان من أمره ما سيذكره المؤلف أعلاه.

وأحيا الإسلام.

وليس كولاة الأمر من أهل زماننا الذين غرقوا في اللذات، واتبعوا الشهوات، ولم يرغبوا في المكارم والنجدات، وعظوا فلم يتعظوا، وناموا فلم يستيقظوا، ونظروا ما حل بغيرهم فلم يعتبروا.

وقد قيل في المثل السائر:

وإذا رأيـت أخـوك يحلـق رأسـه ... أوشكت بعد أخيك تصبح أصلعا

ومن عجز عن رعاية رعيته، وجار عليها في حكمه وقضيته، دل على زوال مملكته وتعجيل منيته، وقد قال الأول:

ومـن رعـى غنمًا في أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

وإذا فرط الراعي في أمر رعيته، وطاوع نفسه الدنية، وذهبت عنه الأنفة والحمية، فقد عظمت عليه البلية، وقال الأفوه الأودي[1]:

لا يـصلح القوم فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهّالهم سادوا

تهـدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت ... فإن تولت فبالأشرار ينقادوا

رجع الحديث إلى محاصرة الحوالي، فروي أنه نصب المنجنيقات[2]، فهدم المذيخرة بعد سنة، ودخل على القرامطة فقتلهم، وأخذ من الغنائم ما لا يحصى، وسبي بنات القرمطي وكن ثلاثًا، فصارا اثنين في رعين وواحدة وهبها الأمير لابن أخيه قحطان.

---

(١) صلاءة بن عمرو بن مالك، من بني أود، من مذحج: (٥٠ ق هـ - نحو ٥٧٠م) شاعر يماني جاهلي، يكنى أبا ربيعة، قالوا: لقب باللأفوة لأنه كان غليظ الشفتين، ظاهر الأسنان. كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم. وهو أحد الحكماء الشعراء في عصره، ويُعتبر أشهر شعره البيتان اللذان ذكرهما المؤلف أعلاه. انظر معاهد التنصيص ٤/١٠٧، والشعر والشعراء ٥٩، وشعراء النصرانية ٧٠، وسمط اللآلي ٣٦٥، وجمهرة الأنساب وهو فيه: (صلاءة بن عمرو بن عوف بن منبه بن أود).

(٢) المنجنيقات: جمع منجنيق وهي آلة قديمة من آلات الحصار كانت تُرمى بها حجارة ثقيلة على الأسوار فتهدمها.

وأباد الله القرامطة على يد الأمير الحوالي بمنه وسعادته، وجعل لا يسمع بأحد منهم إلا قتله، ورجع إلى صنعاء وقد أطفأ جمرة الشرك، وملك جميع البلاد، وزالت الفتنة وأراح الله الأمة من القرامطة وطهر منهم البلاد، وأمن منهم العباد، وسار الأمير في الناس بأحسن سيرة، وعدل في الرعية، ورد بني المحابي إلى مخلاف جعفر، وجرت المكاتبة بين الأمير الحوالي والأمير إبراهيم بن زياد، والناصر أحمد ابن يحيى الإمام الهادي[1] صاحب صعدة، وتعاقدوا على المعاضدة والمناصرة وقتل القرامطة حيثما وجدوا، وذكروا أنه كان يوجد عنوان: كنتم بركة في بركة ونعمة مشتركة، والأرض فيما بيننا قد حصلت في شبكة.

وكان الخارج إذا خرج من بلد أحدهم لذنب أذنبه كاتب فيه، وسأل الصفح عنه، وصفت لهم المعيشة، واستقامت لهم الدولة، ولزم كل واحد منهم بلده، ولم يطمع واحد على صاحبه، وألف الله بين قلوب المسلمين، ولم يبق من القرامطة إلا شرذمة قليلة من أولاد المنصور في ناحية مسور، وأبادهم الله تعالى على يد الدعام بن إبراهيم[2]، والناصر بن يحيى، وأنا أذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

---

(١) أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم الحسني العلوي، الناصر لدين الله: (٣٢٥ هـ - ٩٣٧م) إمام زيدي يماني، من علمائهم وبسلائهم، ولي الإمامة سنة ٣٠١هـ بعد اعتزال أخيه (محمد بن يحيى) وجهز جيشًا في ٣٠ ألفًا دخل به (عدن) وقاتل القرامطة فظفر بهم، واستمر موفقًا إلى أن توفي بصعدة، وله تصانيف. انظر: بلوغ المرام ٣٣، وإتحاف المسترشدين ٤٥، والأعلام ١/٢٦٨.

(٢) الدُّعام بن إبراهيم بن عبد الله بن يأس الأَرْحَبي: (٠٠٠-نحو ٢٩٨هـ = ٠٠٠-نحو ٩١٠م) شيخ كهلان، بل سيد همدان في عصره. اشتهر بالنجدة والفروسية والدهاء والجود. قال الهمداني: (وهو الذي قام على آل يعفر -في اليمن- فاستلب المملكة منهم، وملك بلدهم، وتأمر بصنعاء، وجبيت إليه اليمن إلى ساحل عدن)، واستعان آل يعفر بالموفق والمعتضد، فخرج الدعام من صنعاء، ثم عاد إليها مع الهادي إلى الحق (يحيى بن الحسين) سنة ٢٨٨هـ، وسلمه بلد همدان، وقاتل معه القرامطة وغيرهم، وظل معه آخر أيامه. انظر الأعلام ٢/٣٣٩، والإكليل ١٠/ ١٧٩، ١٨٦ فيه: (وسؤدد آل الدعام عظيم وأخبارهم كثيرة).

ذكر أولاد المنصور

مات -لعنه الله- سنة اثنتين وثلاثمائة، واستخلف على أهل دعوته رجلاً يقال له: عبد الله بن عباس الشاوري وأوصى إليه وإلى ولده أبي الحسن المنصور، وقال:

(قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه، ولا تقطعا دعوة بني عبيد بن ميمون، فنحن غرس من غرسهم، ولولا ناموسهم وما دعونا به إليهم ما صار إلينا من الملك ما قد نلناه، ولا تم لنا في الرئاسة حال؛ فعليكما بمكاتبة القائم منهم، واستيراد الأمر منهم، فأوصيكما بطاعة المهدي -يعني: عبيد بن ميمون- حتى يرد أمره بولاية أحدكما، ويكون كل واحد منكما عونًا لصاحبه).

وقد كان لعبد الله بن عباس عند عبيد بن ميمون سابقة معروفة، لأن المنصور قد كان -لعنه الله- بعثه مع أبي عبد الله الشيعي [1] الخارج بكتامة من بلاد العرب على ما أذكره فيما بعد.

ثم إن عبد الله بن عباس كتب إلى عبيد بن ميمون المسمى بالمهدي، بموت المنصور، وهو يومئذ بمدينة بناها وسماها المهدية [2] بالمغرب، وأنه قام بمذهبه من بعد المنصور، ودعا إليه، وأنه لم يبق إلا استيراد الأمر، ويسأله الولاية لنفسه، وعزل أولاد المنصور.

وخرج ولد المنصور بنفسه إلى القيروان يسأل الولاية لنفسه، ولا ينزع الأمر منهم بعد أبيهم، وقد كانت وصلت هدايا ابن عباس وكتابه، وولاة الأمر، وكتب له. فلما وصل ابن المنصور أمره بطاعة ابن عباس، وبعث لابن عباس بسبع رايات.

---

(١) يعتبر هذا الرجل الممهد الأول لدولة الفاطميين، وناشر دعوتهم بالمغرب. وكان من الدهاة الشجعان، من أعيان الباطنية وأعلامهم. وأصله من صنعاء. اتصل في صباه بالإمام محمد الحبيب (أبي المهدي عبيد الله)، ثم بذل جهده بعد ذلك في الدعوة إليه، ونجح في ذلك نجاحًا غير مسبوق، إذ ترتب على جهوده هذه نشوء دولة الفاطميين أكبر خلافة شيعية عرفها التاريخ قبل الثورة الإيرانية. مات سنة ٢٩٨هـ مقتولاً بأمر عبيد الله المهدي الذي استثقل وطأته وتحكمه وانقياد الناس إليه!!

(٢) المهدية: مدينة من مدن تونس.

فرجع ولد المنصور إلى مسور، وقد يئس مما كان يرجو من الولاية، فلقيه عبد الله بن عباس بنفسه وأهل دعوته، فبجله وعظمه. ولقيه أخوه جعفر وأبو الفضل وبقية أولاد القرمطي لعنه الله، فسألوه بما ورد به الأمر، فعرفهم بصرف الأمر عنهم إلى عبد الله بن عباس دونهم، فتبين لجعفر في وجه أخيه أبي الحسن الشر والعداوة لابن عباس والحسد، فنهاه عن ذلك، وقبح عليه وزجره، وقال له: أنت تعلم أنه غرس أبينا، وأنه لا يقدم علينا سوانا في هذا الأمر.

قال: والله لا تركته يتنعم في ملك عني به غيره، ونحن أحق به منه.

فقال له أخوه جعفر: إن أمرنا إذًا يتلاشى، ويزول ملكنا، وتفترق هذه الدعوة، ويذهب الناموس الذي نمسناه على الناس، فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك.

فلم يلتفت إلى قوله، وكتم السر نفسه، وكان أولاد المنصور لا يحجبون عن أبي العباس ليلا ولا نهارًا، فوثب عليه أبو الحسن بن المنصور، فقتله غدرًا، وولي الأمر من بعده، فولي ما كان أبوه يلي، ورجع إلى مذهب الإسلام، وجمع العشائر من بلده، وأشهد أنه رجع عما كان عليه أبوه، فأحبه الناس، فدخل عليه جعفر، فقبح ما فعله، وقال: قطعت يدك بيدك.

فلم يلتفت إلى قوله ... وخرج جعفر إلى ولد عبيد المسمى بالقائم، فكاتب أخاه يعيب عليه فعله بشعر طويل يقول فيه:

فكنـــتم وأنـــتم تهدمـــون وأبـــتني ... فشتان من يبني وآخر يهدم

وتتبع أبو الحسن من كان على دين أبيه يقتلهم، فأباد القرامطة، وبقي منهم قوم يتكتمون منه، وأقاموا ناموسهم برجل منهم، وكان لا يقطع مكاتبة بني عبيد.

ثم إن أبا الحسن خرج من مسور إلى «عثر محرم»، وفيه يومئذ رجل من بني العرجاء، واستخلف أبو الحسن على مسور رجلاً يقال له: إبراهيم بن عبد الحميد السباعي، وهو جد بني المنتاب. فوثب ابن العرجي على أبي الحسن فقتله.

فلما انتهى الخبر إلى إبراهيم بن عبد الحميد السباعي لزم مسورًا، وادعى

الأمر إلى نفسه، وأخرج أولاد المنصور وحريمه من مسور إلى جبل ذي عسب، فوثب عليهم المسلمون من أهل المغرب[(١)]، فقتلوهم الصغير منهم والكبير، وسبوا حريمهم، ولم يبقوا على وجه الأرض من الكافرين ديارًا[(٢)]، ولم يبق للمنصور عقب يعرف بحمد الله ومنه.

ثم إن إبراهيم بن عبد الحميد اتفق هو وابن العرجي، واقتسما بينهما نصفين، لكل واحد منهما ما يليه، ورجع إبراهيم عن مذهب القرامطة، وكان أبوه من كبار قواد المنصور، وأصله من قدم من حمير، وكان أبوه قتل في مخلاف البياض، لأن المنصور كان أخرجه إلى هنالك بالعساكر.

ثم إن إبراهيم بنى في «بيت ريب» مسجدًا، ونصب منبرًا وخطب لأمير المؤمنين من بني العباس، وكاتب الأمير أبا الحسن بن إبراهيم بن زياد، وبذل له من نفسه السمع والطاعة، والدخول في الخدمة، وسأله أن يبعث إليه محاضرًا من قبله يكون عنده، فأرسل رجلاً يقال له: السراج، وقال له: إذا تمكنت قبضت على إبراهيم بن عبد الحميد.

فوصل من زبيد، ولقيه إبراهيم بن عبد الحميد إلى «بيت ريب»، وطلع إبراهيم بن عبد الحميد إلى حصن في رأس الجبل، وكان ينزل إليه كل يوم يصحبه ويعظم حقه.

ثم إن السراج عامل على إبراهيم ناسًا من أهل الجبل، فنزل إليه يصحبه، فلقيه رجل من المعاملين، فأخبره بالمعاملة، فرجع إلى حصنه، فضرب الطبول، فاجتمع إليه الناس، ومن كان فيه من أهل دولته، فدخل على السراج فقبض عليه، فأمر بحلق لحيته، ونفاه عن بلده.

وانقطعت المكاتبة بينه وبين ابن زياد، واستمر أمره، وجعل يتتبع القرامطة يقتلهم ويسبي ذراريهم، فبقي منهم قليل في ناحية جبل مسور، فأقاموا قرمطيًا منهم يقال له: ابن الطفيل، فسمع من إبراهيم بن عبد الحميد، فخرج إليه فقتله،

---

(١) المراد غرب اليمن، لا المغرب العربي بشمال إفريقيا.

(٢) الدَّيَّارُ -يقال: ما بالدَّار دَيَّارٌ: أَحَدٌ.

وتفرق من بقي من أصحابه إلى نواحي عمان وقطابة، وانكتم أمرهم عن إبراهيم.

ثم إنهم أقاموا ناموسهم برجل يقال له: ابن رحيم، وذلك في أيام المنتاب، بعد موت أبيه إبراهيم، وكان ابن رحيم هذا لا يستقر في موضع واحد، خوفًا من المنتاب، ومن المسلمين، وهو يكاتب ابن عبيد، وذلك بعد خروج المعز من القيروان إلى بلاد مصر عند بنائه القاهرة المنسوبة إليه، فلم يزل ابن رحيم يكاتب أهل مصر المعز ومن بعده، وينهي أخبار أهل اليمن حتى مات لا رحمه الله.

واستخلف على من بقي من القرامطة -لعنهم الله- رجلا يقال له: يوسف ابن الأسد من أهل شبام حمير، فأقام -لعنه الله- يدعو إلى الحاكم ويبايع له على وجه السر حتى مات لعنه الله.

واستخلف على مذهبه رجلاً يقال له: سليمان بن عبد الله الزواخي من حمير، من ضلع شبام من موضع يقال له: الخنن، فأقام يدعو إلى الحاكم وإلى المستنصر، وكان الملعون كثير المال عظيم الجاه، فاستمال الرعاع والطغام إلى مذهبه، وكان في أيامه قد شهر نفسه بالمبايعة لأهل مصر من بني عبيد بن ميمون الملعون، وقد كان عرف بذلك ونسب إليه. فكلما هم به المسلمون من حمير وشبام، وما حوله من القبائل، دفعهم بالجميل وقال لهم: أنا رجل مسلم، فكيف يحل لكم قتلي؟ فينتهون عنه.

وكان فيه كرم نفس، وكان يكرم الناس، ويتلطف بهم، فلم يزل كذلك حتى مات لا رحمه الله.

ذكر ابتداء دولة الصليحيين

وكان هذا الصليحي المسمى علي بن محمد[1] كثير الخلطة به والمعاشرة، وكان أحظى من عنده، وأطوع أهل مذهبه له، وكان يأتيه من بلد الأخروج، وهو سبع من أسباع حراز.

وكان الصليحي الملعون شهمًا شجاعًا مقدامًا، فلما عرفه سليمان بذلك، وحضرته الوفاة لا رحمه الله، أوصاه بأهل مذهبه، وأمرهم بالسمع والطاعة وسلم

---

(١) سبق التعريف به.

إليه مالاً كثيرًا قد كان جمعه من أهل مذهبه.

ثم إن الصليحي الملعون أرسل إلى القرامطة من أوطان كثيرة بعيدة، ومواضع متباينة، ووعدهم بالوصول إليه ليوم معلوم، فلما وصلوا إليه طلع بهم «مسار»، وكان طلوعه ليلة الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وطليعته تسعمائة رجل وخمسون رجلاً.

فلما استقر بالجبل كتب إلى صاحب مصر، وهو المستنصر من بني عبيد، ووجه إليه بهدايا سبعين سيفًا مقابضها عقيق[١]، واثني عشر سكينًا نصبها عقيق، لأن للعقيق عندهم قدرًا، لأنه لا يكون إلا في اليمن وخمسة أثواب وشي[٢]، وجام[٣] عقيق، وفصوص عقيق مع إهليلج[٤] كابلي ومسك وعنبر.

فوجه معه المستنصر إليه برايات وألقاب، وعقد له الولاية، وكان سفيره خاله أحمد بن المظفر، وأحمد بن محمد الذي انهدمت عليه الدار بعدن، وهو أبو زوجه المكرم[٥] المسماة بالسيدة بنت أحمد[٦].

---

(١) العقيق: حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص، يكون باليمن وبسواحل البحر المتوسط، واحدته: عقيقة.

(٢) الوَشْيُ: نقش الثوب، ويكون من كل لون.

(٣) الجامُ: إناء للشراب والطعام، وقد غلب استعمالها في قدح الشراب.

(٤) الإهْلِيلَج: شجر ينبت في الهند وكابُل والصين، ثمره على هيئة حبِّ الصنوبر الكبار.

(٥) المكرم هو أحمد بن علي بن محمد الصليحي: (٤٧٧هـ - ١٠٨٤م) من ملوك اليمن، تولى بعد مقتل أبيه سنة ٤٥٩هـ وأقام بصنعاء، ثم حارب قاتل أبيه، سعيد بن نجاح، المعروف بالأحول، وكان قد ملك زبيدًا، فأخرجه المكرم واستولى على زبيد وأنقذ أمه الحرة الصليحية (أسماء بنت شهاب) وكانت في أسر الأحول بزبيد، وأصيب بالفالج ففوض أمور اليمن إلى زوجته السيدة أروى بنت أحمد الصليحية التي أشار إليها المؤلف أعلاه. وكان مقدامًا حازمًا، شاعرًا فصيحًا. توفي في حصن أشيح (في بلاد أنس) باليمن. انظر: سير النبلاء، واللطائف السنية. وفي تاريخ اليمن لعمارة، الهامش ٣ من الصفحة ٢٢٧ ترجيح وفاته في نهاية ٤٤٧هـ. وفي أعلام الإسماعيلية ١١٨-١٢٥ وفاته في جمادى الأولى ٤٧٧هـ.

(٦) اضطرب النقلة والمؤرخون في تحقيق اسمها. والصواب أنها: أروى بنت أحمد بن جعفر ابن موسى الصليحي، والسيدة الحرة، وتنعت الحرة الكاملة وبلقيس الصغرى، مولدها =

فالحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته والركون إلى قوله؛ فإنه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن إليهم، لقد سمعته مرارًا وأسفارًا وهو يقول لأصحابه: قد قرب كشف ما نحن نخفيه، وزوال هذه الشريعة المحمدية. والله سبحانه أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين وهلاك المسلمين.

خلعت العذر ولم أستر	وأظهرت ما ليس بالمظهر
وبحت بما كنت أسررته	من الغي والمذهب الأخسر
وتبت إلى الله مستغفرًا	منيبًا إنابة مستغفر
وحرمت ما كنت حللته	لقومك من كل مستنكر
وحذرت من فعلك العالمين	وعدت إلى المنهج الأنور
فإني جئت نحوك مستغفرًا	فبالله بالله لا تغفر
أتحسبني أنثني صبوة	إلى رائق اللون والمنظر
وحاشا لمثلي أن ينثني	إلى الكفر والمذهب الأغبر
فإن لم يكن غير هجر الملاح	فلا زال ذاك إلى المحشر

عباد الله، إني لم أزل أتلطف بخاصته، وأهل مذهبه، ولم أقنع حتى خالطته وأطمعته بقبول ما هو عليه من مذهبه، وضلالته وكفره وبدعته، وأعماله الشنيعة، وضلالته الفظيعة، التي تنكرها القلوب، وتشمئز منها النفوس.

وذلك أن الصليحي ومن على مذهبه يدعون إلى ناموس خفي كل جهول

= ووفاتها (٤٤٤-٥٣٢هـ، ١٠٥٢-١١٣٨م) ملكة حازمة مدبرة، وعندما أصيب زوجها المكرم ففوض إليها الأمر، وقامت بتدبير المملكة والحروب إلى أن مات المكرم وخلفه ابن عمه سبأ بن أحمد، فاستمرت في الحكم، تُرفع إليها الرقاع ويجتمع عندها الوزراء وتحكم من وراء الحجاب. وهي التي دبرت في سنة (٤٧٩هـ) أو ٤٨١هـ (أو) قتل سعيد الأحول أحد قاتلي عليّ بن محمد الصليحي والد زوجها، وهي من أواخر ملوك الصليحيين، وتعد من زعماء الإسماعيلية.

غبي، بعهود مؤكدة، ومواثيق مغلظة مشددة على كتمان ما بويع عليه ودعي إليه، وأنه لا يكشف لهم سرًا، ولا يظهر لهم أمرًا، ثم يطلعه على علوم مموهة، وروايات مشبهة يدعوه في بدء الأمر إلى الله ورسوله، كلمة حق يراد بها الباطل، ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله ﷺ، فإذا انقاد له وطاوعه أدخله في طرق المهالك تدريجًا، ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفًا وتعويجًا، بكتب مصنعة، وأقوال مزخرفة، إلى أن يلبس عليه الدين، ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين.

وقصارى أمره إبطال الشرائع، وتحليل جميع المحارم، فسارع إليه من لم يكن له بالشرع معرفة، لأنه صادف أكثر الناس عوامًا، فأجابه إلى دعوته الرعاع والطغام ومن لم يكن له معرفة قبل بالإسلام، من جنب وسنحان ويام[1]، فحرم الحلال، وأحل الحرام، وناقض بجهده الإسلام، وأبطل الصلاة والصيام والزكاة والحج إلى بيت الله الحرام؛ فأهلكهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق.

آخر رسالة محمد بن مالك رحمه الله رحمة الأبرار، ووقاه عذاب النار.

تم بحمد الله

---

(١) أسماء قبائل عربية.

فهرس المحتويات

الفصل الرابع / كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم